# توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم
# بين القدامى والمحدثين،
# أحمد الغرناطي وفاضل السامرائي:
# دراسة مقارنة

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه

محمد رجائي أحمد الجبالي

قسم القرآن والحديث
أكاديمية الدراسات الإسلامية
جامعة ملايا
كوالالمبور
٢٠١٢

بسم الله الرحمن الرحيم

## ملخص البحث

هذا البحث موضوعه [توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم بين القدامى والمحدثين، أحمد الغرناطي وفاضل السامرائي، دراسة مقارنة] ويقوم البحث على الموازنات، حيث يدرس ما يلي: (١) نشأة علم المتشابه اللفظي في القرآن الكريم ومراحل تطوره. (٢) دراسة موجزة لأربعة من علماء توجيه المتشابه اللفظي القدامى في مقابل دراسة موجزة لأربعة من العلماء المحدثين الذين صنفوا في هذا العلم. (٣) دراسة منهج كل من القدامى والمحدثين في توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، وخصائص منهج كل منهما، مع الموازنة فيما بين القدامى المحدثين من حيث المنهج، والخصائص، ومواطن التشابه التي تناولها كل من القدماء والمحدثون، وكيف أسس القدامى لعلم المتشابه اللفظي، وما أضافه المحدثون إلى هذا العلم. (٤) التوسع في دراسة أهم وأشهر شخصية من القدامى وهو: أحمد ابن الزبير الغرناطي وكتابه [ملاك التأويل] في مقابل التوسع في دراسة أهم وأشهر شخصية من المحدثين وهو: فاضل صالح السامرائي وكتبه في المتشابه [التعبير القرآني- بلاغة الكلمة في التعبير القرآني- أسئلة بيانية في القرآن الكريم]. (٥) الموازنة العملية بين توجيه ابن الزبير الغرناطي وتوجيه فاضل السامرائي لثلاث وأربعين مسألة اشترك كل منهما في توجيهها.

وقد تعددت مناهج البحث في هذه الدراسة، فجمعت المنهج الاستقرائي الإحصائي، والمنهج الوصفي الذي يعتمد على توضيح كل ما يتعلق بالمشكلة، والمنهج التاريخي من خلال تتبع آراء المفسرين وتحقيق الأقوال، والوقوف على أقربها وصولا للمعنى، والمنهج النقدي التحليلي الذي يتناول مناقشة الأفكار والأقوال، والاجتهاد في الوقوف على أقربها للحق والصواب، حيث إن الدراسة تقوم على المقارنة والموازنة فيما بين الأفكار والأقوال.

وقد خلص البحث بأن علم توجيه المتشابه اللفظي ما زال بكرا غضا، ومازالت المصنفات والدراسات التي تناولته قليلة محدودة، والفضل كله مازال للمتقدمين الذين أسسوا لهذا العلم، حيث إن إضافات المحدثين مازالت محدودة، وما زال أكثر آيات المتشابه اللفظي لم توجه بعد، والحاجة ماسة لانصراف العلماء والباحثين إلى هذا العلم وتناوله بالبحث والتصنيف.

# Abstract

CONCEPTUALIZING VARIABLE SIMILARITIES IN THE QURAN BETWEEN TRADITIONAL AND MODERN SCHOLARS, AHMAD AL-GHARNATI AND FADIL AL-SAMARRA'I: A COMPARATIVE STUDY

This research tries to examine many important topics such as (1) is the emergence of verbal knowledge of variable similarities in the Holy Quran and the stages of development, (2) is a brief study of four scientists from the guidance of Like verbal veterans in return for a brief study of four modern scientists who are classified in this science. (3) the approach of both old and modern in the direction of Like verbal in the Koran, and the characteristics approach each other, with the balance between the old modernists in terms of curriculum, and characteristics, and a citizen of similarity, which dealt with both ancient and Modern, and how the foundations of old for the information of Like verbal, etc. Modern added by this knowledge. (4) expansion in the study of the most popular figure of the old is: Ahmad Ibn al-Zubayr from Granada and his book [Angel interpretation] in exchange for expansion in the study of the most popular figure of the modern: the Fadel Saleh al-Samarrai and written in of Like [Qur'anic expression - the eloquence of the word in the qur'anic expression - Questions Highlights in the Koran]. (5) the budget process between Ibn al-Zubayr Granada guide and direct Fadhel al-Samarrai for forty-three issue involved in each direction. The varied research methods in this study, bringing inductive approach statistical, and descriptive approach, which relies on clarifying both about the problem, and the historical method by tracking the views of commentators and the achievement of words, and to identify the closest access to the meaning, and critical approach analytical deals with the discussion of ideas, words, and diligence to stand on the closest to the truth and righteousness, where the study is based on the comparison and balancing among the ideas and words. The research concluded that the flag of guidance of Like verbal abuse is still a virgin standing of, and still works and studies that addressed a few limited, and the entire credit is still to applicants who founded this science, as the add-modernists are still very limited, and still more signs of Like verbal not been yet, and the urgent need for the departure of scientists and researchers to the science and research and dealt with the classification

# إهداء

إلى أَحَبِّ خلق الله إلى قلبي، إلى الذي أخذ بيدي إلى ربي، إلى الذي أخرجني من غياهب الغفلة والجهل إلى أنوار العلم والهداية، إلى أَحَبِّ خلق الله إلى الله، النبي المصطفى محمد بن عبد الله رسول الله الخاتم صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

ثم إلى شباب الثورة العربية في مصر وتونس وليبيا وسوريا واليمن وفي كل بلاد العرب، لقد بعثتم الأمة من سباتها، وأخرجتموها من ذلها، ورددتم إليها عزها، ونفختم فيها روحها، فقمتم بها تنفضون عنها ذلا وقهرا طالا بها زمنا مديدا، وبكم ستعود الأمة إلى دورها، الذي أوكله الله بأمة محمد، ألا وهو حمل مصابيح الهداية إلى العالمين.

# فهرس المحتويات

## الجزء الأول


فهرس المحتويات ١
- حدود البحث ٨
- مشكلة البحث ٨
- أهداف الدراسة ٨
- الأسئلة الافتراضية التي يجيب عنها البحث ٩
- منهج البحث ١٠
- الدراسات السابقة ١١
- وجوه الاختلاف بين هذه الدراسة والدراسات السابقة ١٤
- تمهيد ١٥
- مقدمة ١٦

**الباب الأول: مدخل إلى علم المتشابه اللفظي التعريف، والنشأة، والتطور** ١٩

**الفصل الأول: [توجيه المتشابه اللفظي] معجميا واصطلاحيا وبلاغيا** ٢٠
**المبحث الأول: [توجيه . التشابه . اللفظي ] معجميا** ٢٠
المطلب الأول: [ توجيه ] معجميا ٢٠
المطلب الثاني: المتشابه معجميا ٢٤
المطلب الثالث: اللفظي معجميا. ٣٠
**المبحث الثاني: توجيه المتشابه اللفظي اصطلاحيا** ٣٣
المطلب الأول: [ توجيه ] اصطلاحا ٣٣
المطلب الثاني: المتشابه اللفظي في القرآن اصطلاحا ٣٥
**المبحث الثالث: المتشابه اللفظي بلاغيا** ٤٠

المطلب الأول: التكرار من الفصاحة ٤٠
المطلب الثاني: فوائد وأغراض التكرار اللفظي في القرآن الكريم: ٤٦

**الفصل الثاني: نشأة علم المتشابه اللفظي وتطوره وأنواعه** ٥٩
**المبحث الأول: نشأة علم المتشابه اللفظي في القرآن** ٦٠
المطلب الأول : تقسيم السابقين لمراحل نشأة علم المتشابه اللفظي وتطوره: ٦٠
المطلب الثاني: تصور جديد لمراحل نشأة وتطور توجيه المتشابه اللفظي ٦١
**المبحث الثاني: المتشابه اللفظي من التدوين حتى النظم** ٦٣
المطلب الأول: مرحلة ما قبل الجمع والتدوين ٦٣
المطلب الثاني: مرحلة جمع المتشابه اللفظي للحفظة والْقُرَّاء وتدوينه ٦٤
المطلب الثالث: مرحلة توجيه المتشابه اللفظي ٦٦
المطلب الرابع: مرحلة نظم المتشابه اللفظي ٦٩
**المبحث الثالث: المتشابه اللفظي من الركود حتى التجديد** ٧١
المطلب الأول: مرحلة الركود ٧١
المطلب الثاني: مرحلة الفهارس والمعاجم القرآنية ٧٢
المطلب الثالث: مرحلة الدراسة والتجديد ٧٨
**المبحث الرابع: أنواع المتشابه اللفظي في القرآن الكريم** ٨١
المطلب الأول: اختلاف العلماء في تصنيف أنواع [المتشابه اللفظي في القرآن الكريم] ٨١
المطلب الثاني: تصنيف باعتبار اللفظ وعدد الأحرف ٨٥

**الباب الثاني: القدامى والمحدثون المنهج والتأصيل لعلم المتشابه اللفظي** ١٠١
**تمهيد:** ١٠٢
**الفصل الأول: مناهج القدامى في تناول المتشابه اللفظي وتأصيلهم له** ١٠٣
**المبحث الأول: مؤسس علم المتشابه اللفظي الإسكافي ودرته** ١٠٣
المطلب الأول : نسبه وعلمه ١٠٣
المطلب الثاني : كتاب [ درة التنزيل وغرة التأويل ] اسمه وفضله ١٠٧

المطلب الثالث: أهداف الإسكافي من كتابه وخصائص أسلوبه ومنهجه ١١١
**المبحث الثاني:الكرماني ومنهجه في البرهان** ١٢٠
المطلب الأول: نسب الكرماني وفضله ١٢٠
المطلب الثاني: الدراسات التي عقدت حول كتاب البرهان ١٢٢
المطلب الثالث: كتاب البرهان وخصائص منهجه ١٢٣
**المبحث الثالث:ابن جماعة وكشف المعاني** ١٣١
المطلب الأول: مولده ، ونسبه ، ونشأته ١٣١
المطلب الثاني: مكانة ابن جماعة العلمية ١٣٣
المطلب الثالث: التعريف بكتاب [كشف المعاني ] ١٣٥
المطلب الرابع: منهج ابن جماعة في [كشف المعاني ] وخصائص أسلوبه ١٣٨
**المبحث الرابع : فتح الرحمن للأنصاري نقل وتجديد.** ١٤٣
المطلب الأول: السيرة الذاتية للأنصاري ١٤٣
المطلب الثاني: التعريف بكتاب [ فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن ] ١٤٧
المطلب الثالث: منهج [ فتح الرحمن ] وخصائص أسلوبه ١٤٩
**المبحث الخامس: السمات والخصائص العامة لمنهج القدامى في توجيه المتشابه اللفظي** ١٥٣

**الفصل الثاني:المحدثون تجديد وإثراء** ١٥٧
**المبحث الأول:المطعني وكتابه [خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية]** ١٥٨
المطلب الأول: نسبه ومولده ونشأته ١٥٨
المطلب الثاني: خصاله وجهاده ١٥٩
المطلب الثالث: مكانته العلمية ١٦٣
المطلب الرابع: التعريف بكتاب المطعني [ خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية١٦٦
المطلب الخامس: خصائص منهج وأسلوب المطعني في توجيه المتشابه اللفظي في كتابه ١٧٠

**المبحث الثاني : ياسين المجيد وكتاب [المبنى والمعنى في الآيات المتشابهات]** ١٧٦
المطلب الأول: شخصية الدكتور عبد المجيد ياسين المجيد من خلال كتابه ١٧٦
المطلب الثاني: التعريف بكتاب [المبنى والمعنى في الآيات المتشابهات في القرآن الكريم] ١٧٨
المطلب الثالث: خصائص منهج وأسلوب ياسين المجيد ١٨٠
المطلب الرابع: مآخذ على ياسين المجيد في كتابه ١٨٨
**المبحث الثالث: الصامل وبلاغة المتشابه اللفظي** ١٩٥
المطلب الأول: التعريف بالكاتب ١٩٥
المطلب الثاني: التعريف بالكتاب ١٩٧
المطلب الثالث: خصائص منهج وأسلوب الصامل في كتابه ١٩٨
المطلب الرابع: وقفات مع كتاب الصامل ٢٠٤
**المبحث الرابع : محمد القاضي وكتابه [المتشابه اللفظي في القرآن رؤية في التفسير من خلال اللغة والسياق]** ٢٠٨
المطلب الأول: التعريف بالكاتب والكتاب. ٢٠٩
المطلب الثاني: نظرية السياق عند محمد القاضي. ٢١١
المطلب الثالث: السابقون والسياق لدى القاضي. ٢١٥
المطلب الرابع: خصائص منهج محمد القاضي وتجديداته في دراسة المتشابه اللفظي في القرآن. ٢١٧
**المبحث الخامس: الخصائص العامة لمنهج المحدثين وتجديداتهم** ٢٢٣
المطلب الأول: الخصائص العامة لمنهج المحدثين في توجيه المتشابه اللفظي ٢٢٣
المطلب الثاني: تجديدات المحدثين ٢٢٥

**الجزء الثاني:**

**الباب الأول: الغرناطي والسامرائي وآثارهما في المتشابه اللفظي** ٢٢٧

**الفصل الأول: الغرناطي وملاك التأويل** ٢٢٨
**المبحث الأول: نسبه ونشأته** ٢٢٩
المطلب الأول: الدراسات التي عُقِدت حول الغرناطي وكتابه [ ملاك التأويل ] ٢٢٩
المطلب الثاني : نَسَبُ الغرناطي ونشأته ٢٣١
**المبحث الثاني: مكانة الغرناطي العلمية** ٢٣٤
المطلب الأول: شهرته الواسعة وضياع مصنفاته ٢٣٤
المطلب الثاني: رياسته العلمية للأندلس ٢٣٦
المطلب الثالث: العلوم التي نبغ فيها وشيوخه ٢٣٧
**المبحث الثالث: أهداف كتاب [ملاك التأويل] ومنهجه** ٢٤٩
المطلب الأول: أهداف كتاب [ملاك التأويل] ٢٤٩
المطلب الثاني: منهج الغرناطي في كتابه ٢٥٢
المطلب الثالث: خصائص أسلوب الغرناطي في [ملاك التأويل] ٢٥٦
**المبحث الرابع: كتابا الملاك والدرة** ٢٦١
المطلب الأول: إحصاء المغفل ٢٦١
المطلب الثاني: موازنة بين الدرة والملاك ٢٦٦

**الفصل الثاني : السامرائي ومؤلفاته ومنهجه في المتشابه اللفظي** ٢٦٩
**المبحث الأول: التعريف بالسامرائي** ٢٦٩
المطلب الأول: نسبه ونشأته ٢٦٩
المطلب الثاني: رحلة السامرائي العلمية والعملية ٢٧٠
المطلب الثالث: شغفه باللغة العربية والنحو خاصة ٢٧٢
**المبحث الثاني: لقاء الباحث وحواره مع السامرائي** ٢٧٣
المطلب الأول: الترتيب للقاء الدكتور فاضل السامرائي ٢٧٣
المطلب الثاني: حوار الباحث مع السامرائي ٢٧٥
المطلب الثالث: الخصائص العامة لكتب السامرائي ٢٧٩
**المبحث الثالث: أهم كتب السامرائي التي اهتمت بالمتشابه اللفظي في القرآن الكريم**

٢٨٢
المطلب الأول: كتاب [ التعبير القرآني ] ٢٨٣
المطلب الثاني : كتاب [بلاغة الكلمة في التعبير القرآني] ٣٩٤
المطلب الثالث: كتاب [أسئلة بيانية في القرآن الكريم] ٣٩٩
**المبحث الرابع: خصائص أسلوب السامرائي في تناول المتشابه اللفظي** ٣٠٢
المطلب الأول: منهج التناول وأسس توجيه المتشابه لدى السامرائي ٣٠٢
المطلب الثاني: خصائص عامة لأسلوب السامرائي في توجيه المتشابه اللفظي ٣٠٥
المطلب الثالث: تحديدات السامرائي في توجيه المتشابه ٣٣٠
**المبحث الخامس: القواعد السامرائية** ٣١١
المطلب الأول: محاولات السابقين في التقعيد لتوجيه آيات المتشابه ٣١١
المطلب الثاني: قواعد السامرائي ٣٢٢
المطلب الثالث: هل يمكن ضبط قواعد محددة يقاس عليها توجيه المتشابه اللفظي؟
٣٣٠

**الباب الثاني: بين الغرناطي والسامرائي** ٣٣٣

**الفصل الأول: التشابه والاختلاف في بنية اللفظ ونوعه** ٣٣٤
**المبحث الأول: التشابه والاختلاف في بنية الأفعال** ٣٣٤
المطلب الأول: ما بين صيغتي [أَفْعَل.... فَعَّل] ٣٣٤
المطلب الثاني: بين التجرد والزيادة ٣٣٩
المطلب الثالث: ما بين [ يَتَفَعَّل ، ويَفَّعَّل] ٣٤١
المطلب الرابع: حذف تاء [استفعل] وإثباتها ٣٤٣
**المبحث الثاني: التشابه والاختلاف في بنية الأسماء** ٣٤٥
المطلب الأول: بين التعريف والتنكير ٣٤٥
المطلب الثاني: بين الإفراد والجمع ٣٤٩
المطلب الثالث: بين اسم الفاعل وأفعل التفضيل ٣٥٥

المطلب الرابع: بين التأنيث والتذكير ٣٥٦
المطلب الخامس: اختلاف نوع الجمع ٣٥٩
**المبحث الثالث: التشابه والاختلاف بالتوكيد وعدمه** ٣٦١

**الفصل الثاني:التشابه والاختلاف في ترتيب الألفاظ** ٣٦٦
**المبحث الأول: تقديم وتأخير جملة** ٣٦٦
**المبحث الثاني: تقديم وتأخير شبه جملة** ٣٧٠
**المبحث الثالث: تقديم وتأخير كلمة** ٣٧٩

**الفصل الثالث: التشابه والاختلاف في الذكر وعدمه، والإبدال، والفواصل** ٣٨٣
**المبحث الأول: التشابه والاختلاف بالإبدال** ٣٨٣
المطلب الأول: إبدال اسم باسم ٣٨٣
المطلب الثاني: إبدال فعل بفعل ٣٨٧
المطلب الثالث: إبدال حرف بحرف ٣٩٥
**المبحث الثاني: التشابه والاختلاف بالذكر والحذف** ٤٠٣
**المبحث الثالث: تشابه واختلاف الفواصل** ٤١٢
الخاتمة ٤٢٢
النتائج ٤٢٥
التوصيات ٤٢٧
المصادر والمراجع ٤٢٨
الفهارس ٤٥٢
فهرس الآيات المتشابهات التي درست خلال البحث ٤٥٢
فهرس الآيات المتشابهات موضع الموازنة بين الغرناطي والسامرائي ٤٦٤
فهرس المصطلحات ٤٧١
فهرس الأعلام ٤٧٤

## - حدود البحث :

موضوع هذه الدراسة محدود بحدود توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم لدى القدماء والمحدثين، حيث ستقف حدود هذا البحث عند الآيات التي تشابهت ألفاظها في القرآن الكريم ودراستها بلاغيا، وجهود القدماء في هذا العلم، وجهود المحدثين، مع موازنات بين جهود كل منهما في: المنهج العام، ومنهج الاستنباط، والثراء الفكري والبلاغي، والوقوف على جهود عَلَمَيْن هما أعظم من أثرى علم المتشابه اللفظي، كل في زمانه، ألا وهما أبو جعفر أحمد بن إبراهيم ابن الزبير الغرناطي كنموذج للقدماء، وفاضل صالح السامرائي كنموذج للمحدثين، مع موزانة بين ثلاثة وأربعين من المواطن التي اشترك في توجيهها كل من الغرناطي والسامرائي، والوقوف على مدى التقارب بين كل من هذين العَلَمَيْن، وماذا أضاف السامرائي لبناء هذا العلم.

## - مشكلة البحث:

ينشغل هذا البحث بالوقوف على أسس وخصائص منهج القدامى في توجيه المتشابه اللفظي، وإلى أى مدى وصلوا في هذا العلم، كما يجتهد البحث في الوقوف على التجديدات التي أضافها المحدثون ومدى تأثرهم بالقدامى، كما يحاول البحث إبراز مكانة وأثر كل من ابن الزبير الغرناطي وفاضل السامرائي -كل في عصره- في النهوض بعلم [توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم].

## - أهداف الدراسة :

اخترتُ هذا الموضوع لأسباب وأهداف عدة منها:

١- إثبات وتأكيد أنه لا تكرار في القرآن الكريم، إنما التكرار تكرار اللفظ من دون المعنى.

٢- الوقوف على فضل القدماء في تأصيل علم توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وتأسيسه.

٣- إبراز دور المحدثين في إحياء علم توجيه المتشابه اللفظي في القرآن بعد فترة ركود طالت لأكثر من خمسمائة سنة.

٤- إثبات وتأكيد أن علم المتشابه اللفظي في القرآن ما زال بعد غضا طريا، في مراحله الأولى، رغم أن عمره تخطى الألف سنة.

٥- دراسة وتحليل لجهود أبرز عَلَمَيْن في هذا العلم قديما وحديثا، وهما أحمد الغرناطي وفاضل السامرائي.

## - الأسئلة الافتراضية التي يجيب عنها البحث :

يمكن إجمال الأسئلة التي يجيب عنها البحث فيما يأتي:

١- ما هي أوجه بلاغة المتشابه اللفظي في القرآن الكريم؟

٢- ما هي مناهج السابقين في تناول المتشابه اللفظي للآيات في القرآن الكريم؟

٣- ما هو الحد الذي وقف عنده السابقون في علم توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم؟

٤- هل اختلف منهج المحدثين عن منهج القدامى في تناول توجيه المتشابه اللفظي في القرآن؟

٥- ماذا أضاف المحدثون إلى علم المتشابه اللفظي في القرآن الكريم؟

٦- ما هي أوجه التوافق والاختلاف بين كل من الغرناطي والسامرائي كعلمين بارزين من أعلام المتشابه اللفظي في القرآن؟

٧- هل يمكن وضع قواعد محددة تضبط توجيه المتشابه اللفظي؟

**- منهج البحث :**

إن طبيعة هذه الدراسة تقتضي عدة مناهج مجتمعة لتحقيق أهداف البحث، فهي تعتمد على المنهج الوصفي، والمنهج التاريخي، والمنهج الاستقرائي الإحصائي، والمنهج التحليلي النقدي، وإليكم نبذة قصيرة عن كل منهج وموضعه من البحث:

**١- المنهج الوصفي :**

وهذا المنهج يتخلل فصول البحث جميعا، وهو يتعلق بجمع المعلومة، واستقصائها من مصادرها، وذكر كل ما يتعلق بالمشكلة، ومصادر المعلومات كما يلي:

١ . ١- الكتب المطبوعة، كالكتب والمجلات العلمية المحكمة والنشرات والمؤتمرات.

١ . ٢- برامج الحاسوب كالمكتبة الشاملة وإصدارات جمعية التراث، وغيرها من مواقع العلماء والمواقع التي أخذت على عاتقها نشر التراث الإسلامي وعلومه.

١ . ٣- الأشرطة السمعية :كمجموعة [إعجاز القرآن] للدكتور طارق السويدان، ومجموعة الشيخ الشعراوي -رحمه الله- وغيرها من الأشرطة التي تناولت تفسير القرآن الكريم للعلماء والشيوخ المحدثين الأعلام، ما أمكن ذلك.

**٢- المنهج التاريخي ( الاسترادي ) :**

وهذا المنهج يتخلل جوانب هذا البحث من مقدمته حتى خاتمته، ويتعلق هذا المنهج بتحقيق الأقوال ومناقشتها والوقوف على أقربها مقصدا ووصولا للحق.

**٣- المنهج الاستقرائي الإحصائي :**

ومجال هذا المنهج من هذه الدراسة يتخلل المباحث والمطالب التي يَرِدُ فيها آيات تكرر لفظها في القرآن، وهذه المباحث والمطالب تتخلل فصول أبواب الدراسة جميعا عدا الفصل الأول من الباب الأول، وبه سأجتهد في تتبع واستقراء وإحصاء - مجتهدا قدر الطاقة والنظر - مواطن المتشابه اللفظي موضع البحث ومراجعة إحصاءات السابقين والتأكد من صحتها، وهذا المنهج سأعتمد فيه على ثلاث خطوات أساسية للوصول إلى نتائج دقيقة لإحصاء آيات المتشابه اللفظي التي سيمر عليها البحث وهي كما يأتي:

٣ . ١- النظر في الإحصاءات السابقة، وما وقف عليه السابقون، ومقارنتها بعضها ببعض.

٣ . ٢- الاستقراء والإحصاء الإلكتروني: وذلك من خلال عدة برامج إلكترونية وظيفتها البحث في النصوص المكتوبة ، وهي في معظمها دقيقة دقة عالية، ومن هذه البرامج: برنامج المصحف الرقمي، وبرنامج مصحف النور[١]، وخاصية البحث الموجودة في الكمبيوتر، وبرنامج المكتبة الشاملة.

٣ . ٣- الاستقراء والإحصاء الذاتي: وذلك من خلال المقارنة بين نتائج البرامج الالكترونية ثم المقارنة بالنظر في كتاب الله تعالى مباشرة، والتأكد من صحة نتائج هذه البرامج، فإن وجدت خللا، كان الفيصل عندي هو البحث بالنظر والقراءة المباشرة في كتاب الله.

## ٤- المنهج التحليلي المقارن:

ويتخلل هذا المنهج جوانب البحث أكثرها، فيناقش الأقوال والأفكار، ويجتهد في معرفة الأسباب الحقيقية التي تقف وراءها وأبعادها، ومعرفة الراجح من المرجوح، والوقوف على أوساطها، وحيث إن الدراسة في طبيعتها قائمة على الموازنة في أكثر جوانبها.

## - الدراسات السابقة:

لعل الحق قد جانب لبيب صالح في قوله: "كثيرة هي الدراسات التي تعرضت لمادة التشابه اللفظي في القرآن"[٢] فإني لا أتفق معه في ذلك، فكما أشرنا سلفا في المقدمة إن الدراسات التي تناولت التشابه اللفظي في القرآن الكريم بالبحث قليلة، رغم أن هذه الدراسات بدأت منذ أكثر من ألف سنة، وليس أدل على ذلك من قوله هو: " لكنها مع كثرتها لم تستطع أيٌّ منها أن تستوعب مفردات التشابه اللفظي في القرآن قاطبة"[٣]، وأستطيع أن أجزم أنه لن يأتي من يقضي في هذا العلم الوطر، ويقول فيه كلمة الفصل، أو يدعي أنه

---

[١] هذه البرامج الثلاثة هنا: http://www.s٧٧.com/prog/pafiledb.php?action=category&id=١٩ بتاريخ : ( ٢٠٠٧/٠٤/٢٩ ).

[٢] لبيب محمد جبران خليل، ٢٠٠٨م، المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، دراسة مقارنة بين الإسكافي والغرناطي، رسالة دكتوراه، جامعة ملايا، ص٥ .

[٣] المصدر السابق، ص٥

ليس هناك قول بعد قوله، ذاك لأن هذا العلم جزء من القرآن الكريم الذي تتجدد معانيه بتجدد الزمان والمكان.

**استعراض بعض الدراسات الجديدة:**

قد تنوع التنصيف في علم المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، فمن العلماء من صنف فيه ضمن كتب علوم القرآن، وقد تناوله قلة من المفسرين –على استحياء– في ثنايا تناولهم الآيات في البحث حول التشابه اللفظي وإعجازه، وأفرده العديد من العلماء بالبحث، وسار الباحثون الجدد في دراساتهم على طريق السلف، ونلاحظ أن هذه الدراسات أكثرها تتناول المصنفات القديمة بالبحث والتعليق ومنها ما يلي:

١- **البلاغة القرآنية في ملاك التأويل لابن الزبير الغرناطي دراسة وتقويما**[٤]، لإبراهيم عبد العزيز الزيد، بحث ماجستير، من موضوعها نستطيع أن نتبين أنها تكاد تناظر البحث السابق للسامرائي.

٢- **درة التنزيل وغرة التأويل، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الأصفهاني المعروف بالخطيب الإسكافي، دراسة وتحقيق وتعليق**[٥]، لمحمد مصطفى آيدين، وهذه الدراسة تعد من أعظم الدراسات في المتشابه اللفظي في القرآن الكريم؛ إذ أن الدراسة لم تقف عند التحقيق لكتاب الإسكافي بل إن الباحث كان موسوعي الفكر وقد طبعت جامعة أم القرى هذا البحث سنة ١٤٢٢هـ

٣- **المتشابه اللفظي في القرآن الكريم دراسة نحوية بلاغية:** غلب على هذه الدراسة الجانب النحوي، مع الاهتمام بالجوانب البلاغية في المتشابه. وقد قام الباحث بدراسة عينات من المتشابه اللفظي لتكون أنموذجًا لكيفية دراسة المتشابه اللفظي في المفردات والجمل. وأولى الحرف في القرآن عناية فائقة، وعرض ما فيه من نماذج بلاغية، فتحدث عن التضمين، والتناوب، والحذف والذكر في الحرف. ثم تعرض للفك والإدغام، أو ما يسمى (الإبدال)، مثل: ( يضّرعون) و(يتضرّعون)"[٦]

---

[٤] إبراهيم عبد العزيز الزيد، ١٩٩٣م، ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية اللغة العربية، قسم البلاغة والنق.

[٥] محمد مصطفى آيدين ، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م، جامعة أم القرى، معهد البحوث الإسلامية، سنة ١٤١٨هـ.

[٦] مشهور مشاهرة ، المتشابه اللفظي في القرآن الكريم: دراسة نحوية بلاغية (رسالة دكتوراة، الجامعة الأردنية، قسم اللغة العربية، ٢٠٠٤م).

٤- **المتشابه اللفظي في القرآن وأسراره البلاغية**، رسالة دكتوراه، قال الباحث في ملخص بحثه: "وبعد الحديث عن الكتب الخمسة، تحدثت في البابين الثاني والثالث عن الآيات المتشابهة، فتناولت المتشابه اللفظي في الكلمة، وبدأت الحديث عن الاختلاف بين الآيات المتشابهة في اختيار الصيغة، ثم الإفراد والجمع، ثم التذكير والتأنيث، ثم التعريف والتنكير، وختمت الحديث عن الحروف، كما نظرت في الآيات المتشابهة في الذكر والحذف ثم الآيات المختلفة من حيث التقديم والتأخير، ثم ختمت البحث عن الاختلاف بين الآيات المتشابهة في موضوع الفصل والوصل"[٧]

٥- **أثر دلالة السياق القرآني في توجيه المتشابه اللفظي في القصص القرآني، دراسة نظرية تطبيقة ، على آيات قصص نوح وهود وصالح وشعيب عليهم السلام**، وقامت بهذه الدراسة تهاني بنت سالم بنت أحمد باحويرث[٨].

٦- **المتشابه اللفظي في القرآن، دراسة مقارنة بين الإسكافي والغرناطي**، بحث دكتوراه، في جامعة ملايا، ولخص الباحث مضمون بحثه قائلا: "وتهدف هذه الدراسة إلى نصب الأمثلة في مقام التدليل على مواطن التشابه في القرآن، وذلك من خلال الموازنة العلمية بين الإسكافي في كتابه "درّة التنزيل"، والغرناطي في كتابه "ملاك التأويل". فقد جَلَّى القرآن هذه الظاهرة بأبسط ما فيه وهو الحرف فكان له دلالة واضحة على دقة التشابه اللفظي ودلالته البلاغية، ثم في الكلمة وتحولها وتبدلها من موطن لآخر، ثم في التعريف والتنكير، والحذف والذكر، والتقديم والتأخير، والإفراد والجمع، وغيرهم من مواضع المتشابه اللفظي الوارد في الذكر الحكيم"[٩]

٧- **دراسة المتشابه اللفظي من آي التنزيل في كتاب ملاك التأويل**[١٠]، وهي دراسة تقوم على البحث في منهج الغرناطي في توجيه المتشابه اللفظي مع توجيه جديد للعديد من الآيات التي تناولها الغرناطي في كتابه، وقد طبعت هذه الدراسة مرتين آخرها سنة ٢٠٠٩.

---

[٧] صالح عبد الله محمد الشثري، المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وأسراره البلاغية، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، قسم البلاغة ، ١٤٢١هـ-٢٠٠١، ملخص البحث.

[٨] تهاني بنت سالم بنت أحمد باحويرث، ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م، ماجستير، تفسير وعلوم القرآن، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة.

[٩] لبيب محمد جبران صالح ، المتشابه اللفظي في القرآن، دراسة مقارنة بين الإسكافي والغرناطي، جلمعة ملايا، أكادمية الدراسات الإسلامية، قسم القرآن والحديث، ٢٠٠٨، ملخص البحث ص أ.

[١٠] السامرائي، محمد فاضل، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، دكتوراه، الجامعة الأردنية.

٨- **المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وتوجيهه، دراسة موضوعية،** لمحمد راشد البركة، وجاءت هذه الدراسة في جزئين اجتهد فيها الباحث أن يُقَعِّدَ لمنهج توجيه المتشابه اللفظي من خلال استنتاج القواعد من مناهج السابقين في توجيه المتشابه اللفظي[١١].

[١١] محمد بن راشد بن محمد البركة، ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود، كلية أصول الدين، قسم القرآن وعلومه.

## – وجوه الاختلاف بين هذه الدراسة والدراسات السابقة:

تختلف هذه الدارسة عن الدراسات السابقة في عدة جوانب، كما سبقت –بفضل الله– إلى عدة أمور لم تُسْبَقْ إليها، وذلك يتضح في:

**الأول**: لم يقف هذا البحث عند دراسة شخصية واحدة ونتاجها الفكري في علم توجيه المتشابه اللفظي، كما لم تقف عند دراسة شخصيتين من عصر واحد، أو دراسة لشخصيتين من عصرين مختلفين، بل تجاوزت ذلك إلى دراسة متعمقة لعشرة من علماء توجيه المتشابه اللفظي من عصور مختلفة، خمسة من العصر القديم، وخمسة من العصر الحديث.

**الثاني**: لم تتجه هذه الدراسة إلى دراسة علم المتشابه اللفظي ذاته من أحد جوانبه، سواء
من جانب نحوي، أو بلاغي، أو لغوي، بل كانت دراسة تقوم على الموازنة بين عصر وعصر، وبين منهج ومنهج، وبين نتاج فكري سابق، ونتاج فكري محدث.

**الثالث**: كما وقفت بنا هذه الدراسة على الأسس التي وضعها القدامى في توجيه المتشابه اللفظي
في القرآن الكريم، وكيف بنى عليها المحدثون منهجهم في التوجيه.

**الرابع**: كما سبق هذا البحث إلى الوقوف على إضافات المحدثين إلى علم توجيه المتشابه اللفظي
في القرآن الكريم.

**الخامس**: كما سبق هذا البحث إلى موازنة لم يسبق إليها أحد فقدم دراسة مستفيضة في الموازنة

بين أبرز وأعظم عالمين بحثا وصنفا في علم توجيه المتشابه اللفظي، من حيث منهج التوجيه وأسسه، والأسلوب ولغته، والفكر وسعته، ألا وهما: العلامة ابن الزبير الغرناطي -رحمه الله- والدكتور فاضل السامرائي —حفظه الله.

**تمهيد (خطة البحث):**

ضم هذا البحث أربعة أبواب تضمنت تسعة فصول، أما الباب الأول فحوى فصلين خصص الفصل الأول منه لدراسة المتشابه اللفظي معجميا واصطلاحيا وبلاغيا، وخصص الفصل الثاني بدراسة نشأة ومراحل تطور علم المتشابه اللفظي في القرآن الكريم.

وحوى الباب الثاني فصلين، الأول منه خصص لدراسة موجزة لأربعة من العلماء القدامى ومصنفاتهم في توجيه المتشابه اللفظي القدامى، والوقوف على أثرهم في التأسيس والتأصيل لهذا العلم. وخصص الفصل الثاني بدراسة موجزة لأربعة من العلماء المحدثين ومصنفاتهم في توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، والوقوف على أثرهم وإضافاتهم لهذا العلم.

أما الباب الثالث فقد وقف على عالمين كبيرين متميزين في علم المتشابه اللفظي أحدهما من القدماء وهو ابن الزبير الغرناطي، والثاني من المحدثين وهو فاضل صالح السامرائي، وقد قدم الباحث في هذا الباب دراسة وافية لكل من ابن الزبير والسامرائي وأثرهما في علم توجيه المتشابه اللفظي، وخصائص منهج كل منهما، وفضل الغرناطي، وإضافات السامرائي، وقد أفرد الباحث لكل منهما فصلا خاصا به.

أما الباب الرابع فقد درس فيه الباحث ٤٣ مسألة اشترك في توجيهها كل من الغرناطي والسامرائي، جاء هذا الباب في ثلاثة فصول، جعل الفصل الأول لمواطن التشابه والاختلاف في بنية اللفظ ونوعه، وخصص الفصل الثاني للتشابه والاختلاف في ترتيب الألفاظ، وخصص الفصل الثالث للتشابه والاختلاف في الذكر وعدمه، والإبدال، والفواصل.

وألفت نظر القارئ إلى أن البحث اعتمد عدة رموز اختصارا وهي كما يلي: [ج]: الجزء، و[ص]: الصفحة، و[النت]: شبكة الاتصال العالمية "الإنترنت"، الرقم الذي أعلى رأس رقم الآية يرمز إلى أن اللفظ المذكور قد تكرر، كمثل: ﴿ لوۡ شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ (البقرة٢٠، ٢٢٠، ٢٥٣[2])، فإن الآية ٢٥٣ يوجد على رأسها رقم ([2]) وهذا يعني أنه قد تكرر فيها لفظ ﴿ لوۡ شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ مرتين.

**– مقدمة:**

الحمد لله ، الذي لا رَبَّ سِوَاه، الرحمنُ، معلمُ القرآن، خالقُ الإنسان، مُعَلِّمُهُ الْبَيَانَ، أَشْهَدُ بِمَا شَهِدَ به لِنَفْسِه، وأَشْهَدَ على ذلك صَفْوَةَ خَلْقِه: الرسلَ، والملائكةَ، وأولي العلم، أَنَّه إِلهٌ واحدٌ لا إله إلا هو[١٢]. فاللهم لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، يا ربنا لك الحمد بجميع مَحَامِدِ الله، ما علمنا منها، وما لم نعلم، على جميع نعم الله، ما علمنا منها، وما لم نعلم.

وأُصَلِّي وأُسَلِّمُ على أَحَبِّ خَلْقِ اللهِ إلى الله، مُحَمَّدِ الشِّيَمِ، مَحْمُودِ الْخَلْقِ والْخُلُق، أَحْمَدِ النَّفْسِ والْقَلْب، مصطفى الله إلى الناس نبيا ورسولا، وسراجا منيرا، وهاديا وبشيرا ونذيرا، صلى الله عليه، وعلى آله وصحبه، وعلى من ارتضى الله ربا، والإسلام دينا، ومحمدا نبيا ورسولا، والقرآن شِرْعَةً ومِنْهَاجًا. وبعد:

فإني بعد ما انتهيت بفضل الله تعالى من دراسة الماجستير والتي كان موضوعها [القصر بالأدوات في القرآن الكريم دراسة إحصائية بلاغية تفسيرية ] شَغُفَتْ نفسي شغفا بالمتابعة، متابعة البحث وطلب العلم، فعزمت على دراسة الدكتوراه، وكعادة طلاب الدراسات العليا، كانت المشكلة الكبرى تتمركز في اختيار موضوع جدير بالبحث والدراسة، لكني كنت قد حددت مساري سلفا، حين اخترت القرآن، وجعلته محل دراستي وبحثي في الماجستير، ومن فضل الله ألبستني هذه الدراسة من حُلَل العلم ما لا يقدر بكنوز الأرض، وإلى جانب ما ألبستنيه من تلك الحلل، قد أمتعتني متعةً عظيمة، فما أشد سعادتي حين كنت أقف على فكرة جديدة! وما أجمل أن تجلس بين يدي العلماء في كتبهم تناقشهم وتحاورهم!

وعزمت على أن أداوم الجلوس بين أيديهم، أجمع عقلي إلى عقولهم، عساي أن أضيف ولو نزرا قليلا إلى صرح العلم، وأجتهد أن أضع لبنة أرفع به بناء هذا الصرح المجيد.

ولَمَّا كان مسار الدراسة ومجالها مُحَدَّدين سلفا، بقي لي أن أقف على موضوع جدير بالبحث، والحمد لله ذي الفضل والْمِنَّة، كان من فضائل الدراسة السابقة – الماجستير – أن

---

[١٢] قال الله تعالى : {شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ }(آل عمران١٨)

أوحت إليَّ بمجال رسالة الدكتوراه، ألا وهو [ المتشابه اللفظي في القرآن الكريم ]، حيث إن بعض مباحث الدراسة السابقة تقف في بعض المحطات على بعض أسرار آيات القصر بالأدوات التي تشابه لفظها، فراق لي النظر في الموضوع وتناوله بالبحث.

وحيث إني وقفت على أن الكثرة الكاثرة من المفسرين يقولون بالتكرار في القرآن[١٣] وهذا ما ننكره، ولا نقبله، حيث إن التكرار في القرآن غير قائم، فإن كان هناك تشابه أو تكرار، فإنما هو اللفظ دون المعنى، ما تشابه وما تكرر إلا الثوب الخارجي، أما المعنى فمغاير، مختلف من آية لأخرى، وإن تشابه ألفاظها.

ما أقلَّها تلك الدراسات التي خاضت غمار وأمواج هذا العلم [توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم] !! فإن هذا العلم ما زال بكرا غضا، فلو تخيلنا هذا العلم إنسانا، لكان هذا الإنسان في مرحلة الصبا بعد، رغم أن عمره الآن أكثر من ألف سنة، حيث إن البحث الجدي فيه قد بدأ على يد الإسكافي المتوفَّى سنة ٤٢٠ من الهجرة، ورغم هذا العمر الطويل، وتلك السنون التي تربو على الألف، ما زال بعد في مرحلة الصبا، فما أوتينا من ثماره إلا أقلها، وما سبر أحد أغواره بعد، فكل من خاضوا عُبَابَ هذا العلم لم يزيدوا على أن سبحوا على شاطئه دونما الغَوْص في أعماقه، وذلك لأنه بعض كتاب الله العظيم، القرآن الكريم، الذي لا يؤتي أحدا بعض فُيُوضِه إلا بِقَدَر، فَبَيْنَ الْحِين والآخر نجد من يطلع علينا بالجديد اللطيف في هذا الكتاب الخالد العظيم.

"وحاجة الأمة لمثل هذه الدراسات ماسَّة، مُلِحَّة، وذلك لما وقعت فيه الأمة من تجهيل، وتضليل، وتغفيل من أعدائها، وأذنابهم من العلمانيين، والمنافقين، والملحدين، والخونة

---

[١٣] من ذلك مثلا: ابن كثير حين وصل إلى قول الله تعالى: ﴿ وَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَأَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ﴾ (التوبة٨٥) قال: "قد تم تفسير نظير هذه الآية الكريمة ولله الحمد والمنة " يقصد الآية ٥٥ من التوبة حيث تشابه لفظ الآيتين. ابن كثير ، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م، تفسير القرآن العظيم، بيروت: دار الفكر، ج٢، ص ٤٦/ والشنقيطي حين وصل إلى قول الله تعالى: ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾ (الواقعة٧٥-٧٦) قال: "قد قدمنا الكلام عليه في أول سورة النجم " راجع: الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ج٧، ص٥٣٧.

العاملين على هدم صرح هذه الأمة بهدم الدين؛ لأنهم يعلمون أن بناء الأمة قائم بهذا الدين، فمتى أخرجوها من ملتها، ضاعت، وهانت، وذلت"[١٤]

وكأني بالعلامة الباقلاني رأى حالنا هذه فقال: "لا سيما والجهل ممدود الرواق، شديد النفاق، مستول على الآفاق، والعلم إلى عَفَاء ودروس، وعلى خفاء وطموس، وأهله في جفوة الزمن البهيم يقاسون .. فالناس بين رجلين، ذاهب عن الحق، ذاهل عن الرشد، وآخر مصدود عن نصرته، مكدود في صنعته، وقد أدى ذلك إلى خوض الملحدين، وتشكيكهم أهل الضعف في كل يقين، وقد قل أنصاره، واشتغل عنه أعوانه، وأسلمه أهله، فصار عرضة لمن شاء أن يتعرض فيه، حتى عاد مثل الأمر الأول[١٥] .. وليس هذا ببديع من ملحدة هذا العصر .. والجهل في هذا الوقت أغلب، والملحدون فيه عن الرشد أبعد"[١٦]

ومواطن المتشابه اللفظي في القرآن كثيرة، وقد يشق على الباحثين والدارسين الوقوف على إحصاء دقيق لهذه المواطن، خاصة تلك التي تتعلق بتكرار بعض آية، قال صاحب القواعد الذهبية: "وإذا كان القرآن فيه نحواً من ستة آلاف آية ونيف، فإن هناك نحواً من ألفي آية فيها تشابه بوجه ما، قد يصل أحياناً حد التطابق، أو الاختلاف في حرف واحد، أو كلمة واحدة، أو اثنتين، أو أكثر"[١٧]. هذه المواطن في حاجة ماسة لبيان سر التشابه بينها، وهل تكرر المعنى بتكرار اللفظ؟ وصدق من قال: "ومواطنه أي المتشابه اللفظي ... لا يزال كل موطن منها جديرًا لأن يفرد في الطلب، وتحليل هذا التشابه وبيانه أمر اجتهادي لا يزال يتجدد، وفهم يؤتيه الله من يشاء، و أسرار هذا الكتاب لا تنقطع عمن أَعْمَلَ القلب، والفكر، والنظر"[١٨]

وهذه دراسة وبحث في القرآن الكريم موضوعها [توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم بين القدامى والمحدثين، أحمد الغرناطي فاضل السامرائي نموذجا، دراسة مقارنة] أتقدم بها إلى جامعة ملايا الموقرة، لنيل درجة الدكتوراه، راجيا بها وجه الله تعالى وفضله، ورغبةً في العلم والاستزادة والعبِّ منه، ثم رجاءَ أن أَشْرُفَ بخدمة كتاب الله العظيم، وفرقانه الذي لا

---

[١٤] الجبالي، محمد رجائي أحمد، ٢٠٠٨، القصر بالأدوات في القرآن الكريم دراسة إحصائية بلاغية تفسيرية، ط١، دار السلف الصالح، المنصورة، مصر، ص ٩.

[١٥] أي الجاهلية الأولى.

[١٦] الباقلاني، أبو بكر، إعجاز القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، ط٣، دار المعارف، مصر، القاهرة، ص ٥.

[١٧] عبد الرحمن ابن عبد الخالق ، القواعد الذهبية في حفظ القرآن وتدبره، ج١، ص١٥، ويمكن تصفحه في: http://bookstree.com/books/6/6.htm

[١٨] لبيب جبران محمد صالح، ٢٠٠٨، رسالة دكتوراه، جامعة ملايا، أكادمية الدراسات الإسلامية، كلية أصول الدين، قسم القرآن والحديث، ص٥.

يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وما أعظم ذلك شرفا! أن يضع المسلم نفسه في خدمة كتاب الله.

ومِنْ ثَمَّ أتقدم بهذه الدراسة لجامعتكم الموقرة راجيا الله تعالى أن تحظى بالقبول، وأن تتيحوا لي فرصة القيام على خدمة كتاب الله والْعَبِّ من بحر علومه الزاخر.

واللهَ أسأل التوفيق والسداد

محمد رجائي أحمد الجبالي

## الباب الأول

# مدخل إلى علم المتشابه اللفظي
# التعريف، والنشأة، والتطور

### الفصل الأول:

### توجيه المتشابه اللفظي معجميا واصطلاحيا وبلاغيا

المبحث الأول: [ توجيه . المتشابه . اللفظي ] معجميا.

المبحث الثاني: توجيه المتشابه اللفظي اصطلاحيا.

المبحث الثالث: المتشابه اللفظي بلاغيا.

### الفصل الثاني:

### نشأة علم المتشابه اللفظي وتطوره وأنواعه

المبحث الأول: تقاسيم مراحل نشأة علم المتشابه اللفظي وتطوره.

المبحث الثاني: مراحل تطور علم المتشابه اللفظي.

المبحث الثالث: أنواع المتشابه اللفظي في القرآن الكريم.

# الفصل الأول:

# توجيه المتشابه اللفظي معجميا واصطلاحيا وبلاغيا

## المبحث الأول:

## [توجيه . التشابه . اللفظي] معجميا

### المطلب الأول: [توجيه] معجميا:

لقد نظرتُ في عناوين كتب المتشابه اللفظي – أكثرها – أبحث عمن استخدم هذا اللفظ [توجيه] مع المتشابه اللفظي، فما وجدت غير عالمين جليلين، أولهما الكرماني في كتابه [البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان]، والغرناطي في كتابه [ملاك التأويل القاطع لذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظي] وكلاهما علم بارز في هذا العلم، إذ أنهما من أوائل من صنفوا فيه، إلا أن الناظر بعد هذين العالمين في عناوين كتب المتشابه اللفظي، يجد أنها قد خلت من هذا اللفظ، حتى قُبَيْل سنوات قليلة في دراسة أخينا محمد بن راشد البركة للماجستير [المتشابه اللفظي في القرآن وتوجيهه، دراسة موضوعية][19] وجاءت في جزأين، وكانت محاولة منه لتقعيد البحث في علم المتشابه اللفظي، إلا أن كتب القراءات قد درج الكثير منها على استخدام اللفظ، أو ما يقاربه، خاصة الكتب المتأخرة[20].

وفيما يلي عرض موجز يبين التصريف المعجمي للفظ [توجيه]:
فَصَّلَ ابن منظور في مادة [وجه] في اللسان تفصيلا واسعا[21]، واخترت من تفصيله ما يأتي:

---

[19] محمد بن راشد بن محمد البركة ، المتشابه اللفظي في القرآن وتوجيهه ، دراسة موضوعية ، ماجستير ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

[20] فمن الكتب المتقدمة: وجوه الإعراب والقراءات لأبي إسحاق أحمد بن محمد الثعلبي (ت٤٢٧هـ)، والجمع والتوجيه لما انفرد به الإمام يعقوب بن إسحاق الحضرمي، لأبي الحسن شريح بن محمد الرعيني (ت٥٣٩٩هـ) ومن الكتب المتأخرة: مواكب النصر في توجيه القراءات العشر، لمحمود بن علي بسه الحنبلي المتوفي آخر القرن الرابع عشر الهجري، الدرر المتناثرة في توجيه القراءات المتواترة، لابن العباس أحمد بن محمد بن عجيبة (ت١٢٢٤هـ) وقلائد الفكر في توجيه القراءات العشر ن لمحمد الصادق قمحاوي (ت١٤٠٥هـ) وقد أصبح اصطلاح [ توجيه ] هو الغالب في مسميات المصنفات المتأخرة في علم القراءات.

[21] ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي بن أحمد بن أبي القاسم بن حيفة بن منظور ، اللسان، تحقيق: عبد الله علي الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي، ط، القاهرة، دار المعارف، مج٦، ج٥٣، ص٤٧٧٥ – ٤٧٧٨.

والوجْهُ: الجاهُ. ورجل مُوَجَّهٌ ووَجِيهٌ ذو جاه. وقد وَجُهَ وَجاهةً وأَوْجَهَه: جعل له وجْهاً عند الناس. وقد وَجُه الرجلُ بالضم: صار وَجِيهاً أَي: ذا جاهٍ وقَدْر. وأَوجَهَه الله أَي: صَيَّرَه وَجِيهاً. ووجَّهَه السلطانُ وأَوجَهَه: شرَّفَه.

والوَجْهُ: الْمُحَيَّا. وقال تعالى: ﴿ فَأَقِم وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ﴾ (الروم٣٠)، أَي: اتَّبِع الدِّينَ القَيِّمَ، وأَراد فأَقيموا وجوهكم، يدل على ذلك قوله عز وجل بعده: ﴿ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ ﴾ (الروم٣١)، والمخاطَبُ النبيُّ صلى الله عليه وسلم والمراد هو والأُمَّةُ والجمع: أَوْجُهٌ ووُجُوهٌ ...وقوله عز وجل: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ (القصص٨٨)، قال الزجاج أَراد إلا إِيَّاهُ، وفي الحديث: "لتُسَوُّنَّ صُفُوفَكُمْ أَو لَيُخالِفَنَّ الله بين وُجُوهكم"[٢٢] أَراد وُجوهَ القلوب، كحديثه ﷺ الآخر: " لا تَخْتَلِفُوا فتَخْتَلِفَ قُلُوبكم "[٢٣] أَي هَوَاها وإِرادَتُها.

وفي حديث أَبي الدَّرْداءِ: "لا تَفْقَهُ حتى تَرَى للقرآن وُجُوهاً "[٢٤] أَي تَرَى له مَعَانِيَ يحتملها، فتَهابَ الإِقْدامَ عليه.

ووُجُوهُ البلد: أَشرافُه. ووُجُوهُ القوم: سادتهم، وأحدهم وَجْهٌ، وكذلك: وُجَهاؤهم وأحدهم وَجِيهٌ.

ويقال: هذا وَجْهُ الرأْيِ أَي: هو الرأْيُ نَفْسُه (مبالغة)[٢٥]. واتَّجَهَ له رأْيٌ أَي: سَنَحَ. وصَرَفَ الشيءَ عن وَجْهِهِ أَي: عن سَنَنِهِ. وجِهَةُ الأَمرِ: وجَهَتُهُ ووِجْهَتُه. ووُجْهَتُهُ: وَجْهُهُ.

---

[٢٢] رواه الشيخان: البخاري، محمد بن إسماعيل، أبو عبد الله البخاري الجعفي، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م، تحقيق: مصطفى البغا، ط٣، بيروت، دار ابن كثير، رقم ٦٨٥،، ج١، ص٢٥٣ / ومسلم، أبو الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسبوري، الجامع الصحيح المسمى بصحيح مسلم، بيروت، دار الجيل، ودار الآفاق الجديدة، رقم ١٠٠٦، مج١، ج٢، ص٣١

[٢٣] رواه مسلم ، رقم١٠٠٠، ج٢، ص٣٠ / وأبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود، بيروت، دار الكتاب العربي، رقم٦٦٤، ج١، ص٢٥٠، تعليق الألباني: صحيح / وسنن الترمذي ، رقم٢٢٨، ج١، ص٤٤٠، والترمذي، محمد بن عيسى الترمذي السلمي، الجامع الصحيح سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، بيروت، دار إحياء التراث، تعليق الألباني: صحيح / وابن ماجه، محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني، سنن ابن ماجة، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار الفكر العربي، رقم٩٧٦، ج١ن ص٣١٢، تعليق الألباني: صحيح/ أحمد، أبو عبد الله أحمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعادل مرشد، وآخرون، ط١، مؤسسة الرسالة، رقم٤٣٧٣، ج١ن ص٤٥٧، مذيل بتعليق شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم / والحاكم، محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، ١٤١١هـ-١٩٩٠م، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، مذيل بتعليق الذهبي في التخليص، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، رقم٢١١٢ن ج١، ص٧٦٥.

[٢٤] ورد هذا الأثر لدى أبي شيبة ، أبو بكر عبد الله محمد بن أبي شيبة العبسي الكوفي، مصنف أبي شيبة، تحقيق: محمد عونة، طبعة الدار السلفية الهندية القديمة، رقم٣٠٧٨٩، ج١٠، ص٥٢٧ / ولدى عبد الرزاق، أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، ١٤٠٣هـ، مصنف عبد الرزاق، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، بيروت، المكتب الإسلامي، رقم٢٠٤٧٣، ج١١، ص٢٥٥ / ولدى النمري القرطبي، أبي عمر يوسف بن عبد الله، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م، جامع بيان العلم وفضله، تحقيق: أبو عبد الرحمن فواز أحمد زمرلي، ط١، مؤسسة الريان، ودار ابن حزم، رقم٧٩١، ج٢، ص١٠٠.

[٢٥] زاد هذه اللفظة (مبالغة) مرتضى الزبيدي في التاج: محمد بن عبد الرزاق الحسيني ابو الفيض، تاج العروس من جواهر القاموس، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م، تحقيق: علي هلالي، ط٢، الكويت، إصدار وزارة الإعلام، سلسلة التراث العربي، ج٣٦ ، ص٥٣٦.

وقلت كذا على جِهَةِ كذا. وفعلت ذلك على جهة العدل. وجهة الجور. والْجِهة النَّحْو، تقول: كذا على جهة كذا.

وما له جِهَةٌ في هذا الأَمرِ ولا وِجْهَةٌ أَي: لا يبصر وجْهَ أَمره، كيف يأْتي له؟!

وضَلَّ وِجْهَةَ أَمْرِهِ أَي: قَصْدَهُ.

وفي حُسْنِ التدبير يقال: ضرب وجْهَ الأَمر وعيْنَه.

والوَجْهُ والجِهَةُ: بمعنىً، والهاء عوض من الواو. والاسم الوِجْهَةُ والوُجْهَةُ بكسر الواو وضمها.

وقعدت تُجاهَكَ وتِجَاهَكَ أَي تِلْقاءَك.

وزاد صاحب **التاج**:

"الوجه: مستقبل كل شيء. ومنه قوله تعالى: ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾ (البقرة١١٥)"[٢٦]

والجِهَةُ والوِجْهَةُ جميعاً: الموضعُ الذي تَتَوَجَّهُ إليه وتقصده. والوِجهةُ والوُجهةُ: القِبلةُ.

ويقال: وَجَّهَتِ الريحُ الحصى تَوْجِيهاً إذا ساقته.

ويقال: قاد فلانٌ فلاناً فوَجَّه أَي: انقاد واتّبع.

وشيءٌ مُوَجَّهٌ: إذا جُعِلَ على جِهَةٍ واحدة.

**المعجمان الوسيط**[٢٧] **والوجيز**[٢٨] كادا يتفقان لفظا في تناول مادة [ و ج ه ] وقد انتخبتُ منهما ما يأتي:

ويقال وَاجَهَهُ بقول أو نقد: جَبَهَهُ به وراجعه.

ووَجَّهَ فلانا في حاجة: أرسله. وفلانا: جعله يَتَّجِهُ اتِّجَاهًا معينا.

واتَّجَهَ إليه: أقبل بِوَجْهِه عليه. وتَوَجَّهَ إليه: ذهب. وجِهَةَ كذا: انطلقْ إليها.

والوجه من المسألة: ما ظهر لك منها.

والوجه: القصد، والسَّنَنَ، يقال: صرف الشيء عن وَجْهِهِ: سَنَنِه. والصِّحَّة، ويقال: ليس لكلامه وَجْهٌ. ومن الكلام: السبيل الذي تقصده به. والجمع: وُجُوهٌ وأَوْجُهٌ وأُجُوهٌ.

---

[٢٦] المصدر السابق، ج٣٦، ص٥٣٥- ٥٤٠

[٢٧] المعجم الوسيط، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م، مجمع اللغة العربية، مصر، مكتبة الشروق الدولية، ج٢، ص١٠١٥.

[٢٨] المعجم الوجيز ،١٤٢١هـ - ٢٠٠٠ م ، مجمع اللغة العربية ، طبعة جديدة شرعية ، مطابع الأهرام التجارية ، قليوب مصر ، مكتبة دبي للتوزيع ص(٦٦١-٦٦٢).

والتَّوْجِيهُ: في البلاغة: إيراد الكلام مُحْتملا لوجهين مختلفين.
والتوجيه في الشعر: حركة الحرف قبل الروي المقيد.

**خلاصة القول**: يمكننا أن نَخْلُص مما سبق بأن:

[**توجيه**] تعنى في اللغة:
**بيان الوجوه التي يتجه إليها أمر ما، هذا الأمر يحتمل في ذاته وجوها من المعاني تختلف باختلاف الوجهة التي يسلكها هذا الأمر.**

## المطلب الثاني: المتشابه معجميا

في هذا المطلب سوف أعتمد على تفصيل صاحب اللسان في مادة [شبه]، ثم أشير إلى بعض ما ورد في معاجم اللغة الأخرى من زيادات أو اختلافات، فقد فَصَّلَ ابن منظور في هذه المادة تفصيلا واسعا[٢٩] وقد انْتَخَبْتُ -بتصريف- من تفصيله ما يلي:

الشِّبْهُ والشَّبَهُ والشَّبِيهُ: المِثْلُ، والجمع أَشْباهٌ.

وأَشْبَه الشيءُ الشيءَ: ماثله. وفي الْمَثَلِ: مَنْ أَشْبَه أَباه فما ظَلَم.

وأَشْبَه الرجلُ أُمَّه، وذلك إذا عجز وضَعُفَ.

وأَشْبَهْتُ فلاناً، وشابَهْتُه، وتَشابَه الشيئانِ، واشْتَبَها: أَشْبَهَ كلُّ واحدٍ صاحِبَه. وتقول أَشْبَهَ فلانٌ أَباه، وأَنت مثله في الشِّبْه والشَّبَه. وفيه مَشابهُ من فلان أَي: أَشْباهٌ. وتقول في فلان شَبَهٌ من فلان، وهو شِبْهُه وشَبَهُه وشَبِيهُه. وقوله تعالى: ﴿ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ﴾ (البقرة٢٥)، ليس من الاشْتِباهِ الْمُشْكِل، إنما هو من التشابُه الذي هو بمعنى الاستواء. وكذلك كل شيء يكونُ سَواءً فإنها أَشْباهٌ. وفي الحديث: "عن زيادٍ السَّهْمِيّ قال: نهى رسولُ الله ﷺ أَن تُسْتَرْضَعَ الحمْقاء فإن اللَّبَنَ يُشَبَّه"[٣٠]. وفي التنزيل: ﴿ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ﴾ (الأنعام٩٩).

وشَبَّه: إذا ساوى بين شيء وشيء. وفيه شُبْهَةٌ منه: أَي شَبَهٌ، وفي الحديث "الدِّياتِ دِيَةُ شِبْهِ العَمْدِ[٣١] أَثْلاثٌ"[٣٢]

والْمُتَشابِهاتُ: الْمُتَماثِلاتُ. وتَشَبَّهَ فلانٌ بكذا. والتَّشْبِيهُ: التمثيل.

وشَبَّه الشيءُ: إذا أَشْكَلَ.

والْمُشْتَبِهاتُ من الأُمور: الْمُشْكِلاتُ، وتقول: شَبَّهْتَ عليَّ يا فلانُ إذا خَلَّطَ عليك.

واشْتَبَه الأَمْرُ: إذا اخْتَلَطَ واشْتَبه عليَّ الشيءُ.

والشُّبْهةُ: الالتباسُ. وأُمورٌ مُشْتَبِهةٌ ومُشَبِّهَةٌ، وجمعُ الشُّبْهةِ: شُبَهٌ.

---

[٢٩] ابن منظور، لسان العرب، مج٤، ج٢٤، ص٢١٨٩- ٢١٩١

[٣٠] ومعناه أن المُرْضِعَة إذا أَرْضَعَتْ غلاماً فإنه يَنْزِعُ إلى أَخلاقِها فيُشْبِهُها ولذلك يُختار للرَّضاعِ امرأَةٌ حَسَنَةُ الأَخلاقِ صحيحةُ الجسم عاقلةٌ غيرُ حَمْقاء. البيهقي، أحمد لن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤، سنن البيهقي الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكة المكرمة، مكتبة دار الباز، رقم١٥٤٦٠، ج٧، ص٤٦٤. وقال عنه حديث مرسل.

[٣١] هو أَن ترمي إنساناً بشيءٍ ليس من عادته أَن يَقْتُل مِثْلُه وليس من غَرَضِكَ قتله فيُصادِفَ قَضاءً وقَدَراً فيَقَعَ في مَقْتَلٍ فيَقْتُل فيجب فيه الديةُ دون القصاص.

[٣٢] سنن أبي داود، رقم٤٥٥٣، ج٤، ص٣١١،/ وقال عنه الألباني في صحيح وضعيف مسند أبي داود: ضعيف الإسناد ،رقم٤٥٥١، ج١٠، ص٥١.

وشَبَّهَ عليه : خَلَّطَ عليه الأَمْرَ حتى اشْتَبه بغيره. وفي التنزيل العزيز: ﴿ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ ﴾ (آل عمران٧)، وقد ذكر المفسرون للمحكم والمتشابه وجوها عدة[٣٣].

**وفي لفظٍ آخر لصاحب القاموس المحيط:**

تَشابَهَا واشْتَبَها: أَشْبَهَ كُلٌّ منهما الآخَرَ حتى الْتَبَسا.

وأُمورٌ مُشْتَبِهَةٌ ومُشَبَّهَةٌ: مُشْكِلَةٌ.

وشُبِّهَ عليه الأَمْرُ تَشْبيهاً: لُبِّسَ عليه.

**وزاد الجرجاني**[٣٤] :

التَّشَابُه في الملأ: أن تكون أجزاؤه متفقة الطبائع.

والْمُتَشَابِهُ: هو ما خفي بنفس اللفظ، ولا يرجى دَركه أصلاً، كالمقطعات في أوائل السور[٣٥].

**وللمعجم الوسيط** بيان بديع مُيَسَّر لمادة شبه[٣٦]، أسوق إليكم منه في إيجاز وتصرف ما يلي:

---

[٣٣] جمعها الشوكاني: محمد بن علي بن محمد الشوكاني، في فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، حققه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد الرحمن عميرة، دار الوفاء، ج١، ص٥٢٧- ٥٢٨ / وبسطها ابن الجوزي، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م، ط٣، بيروت، ودمشق، المكتب الإسلامي، ج١، ص٣٥٠- ٣٥١، بأسلوب يسير، قال:" قوله تعالى: ﴿ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ ﴾ المحكم: المتقن المبيّن، **وفي المراد به هاهنا ثمانية أقوال** . **أحدها**: أنه الناسخ، قاله ابن مسعود، وابن عباس، وقتادة، والسدي. **والثاني**: أنه الحلال والحرام، روي عن ابن عباس ومجاهد. **والثالث**: أنه ما علم العلماء تأويله . روي عن جابر بن عبد الله . **والرابع** : أنه الذي لم ينسخ، قاله الضحاك. **والخامس**: أنه ما لم تتكرر ألفاظه، قاله ابن زيد. **والسادس**: أنه ما استقل بنفسه، ولم يحتج إلى بيان، ذكره القاضي أبو يعلى عن الإمام أحمد. وقال الشافعي، وابن الأنباري: هو ما لم يحتمل من التأويل إلا وجهاً واحداً، **والسابع**: أنه جميع القرآن غير الحروف المقطعة . **والثامن**: أنه الأمر والنهي، والوعد والوعيد، والحلال والحرام، ذكر هذا والذي قبله القاضي أبو يعلى.. **وفي المتشابه سبعة أقوال**: **أحدها**: أنه المنسوخ، قاله ابن مسعود، وابن عباس، وقتادة، والسدي. **والثاني**: أنه ما لم يكن للعلماء إلى معرفته سبيل، كقيام الساعة، روي عن جابر بن عبد الله. **والثالث**: أنه الحروف المقطعة كقوله: «الم» ونحو ذلك، قاله ابن عباس. **والرابع**: أنه ما اشتبهت معانيه، قاله مجاهد. **والخامس**: أنه ما تكررت ألفاظه، قاله ابن زيد. **والسادس**: أنه ما احتمل من التأويل وجوهاً. وقال ابن الأنباري: المحكم ما لا يحتمل التأويلات، ولا يخفى على مميّز، والمتشابه: الذي تعتوره تأويلات. **والسابع**: أنه القصص، والأمثال، ذكره القاضي أبو يعلى، وللشوكاني رحمه الله رأي في هذه الأقوال-ج١ ، ص٤٢٧- أميل إليه وأنقله بتصريف: حيث مال إلى قول الذين جعلوا المحكم ما وجد إلى علمه سبيل، والمتشابه ما لا سبيل إلى علمه، قال:ولا شك أن مفهوم المحكم، والمتشابه أوسع دائرة مما ذكروه، فإن مجرد الخفاء، أو عدم الظهور، أو الاحتمال، أو التردّد يوجب التشابه، ورد على الذين حصوا المحكم بما ليس فيه احتمال، والمتشابه بما فيه احتمال، قال: لا شك أن هذا بعض أوصاف المحكم، والمتشابه لا كلها.. والأمر أوسع مما قالوه جميعاً ..ورد على الذين خصوا المحكم بما يقوم بنفسه، والمتشابه بما لا يقوم بها، قال: وأن هذا هو بعض أوصافهما، وقال قريب من ذلك على باقي الأقوال.

[٣٤] الجرجاني، علي بن محمد علي الجرجاني، التعريفات، تحقيق: إبراهيم الإبياري، ط١، بيروت، دار الكتاب العربي، ص٢٩٣

[٣٥] المصدر السابق، ص٢٥٣.

[٣٦] إبراهيم أنيس، عبد الحليم منتصر، عطية الصوالحي، محمد خلف الله أحمد، بإشراف: حسن علي عطية، محمد شوقي أمين، المعجم الوسيط، ج١، (ص٩٧٨-٩٧٩). وجاءت هذه المادة بنفس هذا النص بإيجاز طفيف في المعجم الوجيز ،١٤٢١هـ - ٢٠٠٠ م ، مجمع اللغة العربية ، طبعة جديدة شرعية ، مطابع الأهرام التجارية ، قليوب مصر ، مكتبة دبي للتوزيع ص(٣٣٤-٣٣٥)

شَبَّهَ الشيءَ بالشيء: مَثَّلَهُ وأَقَامَهُ مَقَامَه لِصِفَةٍ مُشْتَرَكَةٍ بينهما. شَابَهَهُ: أَشْبَهَهُ.

وتَشَابَهَ الشيئان: أشبه كُلٌّ منهما الآخر حتى الْتَبَسَا. وفي التنزيل العزيز: ﴿ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا ﴾ (البقرة٧٠).

وتَشَبَّهَ بغيره: مَاثَلَهُ وجَارَاه في العمل.

والتَّشْبِيه: التَّمْثِيل، وعند البيانيين: إِلْحَاقُ أَمْرٍ بأَمْرٍ لصفة مشتركة بينهما كَتَشْبِيه الرجل بالأسد في الشجاعة.

والشِّبْهُ والشَّبِيهُ: الْمِثْلُ، والجمع: أَشْبَاهٌ.

والْمَشَابِهُ: الأَشْبَاهُ جمع: شَبَهٌ – على غير قياس – يقال فيه مَشَابِهُ من فلان.

وشَبَّهَ عليه الأمرَ: أَبْهَمَهُ عليه حتى اشْتَبَهَ بغيره.

وشُبِّهَ عليه وله: لُبِّسَ. وفي التنزيل العزيز: ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾ (النساء١٥٧). واشْتَبَهَ الأمرُ عليه: اخْتَلَطَ. واشتبه في المسألة: شَكَّ في صِحَّتَها.

والشُّبْهَةُ: الالْتِبَاس، وفي الشَّرْع: ما الْتَبَسَ أَمْرُهُ، فلا يدرى أَحَلالٌ هو أم حَرَامٌ، وحَقٌّ هو أم بَاطِلٌ، والجمع: شُبَهٌ.

والْمُتَشَابِهُ: النَّصُّ القرآني يَحْتَمِلُ عدة معان، وفي التنزيل العزيز: ﴿ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ﴾ (آل عمران٧).

وورد في **القاموس الفقهي**:

الْمُتَشَابِهُ في القرآن الكريم: الْمُتَمَاثِل. ومنه قول الله تعالى: ﴿ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ﴾ (الأنعام١٤١)، أي: متشابه في المنظر، وغير متشابه في المطعم. وهو أيضا الذي يقابل المحكم. وهو ما أشكل تفسيره لمشابهته غيره، إما من حيث اللفظ، أو من حيث المعنى، أو من حيث اللفظ والمعنى معا[٣٧].

[٣٧] سعدي أبو حبيب، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م، القاموس الفقهي لغة واصطلاحا، ط٢، دمشق، دار الفكر، ص١٩٠.

وفي الحديث: "الْحَلَالُ بَيِّنٌ وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لَا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنْ النَّاسِ فَمَنْ اتَّقَى الْمُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ كَرَاعٍ يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ"[٣٨]

ولابن قتيبة في **المشكل** زيادة لطيفة قال:

وأصل التّشابه: أن يشبه اللفظ اللفظ في الظاهر، و المعنيان مختلفان. قال اللّه عز وجل في وصف ثمر الجنة: ﴿ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ﴾ (البقرة٢٥)، أي متّفق المناظر، مختلف الطّعوم.

وقال: ﴿ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ (البقرة١١٨)، أي يشبه بعضها بعضا في الكفر والقسوة.

ومنه يقال: اشتبه عليّ الأمر، إذا أشبه غيره فلم تكد تفرّق بينهما.

وشبّهت عليّ: إذا لبّست الحقّ بالباطل، ومنه قيل لأصحاب المخاريق: أصحاب الشّبه؛ لأنهم يشبّهون الباطل بالحق[٣٩].

وفي لفظ آخر لصاحب **المصباح المنير** :

شَبَّهْتُ الشَّيْءَ بِالشَّيْءِ: أَقَمْتُهُ مُقَامَهُ لِصِفَةٍ جَامِعَةٍ بَيْنَهُمَا. وَأَشْبَهَ الْوَلَدُ أَبَاهُ وَشَابَهَهُ: إذَا شَارَكَهُ فِي صِفَةٍ مِنْ صِفَاتِهِ.

وَاشْتَبَهَتْ الْأُمُورُ وَتَشَابَهَتْ: الْتَبَسَتْ فَلَمْ تَتَمَيَّزْ وَلَمْ تَظْهَرْ[٤٠].

**وقد مَيَّزَ أبو البقاء، والأصفهاني**[٤١] أنواع المتشابه – ضد المحكم – في لفظ واحد تقريبا قالا: "اعلم أن المتشابه على ثلاثة أضرب:

- ضرب لا سبيل إلى الوقوف عليه كوقت الساعة ونحو ذلك.
- وضرب للإنسان سبيل إلى معرفته كالألفاظ الغريبة والأحكام المغلقة.
- وضرب متردد بين الأمرين يختص بمعرفة حقيقته بعض الراسخين في العلم، ويخفى على من دونهم، وهو المشار إليه بقوله ﷺ لابن عباس: "اللهم فَقِّهْهُ في

[٣٨] رواه الشيخان: البخاري ، رقم ٥٢ ، ج١ ، ص٢٨ / و مسلم، رقم ٤١٧٨، ج٥ ، ص٥٠.

[٣٩] ابن قتيبة أبي محمد عبد اللّه بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، ٢٠٠٧م ، تأويل مشكل القرآن، تحقيق إبراهيم شمس الدين، ص٦٨

[٤٠] الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقري، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، بيروت، المكتبة العلمية، ج١، ص٣٠٣- ٣٠٤

[٤١] المصدر السابق، ج١، ص٥٢٥. / وأبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكوفي ، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م ، الكليات [معجم في المصطلحات والفروق اللغوية]، تحقيق: عدنان درويش – محمد المصري ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ص٨٤٦-٨٤٧

الدين وعلِّمْه التأويل "[42]، وإذا عرفت هذا فقد وقفت على أن الوقف على قوله: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ ﴾ وَوَصْلُه بقوله: ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ ﴾ كلاهما جائز[43].

أما **[المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم وقراءاته]** فقد تناول مشتقات مادة (شبه) في القرآن وفَصَّلَ في معانيها ما يلي:

**ش ب هـ / اشْتَبَه**

**مُشْتَبِه:** [اسم فاعل] مُفْتَعِل، مُتَقَارِبٌ يُشْبِهُ بعضُه بعضا من وجه ﴿ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ﴿٩٩﴾ ﴾ (الأنعام٩٩)، [التَّقَارُب، التَّشَابُه].

**ش ب هـ / تَشَابَه**

**تَشَابَهَ:** [ماضي مبني للمعلوم] تَفَاعَلَ

١- تَشَابَهَ الرجلان: أَشْبَهَ كُلٌّ منهما الآخر ﴿ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ (البقرة١١٨)، [التَّشَابُه].

٢- تَشَابَهَ الأَمْرُ: اخْتَلَطَ ﴿ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ﴾ (الرعد١٦)، [الاخْتِلاطُ].

**مُتَشَابِهٌ:** [اسم فاعل] مُتَفَاعِلٌ

---

[42] صحيح ابن حبان، رقم ٧٠٥٥، ج١٥، ص٥٣١، ، وعلق عليه شعيب الأرنؤوط: صحيح على شرط مسلم / ومسند أحمد، رقم ٢٣٩٧، ج٤، ص٢٢٥، وعلق عليه شعيب: إسناده قوي على شرط مسلم / ابن راهويه، إسحاق بن إبراهيم بن مخلد راهويه الحنظلي، ١٤١٢هـ- ١٩٩١م، مسند إسحاق بن راهويه، تحقيق الدكتور: عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي، ط١، المدينة المنورة، مكتبة الإيمان، ج٤، ص٢٣٠، رقم٣٢/ مسبد الحارث، الحارث بن أبي اسامة الحافظ نور الدين الهيثمي، ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م، بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث، تحقيق الدكتور: حسين أحمد صالح الباكري، ط١، المدينة المنورة، مركز خدمة السنة والسيرة النبوية، ج٢، ص٩١٧، رقم١٠٠٦ : وصححه الألباني في السلسلة، ج٦، ص٩٠، رقم٢٥٨٩.

[43] وقال أبو البقاء موضحا: ثم اعلم أن كل لفظ من القرآن أفاد معنى واحدا جليا يعلم أنه مراد الله تعالى، فما كان من هذا القسم فهو معلوم لكل أحد بالضرورة، وأما ما لا يعلمه إلا الله، فهو مما يجري مجرى الغيب، فلا مساغ للاجتهاد في تفسيره، ولا طريق إلى ذلك إلا بالتوقيف بنص من القرآن، أو الحديث أو الإجماع على تأويله، وأما ما يعلمه العلماء، فيرجع إلى اجتهادهم، وكل لفظ احتمل معنيين فصاعدا فهو الذي لا يجوز لغير العلماء الاجتهاد فيه، وعليهم اعتماد الشواهد والدلائل دون مجرد الرأي، فإن كان أحد المعنيين أظهر، وجب الحمل عليه، إلا أن يقوم دليل على أن المراد الخفي، وإن استويا، والاستعمال فيهما حقيقة، لكن في أحدهما حقيقة لغوية أو عرفية، وفي الآخر شرعية، فالحمل على الشرعية أولى، إلا أن يدل دليل على إرادة اللغوية، ولو كان في أحدهما عرفية، وفي الآخر لغوية، فالحمل على العرفية أولى، وإن اتفقا في ذلك، فإن لم يمكن إرادتهما باللفظ الواحد اجتهد في المراد منهما بالأمارات الدالة عليه، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، الكليات [معجم في المصطلحات والفروق اللغوية] ،٨٤٦-٨٤٧

١- يُشْبِهُ بعضُه بعضا، لونا أو جودة أو صورة، ويختلف طعما ﴿ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ﴾ (الأنعام٩٩). [التَّشَابُه].

٢- يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضًا ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا ﴾ (الزمر٢٣)، وقيل: يُشْبِهُ بعضُه بعضا في الإعجاز والنظم والتصديق.

**مُتَشَابِهَات**: [اسم فاعل / جمع مؤنث سالم] مُتَفَاعِلاتٌ، وتَحْتَمِل أكثر من وجه في التأويل أو غامضات لا تفهم معانيها ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ﴾ (آل عمران٧)، [الغموض].

**ش ب هـ / شَبَّهَ**

**شُبِّهَ**: [ماض مبني للمجهول] فُعِّلَ، وشُبِّهَ عليه الأمر: التبس واختلط ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾ (النساء١٥٧)، أي وقعت لهم الشبهة فظنوا أنهم صلبوا المسيح، وإنَّما صلبوا غيره. [الغموض][٤٤].

**الخلاصة:**

بعد هذا العرض لمادة [شبه] في كتب اللغة نخلص إلى أن هذا اللفظ [التشابه] يطوف بين معنيين أساسيين:

**الأول**: التماثل والتساوي، وقد يكون هذا التماثل شديدا، أو يكون في صفة أو جانب من الجوانب.

**الثاني**: الالتباس، والخلط، وعدم الوضوح، وعدم تمييز المقصود من الكلام، إما لاحتماله معان

متعددة، أو كونه من المغيبات، والتي يُتَجَنَّبُ الخوض فيها اختيارا للأولى والأسلم[٤٥].

---

[٤٤] أحمد مختار عمر، بمساعدة فريق عمل ، ١٤٢٣هـ ، ٢٠٠٢م، المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم وقراءاته، ط١، الرياض ، السعودية، ص٢٥٣، بتصرف.

[٤٥] ولأبي البقاء بيان رائع في هذا الأمر قال: ومسلك الأوائل أن يؤمنوا بالمتشابهات، ويفوضوا معرفتها إلى الله ورسوله ، ولذلك سموا بالمفوضة، ومسلك الأواخر أن يؤولوها بما ترتضيه العقول، ولذلك سموا بالمؤولة، وهم قسمان: قسم أصحاب الألفاظ، يؤولونها بالحمل على الحذف كما في: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ ﴾، و﴿ فَأَتَى ٱللَّهُ

## المطلب الثالث : اللفظي معجميا:

جاء في **اللسان** بيان واضح لمادة [لفظ]، سوف أختار منه ما يخدم موضوع البحث، ثم أشير إلى بعض ما ورد في كتب اللغة الأخرى حول هذه المادة مما لم يشر إليه ابن منظور، أو مما تجاوزتُه مفضلا لفظا آخر غير لفظ ابن منظور:

اللفظ: أَن ترمي بشيء كان في فِيكَ ، والفعل لَفَظ الشيءَ. يقال لفَظْتُ الشيء من فمي أَلفِظُه لَفْظاً: رميته، وذلك الشيء لُفاظةٌ.

واسم ذلك المِلْفوظ: لُفاظة ولُفاظ ولَفِيظٌ ولفْظ.

ولَفَظ الشيءَ وبالشيء: يَلْفِظُ لَفْظاً فهو مَلْفُوظ ولَفِيظ: رمى.

والدنيا لافِظة: تَلفِظ بمن فيها إِلى الآخرة أَي ترمي بهم.

والأَرض تلفِظ الميّت إِذا لم تقبله ورمَتْ به. وفي الحديث "ويَبْقى في كل أَرض شِرارُ أَهلِها تَلفِظُهم أَرضُوهم"[٤٦] أَي تَقْذِفُهم وترْمِيهم من لفَظ الشيءَ إِذا رَماه. وفي حديث[٤٧] عائشة رضي اللّه عنها: "فقاءتْ أُكُلَها ولَفَظَت خَبيئها"[٤٨]، [أَي أَظهرت ما كان قد اختبأَ فيها من النبات وغيره][٤٩].

---

بُنْيَـٰنَهُم ﴾ أو على المجاز المفرد كما في: ﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ أي: قدرة الله. وقسم أصحاب المعاني، يؤولونها بالحمل على التمثيل والتصوير، والمختار التفويض، لأن اللفظ إذا كان له معنى راجح ثم دل دليل أقوى منه على أن ذلك الظاهر غير مراد، علم أن مراد الله بعض مجازات تلك الحقيقة، وفي المجازات كثرة، وترجيح البعض لا يكون إلا بالتراجيح اللغوية الظنية، ومثل ذلك لا يصح الاستدلال به في المسائل القطعية، فيفوض تعبير ذلك المراد إلى علمه تعالى، فجميع أهل السنة سلفهم وخلفهم صرفوا المتشابهات من معانيها الحقيقية إلى المجازات، إما إجمالا بنفي الكيفيات، وتفويض تعيين المعنى المجازي المراد إلى الله تعالى مطلقا، أو بتعيين نوع المجاز، وهو الصفة، وتفويض تعيين تلك الصفة إلى الله تعالى، وهو أسلم وهو مختار الإمام أبي حنيفة، وصرح به الأشعري وأكثر السلف، راجع الكليات ص٨٤٧

[٤٦] مسند أحمد، ج١١، ص٤٥٥، رقم٦٨٧١ / الطبراني: سليمان بن أحمد بن ايوب أبو القاسم، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٤م، في مسند الشاميين، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط١، بيروت، مؤسسة الرسالة، ج٤، ص٧٢، رقم٣٧٦١ / وقال عنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: صحيح لغيره، ط٥، الرياض، مكتبة المعارف، ج٣، ص١٠٨، رقم٣٠٩١.

[٤٧] إنما كان ذلك الحديث خطبة لها رضي الله عنها حين بلغها أن هناك من يقع وينال من أبي بكر رضي الله عنه، فأرسلت إلى جماعة منهم وأسدلت أستارها وخطبت فيهم خطبة عظيمة رضي الله عنها، راجع هذه الخطبة كاملة لدى الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٣م، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط٢، الموصل، دار العلوم والحكم، ج٢٣، ص٤٨٤، رقم١٩٢٥٤.

[٤٨] الطبراني، المعجم الكبير، ج٢٣، ص٤٨٤، رقم١٩٢٥٤.

[٤٩] وهذا لفظ وبيان ابن الأثير في النهاية، راجع: ابن الأثير، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر محمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، بيروت، المكتبة العلمية، ج٤، ص٥٣٦.

والبحر يلفِظ الشيء: يَرمي به إلى الساحل. وفي حديث ابن عمر رضي اللّه عنهما، [أَنه سُئل عما لَفَظ البحر ، فنَهى عنه][٥٠]، أَراد ما يُلقِيه البحر من السمك إلى جانبه من غير اصْطِياد.

واللاَّفِظةُ: البحر، وفي المثل: [ أَسْخى من لافِظةٍ] يعنون: البحر؛ لأَنه يلفِظ بكلّ ما فيه من العَنبر والجواهر ، والهاء فيه للمبالغة.

واللُّفاظُ: ما لُفِظ به أَي طرح.. ولفَظ نفسَه يَلْفِظُها لَفْظاً كأَنه رمى بها.. ولفَظ الرجلُ: مات.

ولفَظ بالشيء يَلْفِظُ لَفظاً: تكلم، وفي التنزيل: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ (ق١٨)، ولَفَظْت بالكلام وتلَفَّظْت به أَي: تكلمت به. واللَّفْظ واحد الأَلْفاظ وهو في الأَصل مصدر"[٥١].

وفي إيجاز من لفظ **الفيروز آبادي** :

لَفِظَه، ولفَظ به، كضَرَبَ وسَمِعَ: رَماه، فهو مَلْفوظٌ ولَفيظٌ. وبالكلامِ: نَطَقَ، كتَلَفَّظَ[٥٢].

وزاد صاحب **التاج**:

ومن المِجازِ: لَفَظَ بالكَلامِ: نَطَقَ به كتَلَفَّظَ به، وكَذلِكَ لَفَظَ القَوْلَ: إِذا تَكَلَّمَ به.

والمِلْفَظُ: اللَّفْظُ والجَمْع المِلافِظُ[٥٣].

---

[٥٠] وللحديث بقية، جاء في الموطأ: وحَدَّثَنِي يَحْيَى عَنْ مَالِك عَنْ نَافِعٍ أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ أَبِي هُرَيْرَةَ سَأَلَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ عَمَّا لَفَظَ الْبَحْرُ فَنَهَاهُ عَنْ أَكْلِهِ قَالَ نَافِعٌ ثُمَّ انْقَلَبَ عَبْدُ اللَّهِ فَدَعَا بِالْمُصْحَفِ فَقَرَأَ : ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ ﴾ قَالَ نَافِعٌ فَأَرْسَلَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي هُرَيْرَةَ إِنَّهُ لَا بَأْسَ بِأَكْلِهِ" راجع مالك بن أنس، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م، الموطأ، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، ط١، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان، ج٣، ص٧٠٧، رقم١٨١٥ / وقد رواه البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي، السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي لابن التركماني، ط١، الهند حيدر آباد، مجلس دائرة المعارف النظامية، ج٩، ص٢٥٥، رقم١٩٤٥٨ /وللحديث ما يوطئه حيث سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ماء البحر فقال: "هُوَ الطَّهُورُ مَاؤُهُ الْحِلُّ مَيْتَتُهُ" وقد ورد هذا الحديث في أكثر كتب السنة، ج١، ص٨٦٤، رقم٤٨٠ ، وقد صححه الأباني،وقال عنه في الإرواء: رواه الخمسة وصححه الترمذي، وقال عنه في رواية الموطأ: وهذا إسناد صحيح رجاله كلهم ثقات، وقد صححه غير الترمذى جماعة، منهم: البخارى والحاكم وابن حبان وابن المنذر والطحاوى والبغوى والخطابى وغيرهم كثيرون. راجع: إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م، ط٢، بيروت، المكتب الإسلامي، ج١، ص٤٢، رقم٩.

وفي حديث آخر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أُحِلَّتْ لَكُمْ مَيْتَتَانِ وَدَمَانِ فَأَمَّا الْمَيْتَتَانِ فَالْحُوتُ وَالْجَرَادُ وَأَمَّا الدَّمَانِ فَالْكَبِدُ وَالطِّحَالُ" وقد صححه الألباني في السلسلة ، ج٣، ص١١١، رقم١١١٨.

[٥١] ابن منظور، لسان العرب، مج٥، ج٤٥، ص٤٠٥٣، بتصرف

[٥٢] القاموس المحيط، ج٢، ص٣٩٦.

[٥٣] الفيروز آبادي، تاج العروس، ج٢٠، ص٢٧٤

ورَجُلٌ لَفَظَانُ مُحَرَّكَة أَيْ: كَثِيرُ الكَلامِ عامِّيّة[٥٤].

وعند الخليلَ في **العين** :
اللَّفْظُ: الكلام ما يُلفَظُ بشيءٍ إلاّ حُفِظَ عليه. واللَّفْظُ: أن تَرمِيَ بشيءٍ كانَ في فيكَ ، والفعلُ لَفَظَ يَلْفِظُ لَفْظاً[٥٥].

وقد عرَّف **الجرجاني** [ اللفظ ] فقال: "اللفظ ما يتلفظ به الإنسان أو من في حكمه، مهملاً كان أو مستعملاً."[٥٦]

وفي **المعجم الوسيط**:
ولا يقال: لفظ الله، بل كلمة الله، والجمع: ألفاظ[٥٧].

## والخلاصة:

أن [ اللَّفْظ ] مصدر للفعل [لَفَظَ ، لَفِظَ] بفتح العين وكسرها، وأنَّ [اللُّفَاظ، اللَّفيظ، الْمَلْفُوظ، الْمَلْفَظ] من مشتقات الفعل التي اشتركت مع مصدره في المعنى، وله معان متعددة، يشغلنا منها أهمها، ألا وهو الأكثر شهرة واستعمالا [ما يلفظ به من الكلام] والجمع ألفاظ.
وقد نبه أصحاب المعجم الوسيط إلى أمر غاية في الدقة والبراعة – إذ التفتوا إليه – إذ قالوا: "ولا يقال: لفظ الله، بل كلمة الله"[٥٨].

---

[٥٤] المصدر السابق، ج٢٠، ص٢٧٦.
[٥٥] الخليل، أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، تحقيق: د. مهدي المخزومي، ود إبراهيم السامرائي، ج٨، ص١٦١ المحيط في اللغة، ج٢، ص٣٩٠
[٥٦] الجرجاني، عبد القاهر الجرجاني، التعريفات، ص٢٤٧.
[٥٧] المعجم الوسيط، ج٢، ص٨٣٢.
[٥٨]المصدر السابق، ج٢، ص٨٣٢.

**المبحث الثاني:**

# توجيه المتشابه اللفظي اصطلاحيا

## المطلب الأول: [توجيه] اصطلاحا

ذكر الجرجاني تعريفين لمصطلح [التوجيه]، الأول منهما لا يناسب توجيه المتشابه اللفظي وهما كما يلي:

الأول: هو إيراد الكلام محتملاً لوجهين مختلفين، كقول مَنْ قال لأَعْوَرَ يسمى عمراً:

خاط لي عمرُو قباءْ ... ليت عينيه سواءْ

الثاني: إيراد الكلام على وجهٍ يندفع به كلام الخصم، وقيل: على وجه ينافي كلام الخصم[٥٩].

والتعريف الأول لا يليق بتوجيه المتشابه اللفظي وذلك لأسباب منها:

١- أنه وقف التوجيه فيه على وجهين، وتوجيه المتشابه اللفظي قد يحتمل وجوها قد تزيد على ذلك.

٢- أنه قال [محتملا وجهين مختلفين] وفي توجيه المتشابه اللفظي قد يحتمل وجوها مختلفة لكنها غير متناقضة، إذ أن كل لفظ يتكرر، ينزل منزله الجديد، بمعنى جديد حسب السياق الذي نزل فيه.

أما التعريف الثاني للجرجاني -لله دره- فإنه غاية في الدقة، خاصة حين يُقْصَدُ به دَفْعُ قَدْحِ الْمُلْحِدَة، أو تَنَطُّعِ الْمُتَكَلِّمَة، فالصِّنْفُ الأول -أخزاهم الله- مُغْرِضُون، ذَوُو داء، دواؤه توجيه الأئمة الأعلام للمتشابه اللفظي في القرآن، والصِّنْفُ الثاني هُوَاةُ تعقيد وتغميض، وشِفَاءُ هؤلاء ما يقوم به العلماء الأفذاذ من تحليل وكشف غموض المتشابه اللفظي في القرآن، ولأن أحد أهم أهداف علم توجيه المتشابه اللفظي هو الرد على هؤلاء جميعا.

ولعل بيان عبد العزيز الحربي لمصطلح [التوجيه] في رسالته للماجستير يعد أدق بيان له قال: "وحقيقة التوجيه -في العلوم- هي أنه إذا وقعت صعوبة في فهم كلام ما -من قرآن أو حديث أو أثر أو شعر أو غير ذلك- يقف الشارح عند ذلك الكلام الذي قد يفهم على

[٥٩] عبد القاهر الجرجاني، التعريفات، ص٩٦.

غير الوجه الصحيح، أو لا يفهم أصلا، أو يفهم مع انقداح في النفس يوجب استغرابه، يقف عند ذلك الشارح، وييسر تلك الصعوبة، ويحل كل غموض"[٦٠].

وقد ساق عبد العزيز الحربي تعريفا اصطلاحيا لـ [توجيه القراءات] أرى أنه يصلح لمصطلح [توجيه التشابه اللفظي] بعد أن نعدل لفظه بما يتناسب معه؛ حيث إنه عارض تعريف "طاش كبرى زاده "[٦١] لعلم القراءات –وحاجَجَه وحَجَّه– ثم قال : والأولى في التعريف أن يقال: "علم يبحث فيه عن معاني القراءات والكشف عن وجوهها في العربية" أو "الذهاب بالقراءة إلى الجهة التي يتبين فيها وجهها ومعناها"، ثم قال: وهذا التعريف منطلق من المعنى اللغوي للفظ الذي تقدم"[٦٢]

وإنَّا كذلك، سوف ننطلق من حيث انطلق الحربي، من المعنى اللغوي للفظ [توجيه]، وعلى هذا فإني أرى أن البيان الاصطلاحي لـ [**توجيه المتشابه اللفظي**] هو:

**[البحث في أسرار التشابه اللفظي في القرآن، والوقوف على وجوه معانيه، في منازله المختلفة]**

[٦٠] عبد العزيز بن علي بن علي الحربي ،١٤١٧هـ ، توجيه مشكل القراءات العشرية الفرشية لغة وتفسيرا وإعرابا، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين ، قسم الكتاب والسنة، ص٦٢.

[٦١] حيث عرفه طاش كبرى زاده قائلا: "علم باحث عن لِمِّيَّةِ القراءات كما أن علم القراءة باحث عن انِّيَّتِها"، المصدر السابق ص٦٣

[٦٢] المصدر السابق، ص(٦٣-٦٤).

**المطلب الثاني : المتشابه اللفظي في القرآن اصطلاحا**

في هذا المطلب سوف أُورِدُ ما وقفت عليه من تعاريف العلماء لاصطلاح [المتشابه اللفظي في القرآن]، وأجتهد في الموازنة والترجيح فيما بينها، وسوف أخلص معكم بتعريف اصطلاحي جديد له.

أبدأ بمؤسس هذا العلم [المتشابه اللفظي في القرآن] الخطيب الإسكافي – رحمه الله – حيث إنه لم يخص اصطلاح [المتشابه اللفظي في القرآن] بتعريف، وإنما ذكر ذلك حين نَوَّهَ إلى مَبْعَثِ ومادة كتابه فقال: "تدعوني دواع قوية يبعثها نظر ورؤية في [الآيات المتكررة بالكلمات
المتفقة والمختلفة، وحروفها المتشابهة المنغلقة والمنحرفة، تطلبا لعلامات ترفع لَبْسَ إشكالها]"[٦٣]

وكذلك الغرناطي لم يضع له بيانا، وإنما قال في معرض الإشارة إلى موضوع كتابه: "وإن من مغفلات مصنفي أئمتنا –رضي الله عنهم– في خدمة علومه، وتدبر منظومه الجليل ومفهومه، [توجيه ما تكرر من آياته لفظا أو اختلف بتقديم أو تأخير، وبعض زيادة في التعبير]"[٦٤]

وجعل ابن عقيلة المتشابه اللفظي أحد علوم القرآن، وجاء ترتيبه في كتابه العلم الثالث والعشرين بعد المائة وسَمَّاه بـ [علم الآيات المتشاكلات المتقاربات] وقال عنه: "ونذكر من هذا النوع ما تشابه من الآيات وما قارب بعضها بعضا، ويكون بزيادة ونقص يدركها أهل الفهم الثاقب"[٦٥].

وعلى اعتبار أن [المتشابه اللفظي] يقصد به تكرار لفظ الآيات في القرآن، فإن تعريف التكرار اصطلاحا يوازي معناه من المتشابه اللفظي – أو يكاد – فقد وقعت يدي

---

[٦٣] الإسكافي، عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بالخطيب الإسكافي المتوفي سنة٤٢٠هـ ، درة التنزيل وغرة التأويل، برواية ابن أبي الفرج الأروستاني، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م، ط١، بيروت، لبنان، دار الكتاب العلمية، ص٣.

[٦٤] الغرناطي، أبو جعفر أحمد بن إبراهيم ابن الزبير الثقفي الغرناطي المتوفي سنة٧٠٨هـ، ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، ج١، ص٧، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٦م، ط١، بيروت لبنان، دار الكتب العلمية.

[٦٥] ابن عقيلة المكي، الزيادة والإحسان في علوم القرآن، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م، ج٦، ص٣٣٦، ط١، جامعة الشارقة، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة.

على تعريف بديع للتكرار في منتدى اللغة العربية وهو: "التكرار ظاهرة موسيقية ومعنوية تقتضي الإتيان بلفظ متعلق بمعنى، ثم إعادة اللفظ مع معنى آخر في نفس الكلام"[٦٦].

وهو عند الزركشي باسم [علم المتشابه][٦٧] أي المتشابه اللفظي وعَرَّفَه قائلا: "وهو إيراد
القصة الواحدة في صور شتى، وفواصل مختلفة، ويكثر في إيراد القصص والأنباء، وحكمته التصرف في الكلام، وإتيانه على ضروب، ليعلمهم عجزهم عن جميع طرق ذلك، مبتدأ به ومتكررا"[٦٨]

ووافق السيوطيُ[٦٩] الزركشي في قوله: "إيراد القصة الواحدة في صور شتى وفواصل مختلفة" ثم فَصَّل قائلا: "بل تأتي في موضع واحد مقدماً وفي آخر مؤخراً .. أو في موضع بزيادة وفي آخر بدونها .. أو في موضع معرفاً وفي آخر منكراً، أو مفرداً وفي آخر جمعاً، أو بحرف وفي آخر بحرف آخر، أو مدغماً وفي آخر مفكوكاً، وهذا النوع يتداخل مع نوع المناسبات "[٧٠]

ولعل ما جاء لدى الزركشي أدق وأشمل إلا أن السيوطي فصل في الجزيئات.

وجدير بالذكر أن المقصود بالقصة لدى الزركشي والسيوطي الموضوع أو الخبر أو غيرهما، سواء أكان قصة كالمتعارف عليه من قصص القرآن، أو غير ذلك من الأمور والمسائل الواردة في كتاب الله. ويؤيد ذلك النظرُ في تفصيل كل منهما، والأمثلة التي ذكروها

---

[٦٦] منتدى اللغة العربية وعلومها، http://bacdz.forums-free.com/topic-t26.html ٢٠٠٩/٠٢/٢١.

[٦٧] وجاء ترتيبه في البرهان الخامس، راجع: الزركشي، بدر الدين بن محمد بن عبد الله بن بهادر، ١٣٧٦هـ- ١٩٥٧م، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه، ج١ ، ص١١٢.

[٦٨] الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج١، ص١١٢.

[٦٩] وجاء ترتيبه في [الإتقان] الثالث والستين، وسماه [الآيات المتشابهات]، راجع: السيوطي، جلال الدين، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م، الإتقان في علوم القرآن، ج٢، ص١١٤، بيروت ، لبنان، دار الفكر، ج٢ ، ص١١٤.

[٧٠] السيوطي، جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، ج٢، بتصرف.

وقد ذكر أبو البقاء تعريفا يكاد يتفق – لفظه– تماما ولفظ السيوطي السابق، قال: "ومن المتشابه إيراد القصة الواحدة في سور شتى وفواصل مختلفة في التقديم والتأخير والزيادة والترك والتعريف والتنكير والجمع والإفراد والإدغام والفك وتبديل حرف بحرف آخر"[٧١] إلا أني ألاحظ أربعة أمور لدى أبي البقاء:

**الأول**: أنه ذكر هذا التعريف ضمن حديثه عن [المتشابه] الذي هو ضد [المحكم].

**الثاني**: أنه بعد أن عَرَّفَ [الْمُحْكَم] عَرَّفَ [الْمُتَشَابه] قائلا: "والمتشابه: ما استأثر الله بعلمه،

كقيام الساعة، وخروج الدجال، والحروف المقطعة في أوائل السور، ومن المتشابه إيراد القصة الواحدة في سور شتى وفواصل مختلفة في التقديم و..."[٧٢] فهذا يدل على أنه يقصد

أن: [إيراد القصة الواحدة ...في سور شتى] أحد نماذج [المتشابه] الذي هو ضد المحكم.

**الثالث** : أنه قال [سور شتى] بالسين، وليس بالصاد [صور شتى]، على الهيئة التي عند السيوطي

والزركشي، حيث ذكراها بالصاد [صور شتى]. ولعل قول أبي البقاء [سور] بالسين

أي: [سور القرآن] يوحي ويؤكد على أنه يقصد [المتشابه] الذي هو ضد [المحكم].

**الرابع**: بناءً على الملاحظات الثلاث السابقة، فإني أجزم أن أبا البقاء قد عَدَّ [الآيات المتشابهات في اللفظ] من [المتشابه] الذي هو ضد [المحكم].

ولا أتفق مع محمد آيدين الذي جمع تعريف أبي البقاء إلى تعريف السيوطي والزركشي وقال: "وتبين لنا من كلام السيوطي وأبي البقاء متابعتهما لما قاله الزركشي"[٧٣].

والعجيب أن آيدين لَمَّا ذكر تعريف أبي البقاء ذكر تعبير [سور شتى] بالصاد [صور]، وليس بالسين، رغم أني نقلت من نفس الطبعة التي نقل منها آيدين[٧٤].

---

[٧١] أبو البقاء، الكليات، ص٨٤٥ .

[٧٢] المصدر السابق، ص٨٤٥.

[٧٣] محمد مصطفى آيدين، تحقيق درة التنزيل وغرة التأويل، ج١، ص٥٤.

والمؤشرات التي طرحتها تؤكد أن أبا البقاء قصدها بالسين [سور] أي سور القرآن، لعل آيدين ظن أنه خَطَأٌ مطبعي فذكرها بالصاد، والله أعلم.

وقد اجتهد آيدين في أن يضع تعريفا شاملا جامعا للمتشابه اللفظي في القرآن، فوقع في الإطالة من غير حاجة؛ حيث قال: "إن المتشابه اللفظي في آيات القرآن الكريم هو أن تجيء الآيات القرآنية متكررة في القصة الواحدة من قصص القرآن، أو موضوعاته، في ألفاظ متشابهة، وصور متعددة، وفواصل شتى، وأساليب متنوعة، تقديما وتأخيرا، وزيادة ونقصا، وذكرا وحذفا، وتعريفا وتنكيرا، وإفرادا وجمعا، وإيجازا وإطنابا، وإبدال حرف بحرف آخر، أو كلمة بكلمة أخرى، ونحو ذلك مع اتحاد المعنى لغرض بلاغي، أو لمعنى دقيق يراد تقريره، لايدركه إلا جهابذة العلماء وأساطين البيان "[٧٥].

وقد طال كلام آيدين بسبب كثرة التفصيل، وقد زاد لفتة ذكية قال: "مع اتحاد المعنى لغرض بلاغي أو لمعنى دقيق يراد تقريره، لايدركه إلا جهابذة العلماء وأساطين البيان"[٧٦].

وهذا عبد الجواد خلف محقق كتاب [كشف المعاني] يقول: "فالألفاظ التي تحتمل أوجها في التفسير ... تَرِدُ بلفظ واحد يتكرر لكنه في كل موضع له معنى يختلف عنه في الموضع الآخر ومثاله لفظ الرحمة:

تكرر هذا اللفظ في آيات كثيرة لكن معناه يختلف في كل آية عنه في الآية الأخرى فهي:

١- بمعنى الإسلام في: ﴿ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾ (آل عمران٧٤).

٢- بمعنى الإيمان في: ﴿ وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ ﴾ (هود٢٨).

١- بمعنى الجنة في: ﴿ فَفِي رَحۡمَةِ ٱللَّهِ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ (آل عمران١٠٧).

٢- بمعنى المطر في: ﴿ يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦ ﴾ (الأعراف٥٧).

٣- بمعنى الرزق في: ﴿ أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَحۡمَةِ رَبِّكَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡوَهَّابِ ﴾ (ص٩).

---

[٧٤] طبعة مؤسسة الرسالة، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م – بيروت.

[٧٥] مصطفى آيدين، تحقيق درة التنزيل وغرة التأويل، ج١، ص٥٣.

[٧٦] وهذا اللفظ مأخوذ عن محقق كتاب كشف المعاني لابن جماعة حيث ساقه المحقق في بيانه لموضوع الكتاب وجاء ذلك في الكتاب: كشف المعاني، لبدر الدين ابن جماعة، تحقيق وتعليق: عبد الجواد خلف، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م ، ط١، سلسلة منشورات الجامعة الإسلامية ، باكستان ، مكتبة ابن تيمية، ص٤٥

٤- بمعنى المغفرة في: ﴿ كَتَبَ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ ﴾ (الأنعام١٢).

وغير ذلك من المعاني الواردة تحت هذا اللفظ."[٧٧]

وهذا تعريف آخر لمصطلح [التشابه اللفظي في القرآن] أورده لبيب صالح في بحثه للدكتوراه، فبعد أن استعرض عددا من التعاريف لهذا المصطلح قال: "التشابه اللفظي في القرآن هو: ورود آيات متكررة في موضوع واحد، لكنها وردت في صيغ متعددة، وأساليب بيانية متنوعة، وكل ذلك لغرض بديع، وحكمة بالغة، يكشف عنها التأمل والنظر"[٧٨]

ولنا اعتراضان على تعريف لبيب صالح:

١- في قوله: "ورود آيات متكررة في موضوع واحد" فقد جعل موضوع الآيات المتكررة واحدا - وليست كذلك - لأن موضوع الآية المتكررة ومعناها يتغير ويتجدد بتجدد المنزل الذي تنزله.

٢- في قوله: "لكنها وردت في صيغ متعددة"؛ فإن الآية أو الآيات قد تتكرر باللفظ ذاته دونما تغيير، وما أكثر ذلك في القرآن!

وبعد أن استعرضنا معا هذه التعاريف لمصطلح [التشابه اللفظي في القرآن] أَخْلُص إليكم بتعريف أرجو أن أصيب به عين الحق، وقبل أن أذكر هذا التعريف أود أن أوضح الأسس التي عليها بنيتُ هذا التعريف، وهي كما يلي:

أ- التشابه اللفظي وقع في القرآن للفظ المفرد والمركب[٧٩]، ولبعض آية، ولآية، ولآيتين متتاليتين، ولآيات متتاليات.

ب- التشابه اللفظي في القرآن قد يقع في الآية الواحدة، وفي السورة الواحدة، وفي سور شتى.

ت- اللفظ المكرر أو الآية أو الآيات المكررة قد تتكرر وتنزل منازل عدة بنفس لفظها دونما تغيير، وقد يحدث اختلاف وتفاوت لفظي أوتغيير وتبديل[٨٠].

---

[٧٧] ابن جماعة، كشف المعاني، تحقيق: عبد الجواد خلف، ص٤٦، بتصرف

[٧٨] لبيب محمد جبران صالح، المتشابه اللفظي في القرآن الكريم: دراسة مقارنة بين الإسكافي والغرناطي، ص١٧، رسالة دكتوراه، جامعة ملايا، أكاديمية الدراسات الإسلامية، قسم القرآن والسنة، سنة ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٨م.

[٧٩] كتركيب الإضافة أو شبه الجملة أو غيرهما.

[٨٠] والمقصود بالتفاوت والتغيير هنا: التقديم والتأخير، أو الزيادة والحذف، أو التنكير والتعريف، أو الجمع والإفراد أو غير ذلك من التفاوت.

ث- التشابه اللفظي في القرآن إنما هو تكرار في اللفظ، واللفظ فقط دون المعنى، فاللفظ المكرر في القرآن وعاء يحمل معنى، يتغير هذا المعنى بتغير المنازل الذي ينزلها اللفظ المكرر، فالألفاظ المكررة أوعية متشابهة القوام والأحجام والأشكال كل منها يحمل في جوفه معنى مخالفا للآخر.

وبعد هذا البيان أسوق إليكم هذا التعريف:

**اصطلاح: [المتشابه اللفظي في القرآن] هو:**

**[هو تكرار اللفظ في الآية، أو في السورة، أو في سور شتى، دون تكرار المعنى، وقد يتطابق المتشابه اللفظي في الْمَبْنَى، لكنه يختلف في الْمَعْنَى والغرض]**

**وأما اصطلاح [توجيه المتشابه اللفظي]** فهو:

**[البحث في أسرار المتشابه اللفظي في القرآن، والوقوف على وجوه معانيه، في منازله المختلفة]**

## المبحث الثالث:

# المتشابه اللفظي بلاغيا

### المطلب الأول: التكرار من الفصاحة:

### أولا: التكرار اللفظي والمتشابه اللفظي:

إن [التكرار اللفظي] جزء من [المتشابه اللفظي]، ولا يمكن فصله عنه، وقد فسر العلماء [التشابه اللفظي] بتكرار اللفظ، أو تردد اللفظ أكثر من مرة، ويكاد لا يخلو تعريف أيٍّ من العلماء لمصطلح [المتشابه اللفظي] من تأويله بـ[تكرار اللفظ]، وقد برز ذلك في المبحث السابق [المتشابه اللفظي اصطلاحا].

ويرى الباحث أن [المتشابه اللفظي] يضم ويشمل ويتضمن [التكرار اللفظي]، في حين لا يمكن العكس، فلا يمكننا القول أن [التكرار اللفظي] يضم أو يتضمن [المتشابه اللفظي]؛ وذلك لأن [المتشابه اللفظي] يشمل ما تكرر بلفظه دون تَغَيُّر في ألفاظه، ويشمل ما تكرر لفظه مع تَغَيُّر في بعض ألفاظه، أما [التكرار اللفظي] فلا يشمل إلا ما تكرر لفظه دون تغير، وقد جعل الدكتور حسين نصار مصطلح [التكرار] هو الأصل، وضَمَّنَ [المتشابه اللفظي] تحته[٨١]، لكن الأصل غير ذلك، إذ أن مصطلح [المتشابه اللفظي] هو الأصل لأنه الأكثر والأشهر، إذ أنه يتضمن التكرار اللفظي بلا شك، ولأن [المتشابه اللفظي] قد ينكر البعض دخوله تحت [التكرار] بسبب وقوع تغيير في بعض ألفاظه.

وقد فَصَل بعض العلماء[٨٢] بين النوعين فجعل لـ [المتشابه اللفظي في القرآن] بابا قائما بذاته، وجعل لـ [التكرار اللفظي] بابا قائما بذاته، ورد البعض الآخر هذا الفصل، ورأى أن من غير الصواب الفصل بينهما، فقال الدكتور محمد القاضي: "وهذا الاختيار بعيد عن الصواب، فاللغة تركيب ومعنى، كما سبق أن بينا، فالمكرر تشابه تماما في التركيب، ولكنه بالضرورة مختلف في المعنى من خلال تنوع السياقات، ومن هنا تأتي منطقية إدارج المكرر اللفظي تحت هذه الدراسة التي تعنى بالمتشابه اللفظي في القرآن"[٨٣].

---

[٨١] نصار، حسين، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م، التكرار، ط١، القاهرة، مكتبة الخانجي. دراسة في ١٠٩ صفحة في التكرار اللفظي في القرآن

[٨٢] الحمداوي، رشيد، ٢٠٠٣م، المتشابه اللفظي في القرآن ومسالك توجيهه عند أبي جعفر بن الزبير الغرناطي، القاهرة، مكتبة أولاد الشيخ للتراث، ص٢٥-٢٦.

[٨٣] القاضي، محمد، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م، المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، ط١، القاهرة، دار الصحوة، ص٥٤.

**ثانيا: التكرار من الفصاحة:**

إن التكرار مقبول غير مذموم "إلا إن كان مما يمكن الاستغناء عنه، وكان الذي نكرره خاليا من أي معنى جديد يضاف إلى الأول، فهو حينئذ يكون لغوا، لا فائدة منه، وهذا ليس منه في القرآن شيء"[٨٤]

وقد ادعى البعض أن التكرار في لغة العرب ليس من الفصاحة، وما ذاك إلا جهل باللغة وأساليبها، ولعل هذا الْمُدَّعِي سمع أو قرأ لِمَنْ لا يُجِيد السباحة في بَحْر العربية، فادَّعَى أن التكرار في اللغة كله مذموم –وليت شعري– ألم يَمُرّ على مسامعه آيات التنزيل التي تكرر لفظها مرارا مع بيان، وحلاوة، وطلاوة، وسحر يخلب القلوب ؟!!!

وصدق الشاعر[٨٥] الذي يقول في القرآن:

**عَمْرِي لَقَدْ لَذَّ في سَمْعِي مُكَرَّرُه *** وَكُلُّ شَيْءٍ على التِّكْرَارِ مَمْلُولُ**

ويقول البعض: "كلّ مردّدٍ ثقيل، وكل متكرّر مملول"[٨٦] وهذا القول صار كأنه قاعدة تطلق على الْمُتَكَرِّر، وذلك لأن الأصل في التكرار أنه يبث في النفس الضجر والملل، وما ذلك إلا لأن التكرار يحتاج لناظم بارع، يجعل النفس تميل إليه وتنجذب، وترغب فيه، وتشغف به، وليس كل شاعر أو كل ناثر يملك تلك القدرة، فلا يملك ذلك إلا ذوو المواهب الخاصة، وعليه فإن مقولة [كل مردد ثقيل، وكل متكرر مملول] لا نقبلها كما هي، لأننا ندرك أن أكثر التكرار ثقيل مملول، لكن ليس كله، بل إننا نجد من الشعراء والأدباء من برع براعة في صياغة التكرار صياغة بديعة.

اسمع لقول أبي القاسم الشابي[٨٧]:

---

[٨٤] شبكة الفصيح لعلوم اللغة العربية ، http://www.alfaseeh.com/vb/showthread.php?threadid=1350, ٢٠٠٧/٠٩/١٢

[٨٥] حسين بن عبد الباقي الزاهر الزبيدي، من كتاب النور السافر عن أخبار القرن العاشر، العيدروس، محي الدين عبد القادر بن شيخ بن عبد الله، ط١، ١٤٠٥هـ ، بيروت دار الكتب العلمية، ص٤٠٣.

[٨٦] أحمد بن المقري التلمساني، نفخ الطيب من غصن ألندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس ، ١٩٩٧م، طبعة جديدة، بيروت، لبنان، دار صادر، ج٢ ، ٥٠٢.

[٨٧] أبو القاسم الشابي: شاعر تونسي ذائع الصيت، ولد يوم الأربعاء الرابع والعشرين من فبراير عام ١٩٠٩م الموافق الثالث من شهر صفر سنة ١٣٢٧ هـ في في بلدة الشابة التابعة لولاية توزر في تونس، ولم يعش طويلاً فقد توفي في الثامن من سبتمبر ١٩٢٩ الموافق للثالث من ربيع الثاني ١٣٤٨ هـ.، وله ديوان [أغاني الحياة]. راجع موقع الموسوعة الحرة ويكيبيديا:

http://ar.wikipedia.org/wiki/%D%٨A%٣D%٨A%٨D٨٨%٩_%D%٨A%٧D%٨٤%٩D%٨٢%٩D%٨A%٧D%٨B%٣D٨٥%٩_%D%٨A%٧D%٨٤%٩D%٨B%٤D%٨A%٧D%٨A%٨D٨%٩A , 3/16/2011

يا شِعْرُ أَنْتَ فَنُّ الشُّعُورِ *** وصَرْخَةُ الرُّوحِ الْكَئِيبِ
يا شِعْرُ أَنْتَ صَدَى نَحِيبِ *** الْقَلْبِ والصَّبِّ الْغَرِيبِ[٨٨]

هل تستطيع أن تنكر على الشاعر التكرار هنا؟

بالطبع لا؛ ذلك لأنه أضفى بالتكرار أشياء ليس لتعبير آخر أن يقع موقع اللفظ المكرر، ويعطي نفس الأثر، فإن اللفظ المكرر في البيتين [يا شعر أنت] علاوة على النغم الرقيق، تجد أن نفسك قد طابت بالتكرار، كما نلحظ أن المعنى في البيتين ليس واحدا، حيث إن الكلمة لا تؤدي معناها بنفسها، بل تؤديه بالمحيط الذي تقع فيه، فإنها في البيت الثاني، لعبت دورا، وأدت معنى، غير الدور الذي لعبته، والمعنى الذي أدته، في البيت الأول، وذلك بالصفات الجديدة التي نسبها إلى الشعر. ومن أراد مثالا آخر فليقرأ قصيدة [ابتسم] الرائعة للشاعر إيليا أبي ماضي[٨٩]، سيجد أن تعبير [قلت ابتسم] قد تكرر ثماني مرات في قصيدة من واحد وعشرين بيتا، وما أكثر الأمثلة في هذا النحو!

وللجاحظ كلمة لطيفة في فضل التكرار عامة، قال: "إن الناس لو استغنوا عن التكرير وكفوا مئونة البحث والتنقير، لقلّ اعتبارهم، ومن قلّ اعتباره قلّ علمه، ومن قلّ علمه قلّ فضله، ومن قلّ فضله كثُر نقصه، ومن قلّ علمه وفضله وكثُر نقصه لم يُحمد على خير أتاه، ولم يُذمّ على شرّ جناه، ولم يجد طعم العزّ، ولا سرور الظفر، ولا روح الرجاء، ولا برد اليقين، ولا راحة الأمن.."[٩٠]

وقد اختلف العلماء في إثبات التكرار في القرآن الكريم: "فانقسموا إلى فريقين، ففي حين رأى فريق في التكرار ظاهرة ملحّة، يرتكز عليها القرآن الكريم في بنيته، سيّما أن من

---

[٨٨] من قصيدة يا شعر، ديوان أبي القاسم الشابي [أغاني الحياة].

[٨٩] ولد إيليا ضاهر أبو ماضي في المحيدثة في المتن الشمالي في جبل لبنان عام ١٨٩٠ وهاجر إلى مصر سنة ١٩٠٠م توفي سنة ١٩٥٧، واشتهر بالشعر الفلسفي، ومن أشهر دواوينه: الجداول، والخمائل، وتبر وتراب، والغابة المفقودة. راجع: هذا الرابط للموسوعة الحرة، ويكيبيديا:
http://ar.wikipedia.org/wiki/%D%٨A%٥D٨%٩A%D%٨٤%٩D٨%٩A%D%٨A٧_%D%٨A%٣D%٨A%٨D٨٨%٩_%D%٨٥%٩D%٨A%٧D%٨B%٦D٨%٩A , 3/16/2011

[٩٠] الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء الليثي أبو عثمان، ١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م، رسائل الجاحظ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، القاهرة ، مكتبة الخانكي، ج٣، ص٢٣٦.

وظائفه البلاغة، والتأكيد على المعنى المقصود من الألفاظ المكرّرة"[٩١]، نفى الفريق الآخر التكرار من القرآن تمامًا "بادّعاء عدم الفائدة من تكرار اللفظ نفسه، في السياق نفسه، للمعنى نفسه، فحتى لو كانت الألفاظ مكرّرة، فإنها تدلّ بنظرهم على معان مختلفة"[٩٢]

وابن تيمية –رحمه الله– له في [التشابه اللفظي في القرآن] قول بديع، فقد أنكر التكرار في القرآن، وقال إن التكرار مَثَلُهُ: "كما يسمَّى اللهُ ورسولُه وكتابُه بأسماء متعددة، كل اسم يدل على معنى لم يدل عليه الاسم الآخر، وليس في هذا تكرار، بل فيه تنويع الآيات مثل أسماء النبي ﷺ إذا قيل: محمد، وأحمد، والحاشر، والعاقب ... في كل اسم دلالة على معنى ليس في الاسم الآخر، وإن كانت الذات واحدة فالصفات متنوعة. وكذلك القرآن إذا قيل فيه: قرآن، وفرقان، وبيان، وهدى ... فكل اسم يدل على معنى ليس هو المعنى الآخر. وكذلك أسماء الرب تعالى إذا قيل: الملك، القدوس، السلام ... فكل اسم يدل على معنى ليس هو المعنى الذي في الاسم الآخر، فالذات واحدة، والصفات متعددة، فهذا في الأسماء المفردة."[٩٣]

وهذا السيوطي يرى أن التكرار من الفصاحة، بل من محاسنها: "التكرير وهو أبلغ من التأكيد، وهو من محاسن الفصاحة خلافاً لبعض من غلط"[٩٤]

ولم يَعُدّ الزركشي التكرار من محاسن أساليب الفصاحة وحسب، بل إنه قد خَطَّأَ من طعن في ذلك فقال: "غلط من أنكر كونه – التكرار – من أساليب الفصاحة ظنًّا أنه لا فائدة له، وليس كذلك، بل هو من محاسنها، لاسيما إذا تعلق بعضه ببعض"[٩٥]

---

[٩١] راجع: الفراء، أبو زكريا يحي بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي، معاني القرآن، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي، ومحمد علي النجار، وعبد الفتاح إسماعيل الشلبي، ط١، مصر ، الدار المصرية للتأليف والترجمة،ج٣، ص٢٨٧. / ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتبة الدينوري،وتأويل مشكل القرآن،بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ص٢٣٥-٢٤٠./ ابن رشيق، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي، ١٤٠١هـ- ١٩٨١م، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق: محي الدين عبد الحميد، ط٥، دار الجيل، ص٧٢. / البرهان للزركشي،ج١، ص١٤٦ ، وج٣، ص١٣-١٤. / والإتقان للسيوطي، ج٣، ص١٧٩. بتصرف.

[٩٢] راجع: الشريف المرتضى، أبو القاسم علي بن الطاهر أبو أحمد الحسين، ١٣٢٥هـ- ١٩٠٧م، أمالي السيد المرتضى في التفسير والحديث والأدب، تحقيق: السيد محمد بدر الدين النعماني الحلبي، ط١، مصر، مطبعة الساعدة، ج١، ص٨٤..بتصرف، وذهب إلى ذلك رجال المتشابه اللفظي وسيأتي بيان ذلك بالتفصيل إن شاء الله.

[٩٣] ابن تيمية ، مجموع الفتاوي ، برنامج مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، إصدار موقع روح الإسلام، راجع هذا الرابط: www.islamspirit.com ١١/٠٣/٢٧

[٩٤] السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ، ج٢ ، ص٦٦

[٩٥] الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج٣ ، ص٩

ولنا أن نتساءل متى يسوغ التكرارُ ويُقْبَلُ، ويُعَدُّ من مَحَاسِن أساليب الفصاحة؟

وأرى أن التكرار لا يعد من محاسن أساليب الفصاحة، ولا تميل إليه النفوس، ولا تقبله العقول، إلا إذا تحققت فيه أمور أربعة مجتمعة:

**الأول**: إذا لم يُشْعِرْ بالملل أو الضجر.

**الثاني**: التغير في اللفظ المكرر، بزيادة أو نقصان، أو بتقديم أو تأخير، أو تغير المحيط الذي ينزل فيه اللفظ المكرر.

**الثالث**: أن يحمل فائدة جديدة أو معنى جديدا، سواء تكرر اللفظ نفسه، أو حدث فيه تغير.

**الرابع**: أن يرمي إلى غرض بلاغي دقيق، كالتأكيد، أو التهويل، أو التعجب، وغيرها مما سيأتي حين نتناول أغراض التكرار اللفظي.

والتكرار اللفظي في القرآن قائم، فإن اللفظ القرآني قد ينزل في كتاب الله منازل عدة، لكنه في كل منزل يختلف عنه في المنازل الأخرى، إذ إنه يكتسب معناه في موقعه ومنزله من المحيط الذي نزل فيه، فإن كان في القرآن تكرار، فإنما هو تكرار في اللفظ -واللفظ فقط- دون المعنى.

وتحت عنوان [تعدد المعنى الوظيفي للصيغة الواحدة] كتب عبد الحميد هنداوي يقول: "وهذه الظاهرة -تعدد المعنى الوظيفي للصيغة الواحدة- من الظواهر المهمة في الكشف عن طبيعة الدلالة في الصيغ الصرفية، حيث تشترك المعاني في الصيغة الواحدة فتدل على معان متعددة قبل أن يتحدد المعنى المراد بواسطة القرائن"[٩٦].

وهذا العفيفي ينكر تكرار اللفظ على معنى واحد في القرآن، قال: "إن إحكام القرآن وتفصيله هو العلم الذي يضمن لنا أننا كلّما احتجنا إلى أي مفردة قرآنية وجدناها بأي موضع من مواضعها، كالحرف الواحد في الكلمة، يعني المكرّر في كلمة واحدة التي تجمع حروفها جميعًا في جملتها، فإذا كل حرف بموضعه الخاص به تفصيلاً، يعني كل حرف غير

[٩٦] عبد الحميد أحمد يوسف هنداوي، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، صيدا، بيروت، المكتبة العصرية، ص٥٧.

الآخر، لا أنه مكرّر، وإذا الحروف جميعًا تامّة الارتباط بها كلها إجمالاً"[٩٧].

وجاء في القواعد الذهبية: "وإذا كان القرآن فيه نحواً من ستة آلاف آية ونيف، فإن هناك نحواً من ألفي آية فيها تشابه بوجه ما، قد يصل أحياناً حد التطابق، أو الاختلاف في حرف واحد، أو كلمة واحدة، أو اثنتين، أو أكثر"[٩٨]

هذا التشابه إنما هو في الثوب الخارجي فقط، أي في اللفظ المكرر لا المعنى، فاللفظ المكرر إنما هو ثوب خارجي حمل في طيَّاتِه معنى جديدا في كل منزل نزله، ويؤيد ذلك العفيفي قائلا: "فإذا تعدّدت المواضع في القرآن كله بآية، أو جملة أصغر من آية، أو كلمة، أو حرف، كان كل من ذلك ثابتًا في نصّه بلا تبديل، وإنما لكل مفردة منه عمل جديد، بكل موضع جديد"[٩٩]

والتكرار اللفظي في القرآن اتسم بسمات سامية، لا تنازعه فيها يد، ولا تستطيع أن ترنو إليها قريحة، فَبِحَسْبِ الناظر فيه الطربُ لنغمه، والوقوفُ عنده للتأمل والتدبر، فإن ظفر منه بحكمة، فقد أوتي الخير العظيم، وإن عجز، فذاك فضل الله، يؤتيه من يشاء.

وصدق ابن قتيبة إذ قال: "ولذلك نجد أن التكرار ورد في القرآن كثيرًا، ومع أن الأسلوب في الكلام العادي قد لا يسلم معه من القلق والاضطراب، إلا أنه جاء في كلام الله مُحْكَمًا"[١٠٠]

## المطلب الثاني : فوائد وأغراض التكرار اللفظي في القرآن الكريم:

لقد تناول الكثير من العلماء أغراض وفوائد التكرار اللفظي في القرآن الكريم، يقول ابن سيده: "التكرار في الكلام الواحد مجتنب في البلاغة، إلا إذا كان لغرض"[١٠١]، وسوف أجتهد في جمع آراء العلماء حول هذه القضية، ما استطعت إلى ذلك سبيلا، وسأجتهد في تنسيقها وترتيبها.

---

[٩٧] العفيفي،محمد، القرآن القول الفصل بين كلام الله وكلام البشر، الكويت، المطبعة العصرية، وذات السلاسل للطباعة والنشر، ص٥٥.

[٩٨] عبد الرحمن ابن عبد الخالق، القواعد الذهبية في حفظ القرآن وتدبره، ص١٥، ويمكن تصفحه في: http://bookstree.com/books/6/6.htm ٢٠٠٩/٠٥/٠٣

[٩٩] العفيفي القرآن القول الفصل، ص١٦.

[١٠٠] ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص٢٣٢.

[١٠١] ابن سيده، إعراب القرآن، ج٥، ١٥٤.

وقد لاحظت أن بعض العلماء استعمل لفظ [فوائد] كالزمخشري: قال: "ما فائدة تكرير قوله ﴿ فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ (القمر٣٩-٤٠)، قلت: فائدته أن يجدّدوا عند استماع كل نبإ من أنباء الأوّلين ادكاراً واتعاظاً، وأن يستأنفوا تنبهاً واستيقاظاً، إذا سمعوا الحث على ذلك والبعث عليه، وأن يقرع لهم العصا مرات ، ويقعقع لهم الشَّنَّ تارات؛ لئلا يغلبهم السهو ولا تستولى عليهم الغفلة، وهكذا حكم التكرير"[١٠٢] والزركشي في البرهان قال: "القرآن نزل على لسان القوم وفي لسانهم التأكيد والتكرار وخطابه أكثر بل هو عندهم معدود في الفصاحة والبراعة ومن أنكر وجوده في اللغة فهو مكابر إذ لولا وجوده لم يكن لتسميته تأكيدا فائدة فإن الاسم لا يوضع إلا لمسمى معلوم لا فائدة فيه بل فوائد كثيرة"[١٠٣]، ولفظ السيوطي أكثر وضوحا، قال: "النوع الرابع التكرير وهو أبلغ من التأكيد وهو من محاسن الفصاحة خلافا لبعض من غلط وله فوائد منها التقرير وقد قيل الكلام إذا تكرر تقرر"[١٠٤].

وبعضهم استعمل لفظ [أغراض][١٠٥] للتعبير عن مرامي التكرار [فوائده وأغراضه]، واستعمل عبد العظيم المطعني لفظ [وظيفة][١٠٦]، وبالبحث في معاني هذه المفردات الثلاث وجدت ما يلي:

**الفائدة**: ما يستفاد من علم أو عمل أو مال أو غيره..والجمع فوائد.[١٠٧]

**الغرض**: الهدف الذي يرمى إليه، والْبُغْيَة، والقصد، والجمع أغراض[١٠٨].

**الوظيفة**: ما يقدر من عمل .. في زمن معين، والعهد، والشرط، والمنصب، والخدمة المعينة.[١٠٩]

---

[١٠٢] الزمخشري: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون القاويل في التأويل، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، بيروت، دار إحياء التراث، ج٤، ص٤٣٩.

[١٠٣] الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله بهادر، ١٣٧٦هـ- ١٩٥٧م، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل، ط١، بيروت، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه، ج٢، ص٣٨٤

[١٠٤] السيوطي، جلال الدين السيوطي الشافعي، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م، الإتقان في علوم القرآن وبهامشه إعجاز القرآن للباقلاني، بيروت، دار الفكر، ج٢، ص٦٦.

[١٠٥] يكثر هذا التعبير لدى المحدثين خاصة ومنهم فريد البيدق مشرف شبكة رواء للأدب وفنون العربية على الشبكة العنكبوتية: http://www.ruowaa.com/vb/showthread.php?t=٢١٨٥٧ ٢٠٠٩/٠٥/٠٣.

[١٠٦] المطعني، عبد العظيم إبراهيم، ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، ط١، القاهرة، مكتبة وهبة، ج١ ، ص٣٢٢.

[١٠٧] المعجم الوسيط، ج٢، ص٧٠٥.

[١٠٨] المصدر السابق، ج٢، ص٦٥٠.

[١٠٩] المصدر السابق، ج٢، ص١٠٤٢.

ونتساءل: أي هذه التعبيرات أدق في بيان أدوار وأثر التكرار اللفظي في القرآن الكريم؟

وإني أرى ما يلي:

- أما لفظ [وظائف التكرار] فأولى به الأدوار العامة التي يؤديها المتشابه اللفظي، فقد استعمله المطعني استعمالا دقيقا، مُعَبِّرًا به عن أدوار عامة للتكرار اللفظي في القرآن، فقد قال: " فالتكرار يؤدّي .. وظيفتين: أولاهما: من الناحية الدينية، وثانيتهما: من الناحية الأدبية"[١١٠]
- ولفظ [فوائد التكرار] فإنه أَدَقَّ ما يُعَبَّرُ به عن المعنى الجديد أو المعاني الجديدة التي يحملها اللفظ المكرر.
- أما لفظ [أغراض التكرار] فإنه أَدَّقَ ما يُعَبَّرُ به عن الأثر البلاغي والأثر النفسي الذي رمى إليه التكرار.

**أولا: وظائف وفوائد التشابه اللفظي في القرآن الكريم:**

ورأيت أن أجمع بين لفظي [الفوائد والوظائف] لأني وجدت أن كلا من اللفظين قد حمل بعضا مما يلي:

**١- تقرير المعاني في النفوس وتثبيتها في الصدور:**

وتلك الفائدة أشار إليها الزمخشري -غفر الله له- إشارة دقيقة قال: "إن في التكرير تقريرًا للمعاني في الأنفس، وتثبيتًا لها في الصدور. ألا ترى أنه لا طريق إلى تحفُّظ العلوم إلا ترديد ما يُرام تحفُّظه منها؟ وكلّما زاد ترديده كان أمكن له في القلوب، وأرسخ له في الفهم، وأثبت للذكر، وأبعد من النسيان"[١١١] وفي موضع آخر من الكشاف حول تكرار الحروف المقطعة قال: "وكذلك مذهب كل تكرير جاء في القرآن فمطلوب به تمكين المكرر في النفوس وتقريره"[١١٢] وفي هذا يقول الزرقاني: "إن هناك حكمة عالية في هذا التكرار وهي تنبيه الله لعباده ولفت نظرهم إلى ما في طَيِّ

[١١٠] المطعني، خصائص التعبير القرآني، ج١، ص٣٢٢

[١١١] الزمخشري، الكشاف، ج٣، ص٣٣٩

[١١٢] المصدر السابق، ج١، ص٧٢

تلك الآيات المكررة من الوصايا النافعة والفوائد الجمة التي هم في أشد الحاجة إليها"[١١٣].

**٢- بَسْطُ الْمَوْعِظَة وتثبيت الحجّة:**

وتلك الفائدة أشار إليها الرافعي[١١٤] قائلا: "وهو التكرار الذي يجيء في بعض آيات القرآن، فتختلف في طرق الأداء، ... لتوكيد الزجر والوعيد، وبسط الموعظة، وتثبيت الحجّة، ونحوها، أو في بعض عباراته لتحقيق النعمة، وترديد المنَّة، والتذكير بالنعم، واقتضاء شكره "[١١٥]

**٣- بيان الإعجاز والتحدي:**

فالتنويع في الأساليب وفنون اللغة درب من دروب الفصاحة والبلاغة، لا يستطيع أن يسلكه إلا من أوتي أسبابهما، "فالتكرار من محاسن أساليب الفصاحة العربية، خاصة إذا تعلق بعضه ببعض"[١١٦] ، ومن هنا "فالتكرار إذن ظاهرة بلاغية لا يفطن إليها إلا كل من له بصر بفنون القول، وهو في القرآن أروع وأجمل من أن تتطاول إليه ألسنة المتقولين، هذا هو الرأي الأول للعلماء في موضوع التكرار في القرآن، وخلاصته أن ذلك من أساليب العربية التي جاء القرآن بها، التي تحقق بهذا التكرار أهدافا معينة تُثْرِي المعنى، وهذا أدعى لبيان إعجاز القرآن."[١١٧]

**٤- بيان تعدد المتعلق:**

---

[١١٣] الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، ط٣، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ج١، ص١٢١.

[١١٤] مصطفى صادق عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي، (١٢٩٨ هـ- ١٣٥٦ هـ الموافق ١ يناير ١٨٨٠ - ١٤ مايو ١٩٣٧ م)، شاعر، وأديب، ومفكر، مؤرخ، وصحفي، ولد في بيت جده لأمه في قرية "بهتيم" بمحافظة القليوبية، وعاش حياته في طنطا، دخل الرافعي المدرسة الابتدائية ونال شهادتها ثم أصيب بمرض يقال انه التيفود أقعده عدة شهور في سريره وخرج من هذا المرض مصابا في أذنيه وظل المرض يزيد عليه عاما بعد عام حتى وصل إلى الثلاثين من عمره وقد فقد سمعه بصورة نهائية. لم يحصل الرافعي في تعليمه النظامي على أكثر من الشهادة الابتدائية، يعد الرافعي من العلامات البارزة في تاريخ الأدب العربي، إذ نصب من قلمه سيفا مسلطا على أعداء الإسلام والعرب تاريخهم وآدابهم، ومصنفاته مآل ومرجع لكل باحث في تاريخ الآداب العربية، وكتبه من أكثر الكتب الأدبية اشتهارا وانتشارا، وله باع طويل في الدفاع عن القرآن، واللغة العربية، والشعر العربي، وتاريخ العرب، وخاض أشهر معاركه مع طه حسين بسبب كتابه [في الشعر الجاهلي]، ومن أشهر كتبه: [تاريخ آداب العرب] ٣ أجزاء، و[تحت راية القرآن]، و[وحي القلم] ٣أجزاء، و[رسائل الرافعي]، و[على السفود]، و[السحاب الأحمر]، و[رسائل الأحزان]، و[ديوان الرافعي] ثلاثة أجزاء، وغيرها.

[١١٥] الرافعي، مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصر، المكتبة التوفيقية، ص١٩٣-١٩٤

[١١٦] الزركشي، البرهان، ج٣، ص٩ / السيوطي، الإتقان، ج٢، ص٦٦

[١١٧] شبكة الفصيح لعلوم اللغة العربية http://www.alfaseeh.com/vb/showthread.php?threadid=1350 ٢٠٠٧/٠٩/١٢

كما في الآيات التي ترددت في السورة الواحدة، حيث إن كل مرة تنزل فيها الآية المكررة تنزل بمعنى جديد بحسب ما نزلت معه، ومن ذلك في سورة الرحمن ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ وفي سورة القمر آيتان ترددتا في السورة، هما: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾،و﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴾،وفي سورة المرسلات آية: ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾، وفي الشعراء عدة آيات تتابعت مع تتابع القصص التي وردت في السورة.

وللباقلاني قول رائع حول تلك القضية قال: "لقد علمنا أن الله تحدّى المعارضين بالسور كلها ولم يخصّ، فعُلم أن جميع ذلك معجز، وذلك لأن الكلمات المكرّرة لفظًا هي ذات معان جديدة بعد تكرارها"[١١٨]

وإنَّ "العرب وهم أمراء الفصاحة وفرسان البيان ... قد كان الذكاء والفهم طبيعة لهم، فهم قد فهموا القرآن بعد أن تأملوه، وتذوقوا إعجازه بعد أن سبروه، فعلموا بأن التكرار مظهر من مظاهر إعجازه، فأذعنوا له، ووقفوا عند حدهم فيه "[١١٩]

ووقعت يدي على درس حول أغراض التكرار ووظائفه في منتدى اللغة العربية وآدابها على النت، ووجدت فيه وظيفتين حَقِيقَتَيْنِ بِضَمِّهِمَا إلى فوائد ووظائف التكرار اللفظي في القرآن وهما:

**٥- الوظيفة الإيقاعية:**

فالتكرار يساهم في بناء إيقاع داخلي يحقق انسجاما موسيقيا خاصا.

**٦- الوظيفة التزينية:**

وتكون بتكرار ألفاظ مختلفة في المعنى، ومتفقة في البنية الصوتية، مما يضفي تلوينا جماليا

[١١٨] الباقلاني، الإعجاز في القرآن، على هامش الإتقان في علوم القرآن ، بيروت، دار الفكر ج٢ ، ص١٥٢

[١١٩] عمر محمد عمر باحاذق ، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م، أسلوب القرآن الكريم بين الهداية والإعجاز البياني، ط١، بيروت، دار المأمون للتراث، ص٢٦٩

على الكلام[١٢٠].

**ثانيا: أغراض التشابه اللفظي في القرآن الكريم:**

لقد فَصَّلَ الزركشي[١٢١] في أغراض التكرار وفوائده، وكذا السيوطي[١٢٢]، وقد اشترك كلاهما –الزركشي والسيوطي– في أكثر الأغراض التي ذكراها، وسوف أستعرض هنا بلساني في إيجاز ما وقفا عليه من الأغراض، ولن أكتفي بذلك، بل سأجتهد في استيفاء أغراض المتشابه اللفظي لدى الأساتذة الذي تكلموا في أغراض المتشابه اللفظي ما استطعت، كما أود أن أشير إلى أني لن أقف عند حدود الأمثلة التي ساقوها، بل سأجتهد في إبراز هذه الأغراض بأمثلة أخرى من القرآن الكريم خاصة.

**١– التقرير والتأكيد :**

وقد جمعت بين هذين الغرضين ليس لأنهما شيء واحد، لا، ولكن لأنهما مقترنان، فإن التأكيد يتبع التقرير حتما، كما أن "التأكيد يقرر إرادة معنى الأول وعدم التجوز"[١٢٣]، وقد قيل في ذلك: [إن الكلام إذا تَكَرَّرَ تَقَرَّرَ]، وأُضِيف: [إن الكلام إذا تكرر تقرر وتأكد]، والزركشي ذكر [التأكيد] فقط ولم يشر إلى [التقرير] كغرض قائم بذاته بل ضمنه تحت غرض [ التأكيد]، حيث أشار إليه في ثنايا حديثه عن التأكيد، إلا أن السيوطي فَصَلَ بينهما، وبدأ بالتقرير ومثل له بتكرار القصص، ثم عقب بعده بالتأكيد.

ولعل هذا الغرض [التقرير والتأكيد] يبرز بروزا واضحا في الآيات التي تتكرر كاملة في ذات السورة، كقول الله تعالى في سورة الرحمن ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾، قال الشوكاني: "وكرّر سبحانه هذه الآية في هذه السورة تقريراً للنعمة، وتأكيداً "[١٢٤]،

---

[١٢٠] منتدى اللغة العربية وآدابها، راجع هذا الرابط:

http://bacdz.forums-free.com/topic-t26.html ,٢٠٠٩/٠٢/٢١

[١٢١] الزركشي، البرهان، ج٢، ص٣٨٥– ٣٩١

[١٢٢] السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج٢، ص ٦٦–٦٩

[١٢٣] الزركشي، البرهان، ج٣، ص١١

[١٢٤] الشوكاني، فتح القدير، ج٥، ص١٧٧

وذهب هذا المذهب ابن عاشور، قال: "وتَحْصُل من تماثل الجمل المكررة فائدة التأكيد والتقرير"[١٢٥] ومثل ذلك قوله عز وجل في سورة القمر: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾، كما يبرز في مواطن أخرى كثيرة تكررت فيها الآيات بلفظها، وليس شرطا أن يتحقق هذا الغرض في الآيات التي تتكرر كاملة بلفظها فقط، بل إنه يتحقق أيضا في غير ذلك فهذا [فرعون] يقول: ﴿ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴾ (الشعراء٣٤)، وهؤلاء [مَلأُ فرعون] يقررون ويؤكدون بعده: ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴾ (الأعراف١٠٩)، ومن ذلك أيضا تكرار الخواتيم خواتيم الآيات، وما أكثر ذلك في القرآن! ومنه قول الله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (البقرة١٨٩)، و(آل عمران١٣٠، ٢٠٠)، ومن ذلك تكرار القصص، وغيره كثير من نوع ما ذكرت، وغيره من الأنواع الأخرى التي لا يتسع المجال للتمثيل لها لكثرتها.

إلا أَنِّي أَوَدُّ أن أُنَوِّهَ إلى شيء ذي أهمية بالغة، ألا وهو: لعل التكرار اللفظي في القرآن كما ذكرنا يفيد [التقرير والتأكيد]، لكنه إلى جانب هذا الغرض يحمل معنى جديدا في طَيِّه، هذا المعنى الجديد قد يتأتى للباحث الناظر المتأمل، فيرزقه الله إياه أو بعضه، وقد يعجز، وقد يُمْنَعَ منه.

كما أن غرض التأكيد يمكن أن يشترك معه سائر الأغراض الأخرى والتي ستأتي آنفا، ذلك لأن أحد أغراض التكرار عامةً التقرير التأكيد، وقد صدقوا إذ قالوا: الكلام إذا تكرر تقرر، وتأكد.

**٢- التعظيم والتهويل:**

وهذا الغرض [التعظيم والتهويل] قد يجتمع إليه [الترغيب أو الترهيب]، فمن أمثلة

[١٢٥] ابن عاشور، محمد الطاهر بن عاشور التونسي، ١٩٩٧م، التحرير والتنوير، الطبعة التونسية، تونس، دار سحنون للنشر والتوزيع، ج٢٧، ص٢٤٧

اقـتران الترهيـب بـه قـول الله تعـالى: ﴿ ٱلْحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٣ ﴾ (الحاقة١-٣)، فقد اجتمع الترهيب إلى جانب التعظيم والتهويل في هذه الآيـات، ومثـل قولـه تعـالى: ﴿ ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣ ﴾ (القارعة١-٣)، ومنه قوله عز وجل: ﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ۝٧ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ۝٨ ﴾ (المطففين٧-٨)، أمـا مثـال مـا اقـترن فيـه [الترغيب] بـ [التعظيم والتهويل] فقول الله تعالى: ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴾ (الواقعة٢٧)، ففيها ترغيب في أن يجتهد المؤمن في أن يُحَصِّلَ كتابه بيمينه، وقوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴾ (الواقعة١٠)، قال الشوكاني: "والتكرير فيه للتفخيم والتعظيم ...كما تقول أنت أنت، وزيد زيد، والسابقون مبتدأ، وخبره السابقون."[١٢٦]، ومنه قول الله عز وجل: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣ ﴾ (القدر١-٣)، ففي الآيات ترغيب وحث المسلم للاجتهاد في العبادة في تلك الليلة ليحصل فضلها.

**٣- التهديد والوعيد:**

ويبرز ذلك في التكرار في قوله تعالى: ﴿ فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ **وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ** ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٢ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ **فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ** ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٣ ﴾ (التوبة٢-٣)، كما يظهر التهديد جليا من التكرار في قوله تعالى: ﴿ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٥ ﴾ (النبأ٤-٥)، وكذا في

[١٢٦] الشوكاني، فتح القدير، ج٥، ص١٩٧

قوله عز وجل: ﴿ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٥﴾ ﴾ (القيامة٣٤-٣٥)، قال الشوكاني: "وهذا تهديد شديد، والتكرير للتأكيد"[١٢٧].

**٤- الأمن من النسيان والسهو:**

وذلك إذا طال الَفَصْلُ بكلام قد يُنْسِي الأول، فَيُعَادُ ذِكْر الأول تَطْرِيَةً وتَجْديدا له، وذلك متعدد في القرآن، قال الله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (النحل١١٩)، ومنه قوله تعالى: ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (آل عمران١٨٨).

**٥- التعجب:**

ويظهر ذلك جليا في قول الله تعالى: ﴿ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ﴾ (المدثر١٩-٢٠)، جاء في الكشاف: "فإن إعادة اللفظ تعجيب من تقديره، وإصابته فيه المحزّ ،... أو هي حكاية لما كرروه من قولهم ﴿ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴾..بإعجابهم بتقديره، واستعظامهم لقوله . ومعنى قول القائل : قتله الله ما أشجعه! ، وأخزاه الله ما أشعره! الإشعار بأنه قد بلغ المبلغ الذي هو حقيق بأن يحسد ويدعو عليه حاسده بذلك"[١٢٨]

**٦- التنبيه:**

وقد ذكر الزركشي والسيوطي هذا الغرض هكذا: [زيادة التنبيه على ما ينفي التهمة ليكمل تلقي الكلام بالقبول]، وأختلف معهما في أمرين:

---

[١٢٧] المصدر السابق، ج٥، ص٤٥٣

[١٢٨] الزمخشري، الكشاف، ج٤، ص٦٥١

**أحدهما:** تحديد غرض التنبيه بحدود [ما ينفي التهمة ليكمل تلقي الكلام بالقبول]، وأرى أن حدود هذا الغرض أوسع من ذلك؛ إذ أن التكرار في عمومه يلفت الذهن، ويجذب الانتباه، ولا يقف عند هذا الحد الذي رَسَمَاه.

**وثانيهما:** المثال الذي ساقاه لإثبات هذا الغرض حيث ساقا – كلاهما – هاتين الآيتين: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ ﴾ (غافر٣٨-٣٩)، جاء في [البرهان والإتقان] كليهما هذا اللفظ: "فإنه كرر فيه النداء لذلك"[١٢٩] أي لـ [زيادة التنبيه على ما ينفي التهمة ليكمل تلقي الكلام بالقبول]، ووجه اختلافي معهما، أن تكرار النداء في الآيتين وإن أفاد التنبيه، فليس هذا فقط هو الغرض الذي يرمي إليه [مؤمن آل فرعون] من تكرار ندائه، فإنه ﷺ أراد أن يستميل قومه، ويتودد إليهم، ويؤكد على أنه واحد منهم، مُحِبٌّ لهم، ومُشْفِقٌ عليهم، ويرجو لهم الخير والنجاة. قال الشوكاني: "وأنه إنما تصدّى للتذكير كراهة أن يصيبهم بعض ما توعدهم به موسى، كما يقوله الرجل المحبّ لقومه من التحذير عن الوقوع فيما يخاف عليهم الوقوع فيه"[١٣٠]، ورأى أبو السعود شيئا من ذلك قال: "كررَ نداءَهم إيقاظاً لهم عن سنة الغفلة واعتناء بالمنادى"[١٣١] وعند البقاعي جاء التفسير أكثر إيضاحا لهذا الجانب قال: "{يا قوم} أي يا من لا قيام لي إلا بهم فأنا غير متهم في نصيحتهم...{يا قوم} كرر ذلك زيادة في استعطافهم، بكونهم أهله، فهو غير متهم في نصحهم؛ لأنه لا يريد لهم إلا ما يريد لنفسه."[١٣٢]

## ٧- استمالة المخاطب والتودد إليه:

---

[١٢٩] السيوطي، الإتقان، ٢، ص٦٧ / الزركشي، البرهان، ج٣، ص١٤

[١٣٠] الشوكان، فتح القدي، ج٢، ص٥٨

[١٣١] أبو السعود ، أبو السعود بن محمد العمادي الحنفي، تفسير أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الحكيم المعروف بتفسير أبي السعود، تحقيق: عبد القادر عطا، الرياض، مكتبة الرياض الحديثة، ج٥، ص١٩

[١٣٢] البقاعي،برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، ١٤١٥هت- ١٩٩٥م، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، بيروت، دار الكتب العلمية، ج٦، ص٥١٦.

وهذه أشرت إليها حين عارضت الزركشي والسيوطي في الغرض السابق [ التنبيه ] وقد أشار إلى هذا الغرض فريد البيدق، مشرف شبكة رواء للأدب وفنون العربية، ومثل له بقول الله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُونِ أَهۡدِكُمۡ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ۝٣٨ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ ۝٣٩ ﴾ (غافر٣٨-٣٩)، ولم يزد على ذكر الغرض والتمثيل بالآية[١٣٣]، وقد فَصَّلْتُ سَلَفا في الغرض السابق، وعرضت آراء بعض المفسرين الذين ذهبوا إلى أن تكرار نداء ﴿ يَٰقَوۡمِ ﴾ بغرض الاستمالة والتودد إلى المخاطب، وبيان الإخلاص في النصح والمودة.

**٨- بيان الحال:**

وأشار إلى هذا الغرض فريد البيدق بمسمى آخر، وهو [الاستيعاب] ومَثَّلَ له بقوله: [ادخلوا رجلا رجلا] ، وخير منه ما جاء في كتاب الله قوله تعالى : ﴿ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلۡأَرۡضُ دَكّٗا دَكّٗا ۝٢١ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ۝٢٢ ﴾ (الفجر٢١-٢٢)، أي دكا بعد دك وصفا بعد صف ، هذا على الحال ، جاء في البحر: " ﴿ دَكّٗا دَكّٗا ﴾ حال، كقولهم: باباً باباً ، أي مكرراً عليهم الدّك "[١٣٤] ،وللشوكاني رأيان قال: " والمعنى : أنها دكت مرة بعد أخرى. وانتصاب ﴿ دَكّٗا ﴾ الأوّل على أنه مصدر مؤكد للفعل . و﴿ دَكّٗا ﴾ الثاني تأكيد للأوّل .. ويجوز أن يكون النصب على الحال ، أي: حال كونها مدكوكة مرة بعد مرة، كما يقال: علمته الحساب باباً باباً، وعلمته الخط حرفاً حرفاً"[١٣٥]

**٩- التلذذ بذكر المكرر:**

---

[١٣٣] فريد البيدق ، شبكة رواء للأدب وفنون العربية، http://www.ruowaa.com/vb/showthread.php?t=١٠٨٥٧ ٢٠٠٨/٠٣/٢٢

[١٣٤] أبو حيان، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م، البحر المحيط، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، بيروت، لبنان، ج٨، ص٤٦٦

[١٣٥] الشوكاني، فتح القدير، ج٥، ص٥٨٧

وساق ذلك الغرض فريد البيدق، ومثل له بقوله : [أبي أبي سيعود غدا من سفره][١٣٦] وخير من ذلك، ما يجده القارئ والسامع من تردد آية ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾، في سورة الرحمن[١٣٧]، وفي سورة القمر رغم التعنيف والتبكيت، تجد أنك تحب، وتستعذب تردد قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾.

**١٠- الإنكار والتوبيخ والتقريع:**

ومن ذلك تكرار قوله تعالى: ﴿ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ﴾ في سورة النمل، موبخاً المشركين، ومقرّعاً إياهم، قال أبو السعود: "وهذا تبكيتٌ لهم"[١٣٨] وقال الألوسي: "وهذا تبكيت لهم بنفي الألوهية عما يشركونه به عز وجل في ضمن النفي الكلي على الطريقة البرهانية بعد تبكيتهم بنفي الخيرية عنه"[١٣٩]

وقد زاد فريد البيدق أغراضا أخرى، أراها أغراضا فرعية متضمنة في الأغراض السابقة، أو قد تقترن بها، فمن ذلك مثلا أنه عَدَّ من أغراض التكرار: الحث على الشيء، والحث على اجتناب الشيء، والإرشاد إلى الخير، وإثارة الحزن، والترغيب في الشيء[١٤٠].

وقد وقعت يدي على دراسة قَيِّمَةٍ للدكتور [عمر محمد عمر باحاذق] موضوعها [أسلوب القرآن الكريم بين الهداية والإعجاز البياني] تناول الكاتب في الباب الرابع منها فصلا بعنوان [شبهات حول أسلوب التكرار في القرآن الكريم] جمع فيه ما وقف عليه الزركشي من فوائد وأغراض للتكرار في القرآن ، ثم استنتج الكاتب عددا آخر من الأغراض، رأيت أن لها

---

[١٣٦] فريد البيدق ، مشرف شبكة رواء للأدب وفنون العربية http://www.ruowaa.com/vb/showthread.php?t=١٠٨٥٧ ٢٠٠٨/٠٣/٢٢

[١٣٧] وما أكثر الذين يحبون سماع سورة الرحمن خاصة ، وتستطيع أن تلمس ذلك حتى بين العامة ، وقد وجدت بعضهم يطلب من الشيخ القارئ في إحدى المناسبات أن يسمعهم سورة الرحمن.

[١٣٨] أبو السعود، ج٤ن ص٢٧٢

[١٣٩] الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي،١٤١٥هـ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: عبد الباري عطية، بيروت، دار الكتب العلمية، ج١٠، ص٢١٦

[١٤٠] فريد البيدق ، شبكة رواء للأدب وفنون العربية، http://www.ruowaa.com/vb/showthread.php?t=١٠٨٥٧ ٢٠٠٨/٠٣/٢٢

وجاهتها، ورأيت أن أعرض بعضها هنا في إيجاز. فقد رأى أن من أغراض التكرار اللفظي في القرآن الكريم ما يأتي[١٤١]:

أ- **دفع الوهم**: كقول الله تعالى : ﴿ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ ﴿٤٩﴾ ﴾ (آل عمران٤٩)، وكرر ﴿ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ ﴾ دفعا لوهم من تَوَهَّمَ في عيسى ﷺ الألوهية.

ب- **إفادة الحسم في الأمر**: كمثل ما جاء في سورة الكافرون: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾ ﴾ فالتكرار في هذه السورة يوحي باليأس الذي يدخل قلوب الكافرين من أن ينصرف محمد ﷺ عن دينه إلى ما يعبدون.

ت- **التمييز**: كقوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ (البقرة٥)، وفي تكرير ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾ التنبيه على أنهم كما ثبت لهم الأثرة بالهدى، فهي ثابتة لهم بالفلاح.

ث- **الادعاء**: كقوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ ﴾ (البقرة٨)، وفي تكرير الباء أنهم ادعوا كل واحد من الإيمانيين على صفة الصحة والاستحكام، وليس الأمر كذلك.

---

[١٤١] عمر محمد عمر باحاذق ، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م ، أسلوب القرآن الكريم بين الهداية والإعجاز البياني ، ط١ ، بيروت ، دار المأمون للتراث ، ص٢٧٤-٢٧٨، بتصرف

ج-**الابتهال والتضرع:** مثل ما جاء في الأسلوب القرآني على سبيل الابتهال والتضرع وهو تعليم للمؤمن كيف يتجه إلى ربه ويدعوه كما في قوله تعالى: ﴿ **رَبَّنَا** لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ **رَبَّنَا** وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ **رَبَّنَا** وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (البقرة٢٨٩)، ومن ذلك تكرار [ ربنا ] والدعاء في سورة آل عمران ( الآيات ١٩١- ١٩٤).

وللدكتور حسين نصار دراسة قيمة في إعجاز القرآن بعنوان [التكرار] بحث فيها فوائد ووظائف وأغراض التكرار تحت مسمى واحد هو [أسباب التكرار]، وقد طال بحثه وتعددت الأسباب -٦٦ سببا- والناظر في الأسباب التي ذكرها الكاتب لمواطن التكرار اللفظي التي مثل بها سيرى أن الأسباب التي وقف عليها إنما هي بعض توجيه لمواطن التكرار والتشابه الذي ذكرها، وجدير بنا أن نذكر هنا رءوس هذه الأسباب مجملة دون تفصيل، وها هي الأسباب مرتبة بحسب ما وردت في كتابه : "تثبيت فؤاد النبي، التذكير، الوعظ والاعتبار، ضمان معرفة القصة، التأكيد، التغليظ، تثبيت القصة في القلوب، التقرير، الإفهام، العرف العربي، تنجيم القرآن، زيادة التحذير، إشباع المعنى، الاتساع في اللفظ، التنبيه، البرهنة على الإعجاز، إزالة الشبهة في الإعجاز، تكرر الوقوع والنزول، التسرية عن النبي، الزجر، اقتضاء الشكر، خشية الغلط، خشية الاستهانة، التعظيم، التوبيخ، الوعد والوعيد، التفصيل بعد الإجمال، التكذيب، التخصيص، المقابلة، استقلال كل جملة، فصل كل آية عن الأخرى، رعاية الفاصلة، رفع التوهم في العبارة، التهويل، التصوير، الابتهال، الإعلام بما يوجب حسن الإجابة، قطع أطماع الكسالى، التهجين، التبغيض، التفظيع، الاحتجاج، البيان، عدم توفر الدواعي للنقل، جذب النفوس، المبالغة، التعجب، مخاطبة اليهود، التفجع، تحقيق النعمة، بث الأفكار، خدمة المعنى، التجسيم، الإنذار، الجماهيرية، الطرق التربوية، إبراز العناية بالإنسان، بيان وحدة الأديان، التنغيم الموسيقي، أمية العرب، الربط بين السور، تلقي الكرم بالقبول، إثبات الألوهية، الصقل، ترسيخ المعتقد، توجيه النظر، تثبيت المؤمنين"[١٤٢]

[١٤٢] نصار، حسين، التكرار، ص١٧- ٧٣

## الفصل الثاني

# نشأة علم المتشابه اللفظي وتطوره وأنواعه

### المبحث الأول تقاسيم مراحل نشأة علم المتشابه اللفظي وتطوره

المطلب الأول: تقسيم السابقين لمراحل نشأة علم المتشابه اللفظي وتطوره:

- تقسيم محمد مصطفى آيدين
- تقسيم محمد البركة.

المطلب الثاني: تصور جديد لمراحل نشأة وتطور توجيه المتشابه اللفظي.

### المبحث الثاني: المتشابه اللفظي من التدوين حتى النظم

المطلب الأول: مرحلة ما قبل الجمع والتدوين.

المطلب الثاني: مرحلة جمع المتشابه اللفظي للحفظة والْقُرَّاء وتدوينه.

المطلب الثالث: مرحلة توجيه المتشابه اللفظي.

المطلب الرابع: مرحلة نظم المتشابه اللفظي.

### المبحث الثالث: المتشابه اللفظي من الركود حتى التجديد

المطلب الأول: مرحلة الركود.

المطلب الثاني: مرحلة الفهارس والمعاجم القرآنية.

المطلب الثالث: مرحلة الدراسة والتجديد.

### المبحث الرابع :أنواع المتشابه اللفظي في القرآن الكريم

المطلب الأول: اختلاف العلماء في تصنيف أنواع [المتشابه اللفظي في القرآن الكريم].

المطلب الثاني: تصنيف باعتبار اللفظ وعدد الأحرف.

**المبحث الأول:**

## نشأة علم المتشابه اللفظي

**مقدمة:**

إن هذا العلم كسائر العلوم مر بمراحل عدة حتى وصل إلى ما هو عليه الآن إلا أن بناءه لم يتم بعد، بل إنه ما زال في مرحلة التأسيس، فلو نظرنا في كتب المتشابه اللفظي سنجد أنها مازالت قليلة للغاية بالمقارنة مع فضل هذا العلم، بل إننا نجد أن أكثر الكتب المتأخرة عالة على المتقدمين من العلماء.

وإني لأعجب أشد العجب، إذ أن الذين صرفوا همتهم لخوض غمار علم [توجيه المتشابه اللفظي في القرآن] من العلماء والباحثين ما زالوا قلة، هذا على الرغم من اتساع بحر هذا العلم، وعمق أغواره، ولعل عمق أغواره وبُعْدَها هو السبب في الانصراف عنه.

**المطلب الأول: تقسيم السابقين لمراحل نشأة علم المتشابه اللفظي وتطوره**

وبالبحث في الكتب المتقدمة والمتأخرة لم يظهر لي -فيما أظن- من خصَّ مراحل تطور هذا العلم بالبحث والتدقيق إلا باحثين من المحدثين:

**أولا: تقسيم محمد مصطفى آيدين:**

وضع آيدين محقق الدرة تصورا لمراحل نشأة علم المتشابه اللفظي في القرآن وتطوره ولخصها في أربع مراحل وهاهي بإيجاز شديد:

١- النشأة والتأليف وذكر فيها كتاب الكسائي [متشابه القرآن] وكتاب ابن المنادي [متشابه القرآن العظيم].

٢- التوسع في هذا النوع والتأليف.

٣- حصر المتشابهات على أساس كل سورة سورة بحسب ترتيب المصحف.

٤- توجيه الآيات وبيان السبب[١٤٣].

[١٤٣] الإسكافي،١٤٢٢هـ-٢٠٠١م، درة التنزيل وغرة التأويل، تحقيق ودراسة مصطفى آيدين، ط١، جامعة القرى، مكة المكرمة، ج١، ص٦٤-٦٨، بتصرف.

لكني أرى أن هذه المراحل الأربعة في مجملها – بحسب تقديري – تُعَدُّ مرحلتين فقط: مرحلة الجمع والتدوين، ومرحلة التوجيه؛ فالمراحل الثلاث الأولى التي ذكرها تدخل جميعا تحت مرحلة الجمع والتدوين.

**ثانيا: تقسيم محمد البركة:**

وضع محمد البركة تصورا آخر أكثر دقة، فجعلها في خمس مراحل، لكنه أغفل بعض المراحل التي مر بها هذا العلم، كما أنه لم يُفَصِّلْ في هذه المراحل بداياتها ونِتَاجِها، وهاهو تقسيم محمد البركة في إيجاز:

أ- مرحلة ما قبل التدوين؛ وهي المتمثلة في بعض الآثار عن السلف.

ب- مرحلة جمع المتشابه اللفظي في رسالة أو مؤلّف خاص؛ دون توجيه أو تعليل.

ت- مرحلة توجيه المتشابه اللفظي، وذِكْرِ عِلَلِه وأسراره.

ث- مرحلة نظم المتشابه اللفظي.

ج- مرحلة دراسة المتشابه اللفظي دراسة نظرية موضوعية وصفية عامة[١٤٤].

وإني أرى أن محمد البركة قد أغفل مرحلتين من مراحل تطور هذا العلم، كما أميل إلى تعديل المرحلة الأخيرة التي ذكرها إلى: مرحلة الدراسة والتجديد.

## المطلب الثاني: تصور جديد لمراحل نشأة توجيه المتشابه اللفظي في القرآن وتطوره:

بعد استعراض آراء السابقين وتصورهم لمراحل نشأة هذا العلم وتطوره وما يشوبها من ثغرات، أرى أن هذه المراحل تستوجب تقسيما أوسع من ذلك، وأشمل وأدق، وهذا هو تقديري لمراحل تطور هذا العلم:

**الأولى** : مرحلة ما قبل الجمع والتدوين.

**الثانية** : مرحلة الجمع والتدوين.

**الثالثة** : مرحلة التوجيه.

**الرابعة** : مرحلة النظم.

---

[١٤٤] محمد بن راشد بن محمد البركة، المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وتوجيهه دراسة موضوعية، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود ،ج١، ص(٨٧-٨٨) بتصرف، والرسالة موجودة على الشبكة في موقع الموسوعة الشاملة http://islamport.com/ ٢٠٠٩/٠٧/١٩

**الخامسة** : مرحلة الركود.

**السادسة** : مرحلة الفهارس والمعاجم القرآنية.

**السابعة** : مرحلة الدراسة والتجديد.

وإني وإن كنت رأيت هذا التقسيم إلا أني أتفق مع محمد البركة إذ يقول: "إن القول في تقسيم علم من العلوم إلى مراحل متمايزة قولٌ اجتهادي، يختلف باختلاف الباحثين، ومدى اطلاعهم وسبرهم لذلك العلم. وعلى كلٍّ فالأمر فيه واسع، وليس في ذلك قول فصْل يُذعن له كلُّ أحد"[١٤٥]

ويمكننا تقسيم هذه المراحل السبعة إلى قسمين كبيرين؛ حيث تعد مرحلة الركود فاصلا بين زمانين مختلفين زمن القدامى وزمن المحدثين:

القسم الأول: المتشابه اللفظي من التدوين حتى النظم، ويشمل أربع مراحل.

القسم الثاني: المتشابه اللفظي من الركود حتى التجديد، ويشمل ثلاث مراحل.

وإليكم تفصيل هذين القسمين بمراحل كل منهما:

[١٤٥] المصدر السابق، ج١، ص٨٨

## المبحث الثاني

## المتشابه اللفظي من التدوين حتى النظم

### المطلب الأول: مرحلة ما قبل الجمع والتدوين

لعل علم [المتشابه اللفظي في القرآن] أحد العلوم التي بدأت مبكرا، وهو على بدايته المبكرة فإن رجاله قلة، ومصنفاته معدودة، وذهب محمد البركة[١٤٦] أن هذا العلم بدأ منذ زمن النبي صلى الله عليه وسلم حيث ورد عنه في بعض الروايات إشارات تصلح لأن تكون بدايات لهذا العلم جمعا وتوجيها، كما يوجد آثار لبعض السلف في توجيه المتشابه اللفظي من ذلك:

١- ما روي عن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال: "إن اسم الله الأعظم لفي ثلاث سور من القرآن: في سورة البقرة، وآل عمران، وطه" ، فالتمستها فوجدت في سورة البقرة آية الكرسي: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ ﴾، وفي سورة آل عمران: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾، وفي سورة طه: ﴿ وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ لِلۡحَيِّ ٱلۡقَيُّومِۖ ﴾"[١٤٧] ، وما ذكره الإسكافي والغرناطي في توجيههما لآيتي الكهف: ﴿ لَقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـٔٗا إِمۡرٗا ﴾ (الكهف٧١)، و﴿ لَّقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـٔٗا نُّكۡرٗا ﴾ (الكهف٧٤)، عن قتادة: "النكر أعظم من الإمر"[١٤٨]

---

[١٤٦] المصدر السابق، ج١، ص٧٥-٨٧

[١٤٧] حسنه الألباني في السلسلة، ج٢، ص٣٧١، رقم٧٤٦

[١٤٨] الإسكافي، ابو عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بالخطيب الإسكافي، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م، درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز، برواية ابن أبي الفرج الأردستاني، ط١، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ص١٥٨ / الغرناطي، أبو جعفر أحمد بن إبراهيم ابن الزبير الثقفي، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م، ملاك التأويل القاطع لذوي الإلحاد والتعطيل في توبه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، تحقيق: عبد الغني محمد علي الفاسي، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ج٢، ص٣٢٢ / وذكر **بدر** الدين العيني الحنفي هذا الأثر عن قتادة وابن كيسان، في عمدة القاري شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج١٩، ص٤٢ /كما جاء في: تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، محمد بن عبد الرحيم أبو العلا، بيروت، دار الكتب العلمية، ج٨، ص٤٧١.

٢- ما ذكره علماء[١٤٩] [توجيه المتشابه اللفظي في القرآن] من حديث رسول الله ﷺ: "لن يغلب عسر يسرين"[١٥٠] حين وجهوا آيتي سورة الشرح: ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦ ﴾ (الشرح٥-٦).

٣- ما ذكره القرطبي[١٥١] والشوكاني[١٥٢] وابن الجوزي[١٥٣] وغيرهم[١٥٤] عن جعفر الصادق في توجيه تكرار ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ في قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ **لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ** وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ **لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ** ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (آل عمران١٨)، قال: "الأول: وصف، والثاني: تعليم، أي: قولوا واشهدوا كما شهدت"

٤- ما ذكره الزركشي من: "أن بعض الزنادقة سأل الحسن بن علي رضي الله عنه عن هذه الآية -سورة الكافرون- فقال إني أجد في القرآن تكرارا، وذكر له ذلك، فأجابه الحسن بما حاصله: إن الكفار قالوا نعبد إلهك شهرا وتعبد آلهتنا شهرا فجاء النفي متوجها إلى ذلك"[١٥٥] وقد بحثتُ طويلا عن هذا الأثر للحسن ابن علي، فلم أجده في غير [البرهان] إلا أن كتب التفسير[١٥٦] -جُلَّها- قد ذكرت هذا المعنى في أسباب نزول السورة.

---

[١٤٩] الإسكافي، درة التنزيل، ص٣٠٤ / الغرناطي، ملاك التأويل، تحقيق علي الفاسي، ج٢، ص٥٠٨ / الكرماني، ١٩٩٧م، البرهان في توجيه متشابه القرآن، تحقيق: السيد الجميلي، القاهرة، مركز الكتاب للنشر، ص٢٠٩ / ابن جماعة، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م، كشف المعاني، تحقيق: عبد الجواد خلف، ط١، المنصورة ، مصر، دار الوفاء، ص٣٧٧ / الأنصاري، زكريا ، ١٩٩٩م، فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، تحقيق: السيد الجميلي، وأحمد السايح، القاهرة ، مركز الكتاب للنشر، ص٣٧٢ / السامرائي، محمد فاضل، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م، دراسة المتشابه اللفظي من آي التنزيل في كتاب ملاك التأويل، ط٢، عمان، الأردن، دار عمار للنشر

[١٥٠] ضعفه الألباني، محمد ناصر الدين بن الحاج نوح الألباني، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، دار المعارف، ج٩، ص٣٢٧، رقم٤٣٤٢

[١٥١] القرطبي، أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: هشام سمير البخاري، الرياض، دار عالم الكتب، ج٤، ص٤٣

[١٥٢] الشوكاني، فتح القدير،ج١، ص٥٤٣.

[١٥٣] ابن الجوزي، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، زاد المسير في علم التفسيرط٣، بيروت ، ودمشق، المكتب الإسلامي،ج١، ص٣٦٢

[١٥٤] ابن القيم ، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تفسير القرآن الكريم، ١٤١٠هـ، تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، بيروت، دار مكتبة الهلال، ج١، ص١٨٧ / وابن عجيبة، أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الإدريسي الشاذلي الفاسي أبو العباس، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، في البحر المديد،ط٢، بيروت، دار الكتب العلمية، ج١، ص٣٩٨.

[١٥٥] الزركشي البرهان في علوم القرآن، ج٣، ص٢١/ وقد ألمح محمد البركة إلى أن السيوطي قال:" ولم أرَ أحداً قبل الزركشي ذكر هذا الأثر عن الحسن، وإنما الوارد في سبب نزول سورة الكافرون - الذي هو بمعنى كلام الحسن - عن ابن عباس وغيره" راجع: السوطي، عبد الرحمن بن ابي بكر محمد السيوطي أبو الفضل، لباب النقول، دار إحياء التراث، بيروت، ص٢٣٦.

[١٥٦] راجع أكثر كتب التفسير: بداية من شيخ المفسرين الطبري حتى مفسرينا المحدثين ستجد ذلك في تفسير سورة الكافرون.

## المطلب الثاني: مرحلة جمع المتشابه اللفظي للحفظة والْقُرَّاء وتدوينه

وبدأت هذه المرحلة مبكرا على يد أَعْلام الْقُرَّاء[١٥٧]، حيث وجدوا أن المتشابه اللفظي في القرآن يَخْلِطُ ويُلَبِّسُ على حَفَظَة القرآن الكريم، فعمدوا إلى جمع الآيات المتشابهات لفظا لأجل حَفَظَة كتاب الله تَجَنُّبًا للخلط والنسيان، وذلك من دون توجيه لهذه الآيات، أو بيان لأسباب ترددها في أكثر من موضع من القرآن، ومن دون بيان لأوجه الاختلاف المعنوي فيما بينها.

وقد أشار ابن المنادي إلى الأسباب التي دفعت القراء إلى جمع المتشابه اللفظي في القرآن: "وإنما حملهم على وضعهم إياه لِلْقَرَأَةِ ردا من سوء الحفظ، وحداهم كون القرآن ذا قصص، وتقديم وتأخير، وكثير ترداد أنبائه ومواعظه، وتكرار أخبار من سلف من الأنبياء والمهلكين الأشقياء، يأتي بعضه بكلام متساوي الأبنية والمعاني على تفريق ذلك في آي القرآن وسوره، قد يجيء حرف من هذا الضرب فيأتي بالواو مرة وبالفاء مرة .... فاستحبوا أن يجمعوا من حروف متشابه القرآن ما إذا حفظ منع من الغلط"[١٥٨] ولعل أول مصنف وضع في هذا الباب [متشابه القرآن] للكسائي (ت ١٨٩) وقد أشار إلى ذلك السيوطي قال: "أفرده بالتصنيف خلق أولهم فيما أحسب الكسائي"[١٥٩] إلا أني وجدت في [كشاف كتب المتشابه اللفظي] الذي جمعه محمد مصطفى في ملتقى النخبة[١٦٠] على النت، جمع فيه -طاقته- كتب المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، وجدت فيه سبعة عشر مؤلفا -قديما وحديثا- باسم [متشابه القرآن] ثلاثة منها قد طبعت، وأحدها مخطوط، وثلاثة عشر منها مفقود.

---

[١٥٧] ذكر ابن النديم عشرة كتب تحت متشابه القرآن للقراء، هي: "كتاب محمود بن الحسن ، وكتاب خلف بن هشام، وكتاب القطيعي، وكتاب نافع، وكتاب حمزة، وكتاب علي بن القاسم الرشيدي، وكتاب جعفر بن حرب المعتزلي، وكتاب مقاتل بن سليمان، وكتاب أبي على الجبائي، وكتاب أبي الهذيل العلاف" راجع: ابن النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي المعتزلي الشيعي المعروف بابن النديم، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م، الفهرست، تحقيق: إبراهيم رمضان، ط٢، بيروت، دار المعرفة، ص٥٦، إلا أن أكثر هذه الكتب مفقودة، لم يصل إلينا إلا كتاب الكسائي.

[١٥٨] ابن المنادى ، أبو الحسن أحمد ابن جعفر، متشابه القرآن العظيم، تحقيق: عبد الله الغنيمان، دمنهور، مصر، ص ٥٩

[١٥٩] السيوطي، الإتقان، ج٢، ص١١٤

[١٦٠] راجع هذا الرابط:

http://www.nokhbah.net/vb/showthread.php?t=516 , ٢٠٠٩/٠٧/١٢

وقد ذكر محمد مصطفى أن كتاب الكسائي السابق ذكره مازال مخطوطا[١٦١]، إلا أن هذا الكتاب قد حُقِّقَ وطُبِعَ مرتين: الأولى: تحقيق صبيح التميمي، وطبعته كلية الدعوة الإسلامية سنة ١٩٩٤م ضمن السلسلة التراثية في طرابلس بليبيا، في ٢٤٤ صفحة[١٦٢]، والثانية: تحقيق: محمد بن عيد الشعباني، طبعته دار الصحابة للتراث بطنطا، مصر، سنة ٢٠٠٦م.

ولو تتبعنا الذين صنفوا في هذا الباب – جمع المتشابه اللفظي للحفظة والْقُرَّاء – بحسب الأسبقية سنجد أعلاما آخرين قد سبقوا الكسائي لكن –وللأسف– كتب هؤلاء مفقودة، وإننا وقد علمنا أن مرحلة جمع المتشابه اللفظي في القرآن قد بدأت مبكرا منذ منتصف المائة الثانية للهجرة إلا أن هذه المرحلة مازالت مستمرة إلى يومنا هذا، فمن حين لآخر يطلع علينا كتب جديدة تقوم على جمع المتشابه اللفظي في القرآن لعل أحدثها – فيما أظن – [الفتح الرباني في ضبط متشابه اللفظ القرآني][١٦٣].

ومن المصنفات التي وصلت إلينا[١٦٤] [متشابه القرآن العظيم][١٦٥] لابن المنادي(ت ٣٣٦هـ)، وقد يظن البعض أن ابن المنادي أول من سَنَّ منهج تَتَبُّع آيات المتشابه اللفظي في القرآن سورة سورة ، لكن أبا عبيدة (ت٢١٠هـ) صاحب [مجاز القرآن][١٦٦] هو أول من استحدث وسن هذا المنهج، حيث تتبع المجاز في آي القرآن سورة سورة من أم الكتاب حتى الناس، ولا أدري أيوجد من كُتُب المتشابه اللفظي المفقودة من استحدث هذا المنهج قبله أم لا، وعمد ابن المنادي إلى هذا المنهج، فتتبع آيات سورة البقرة من مبتدئها حتى منتهاها، فإن وقف على آية وقع لها مَثِيلٌ في السور المتأخرة ضمه إليها، وهكذا حتى إذا فرغ من البقرة، انتقل إلى آل عمران فما بعدها، علما أن أصل المنهج سنه علماء التفسير.

---

[١٦١] راجع هذا الرابط:

http://www.nokhbah.net/vb/showthread.php?t=516 , ٢٠٠٩/٠٧/١٢

[١٦٢] جاء هذا في بيان مكتبات جامعة الملك سعود على النت هنا:

http://catalog.library.ksu.edu.sa/digital/408953.html

[١٦٣] ياسر بن محمد بن محمد بن مرسي بن بيومي، الفتح الرباني في ضبط متشابه اللفظ القرآني،طبعته دار التقوى للنشر والتوزيع ، مصر شبرا الخيمة.

[١٦٤] ذكره محمد مصطفى بين الكتب المفقودة.

[١٦٥] ابن المنادى، ١٩٩٣م، متشابه القرآن العظيم، تحقيق: عبدالله بن محمد الغنيمان، وطبع في دمنهور، مصر، مكتبة لينة، في ٢٤٦ صفحة.

[١٦٦] أبو عبيدة، معمر بن المثنى التميمي، مجاز القرآن، علق عليه محمد فؤاد سزكين، وطبع في مكتبة الخانجي بالقاهرة في جزئين.

**المطلب الثالث: مرحلة توجيه المتشابه اللفظي**

ولعل تلك المرحلة هي أَجَلُّ وأعظم المراحل جميعا، وإِنَّا وإِنْ كنا لَمَسْنَا في المرحلة السابقة [مرحلة جمع المتشابه اللفظي وتدوينه] كثرةَ الْقُرَّاء والشيوخ الذين جمعوا ودَوَّنوا المتشابه اللفظي للحَفَظَة والْقُرَّاء، فإنا في هذه المرحلة سنلمس قلة من خاضوا غمار توجيه المتشابه اللفظي في القرآن، ولذلك أسبابه، فجمع المتشابه اللفظي لعله يسير، أما توجيهه فذاك شأن آخر، له فرسانه ورجاله؛ لأنه يحتاج إلى "مَلَكَة في دقة النظر، ودُرْبَة في طول الفكر والتماس المعاني اللطيفة من القرآن، عند من يشتغل به"[١٦٧]؛ فليس كل أحد قادر عليه، وذلك لدقة هذا العلم، وبُعْدِ أَغْوَارِه، وصُعُوبة استنتاج التباين بين الآيات المتشابهات، ومشقة الوقوف على المفارقة بينها، ولِخَفَاء الحكمة من تردد الآية أكثر من مرة، وعدم حضور المعنى الجديد، الذي طلع علينا في آية جديدة، تشابهت في لفظها مع آية أو آيات أخرى سوابق أو لواحق، فألبس على الناظر، فظن أن الآية هي الآية، والمعنى هو المعنى، في حين أن الآية غير الآية، والمعنى غير المعنى.

وبدأت مرحلة توجيه المتشابه اللفظي في القرآن على يد الإسكافي (ت ٤٢٠هـ)، ونستطيع أن نقسم علماء توجيه المتشابه اللفظي قسمين: [قدامى ، ومحدثين]، وحيث إن المساحة الزمنية بين القدامى والمحدثين واسعة ممتدة، تمتد لما يربو على ألف سنة، فلن يكون عسيرا علينا تحديد كل من القسمين، إذ أن المحدثين برز أثرهم في هذا العلم منذ ما لا يزيد عن بضع وعشرين سنة فقط، وسيأتي الحديث عنهم في المرحلة الأخيرة، مرحلة الدراسة والتجديد.

أما علماء توجيه المتشابه اللفظي في القرآن القدامى فهم:

١- **الإسكافي**: رائد هذا العلم ومؤسسه، وأول من التفتَ إليه، ورسم خطوطه، وحدد معالمه، ووضع فيه أول مُؤَلَّف، إنه العلامة الخطيب الإسكافي الأصفهاني (ت ٤٢٠هـ) صاحب [درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز]، ومن الحق أن نرد الفضل في هذا العلم إلى الإسكافي – رحمه

[١٦٧] محمد بن راشد بن محمد البركة، المتشابه اللفظي يف القرآن الكريم وتوجيهه دراسة موضوعية، ج١ ، ص١٤١

الله – فهو الإمام الذي ائتم به جميع من جاء بعده، ويكفيه فضل السبق، وأنه وضع حجر الأساس لعلم [توجيه المتشابه اللفظي في القرآن].

٢- **الكرماني**: تاج القراء برهان الدين الكرماني (ت ٥٠٥ هـ)، صنف في هذا الباب [البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان ]، مؤتما بالخطيب، فسار على دربه، وسلك مسلكه، ويبدو ذلك جليا حين يعرض الكرماني لرأي الخطيب من حين لآخر، كأن يقول مثلا: "والخطيب أطنب في هذه الآيات"[١٦٨]، وقد ذكر الكرماني اسم الخطيب صراحة في كتابه ثماني عشرة مرة.

٣- **الغرناطي**: فارس هذا الميدان، وسيد حلبته، العلامة أبو جعفر أحمد الغرناطي (ت ٧٠٨هـ) أَجْلَى صورة علم المتشابه اللفظي في القرآن بكتابه الفريد [ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل]، مُقِرًّا فيه بالفضل لرائد هذا العلم الإسكافي، مُسْتَنًّا بِسَنَنِه، وسِالِكًا مَسْلَكَه، فأَبَانَ وأَوْضَح، وزَادَ وفَاض، فَطَبَّقَ كتابه الآفاق، وطَغَتْ شهرته على شهرة أستاذه الإسكافي.

٤- **ابن جماعة**: بدر الدين أبو عبد الله محمد بن جماعة (ت٧٣٣هـ)، جمع علوما شتى وله مصنف جليل في توجيه المتشابه اللفظي في القرآن هو: [كشف المعاني في المتشابه من المثاني]. ونلاحظ أن كلا من الغرناطي وابن جماعة قد تعاصرا حيث إن الغرناطي ولد سنة " ٦٢٧هـ وتوفي ٧٠٨ هـ"[١٦٩] في غرناطة بالأندلس، وابن جماعة ولد في حماة سنة " ٦٣٩هـ ، وتوفي ٧٣٣هـ"[١٧٠] ولم يثبت لدينا أنهما التقيا.

---

[١٦٨] الكرماني ، برهان الدين ، ١٩٩٤م، البرهان في توجيه متشابه القرآن ، تحقيق: السيد الجميلي، مصر، مركز الكتاب للنشر، ص٢٩

[١٦٩] الزركلي، خير الدين، ١٩٨٠م، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العربي والمستعربين والمستشرقين، ط٥، بيروت، دار العلم للملايين، ج١، ص٨٦ / السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين، ١٤٠٣هـ، طبقات الحفاظ، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية، ص٥١٦، رقم ١١٣٤

[١٧٠] الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، ط١، بيروت، ج٢، ص١٥ / وابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م، رفع الإصر عن قضاة مصر، تحقيق: الدكتور علي محمد عمر، ص٣٤٢.

٥- **الأنصاري**: زكريا الأنصاري (ت٩٢٦هـ)، صاحب سفر [فتح الرحمن بكشف ما يلتبس من القرآن] ولعل اسم الكتاب يوحي بمنهجه، إذ إنه لم يقف عند تناول الآيات المتشابهات لفظا، بل إنه كان يقف عند الآيات التي قد يلتبس فيها الفهم، فيتناولها بالبيان والتفسير والتعليل، لذا أحصى له مُحَقِّقَا[١٧١] كتابه خمسة وسبعين ومائة وألف موضع تناولها الأنصاري بالبحث والنظر، وقد تجد تحت كثير من المواضع عددا من المسائل.

[١٧١] السيد الجميلي ، وأحمد السايح ، في تحقيقهما لكتاب الأنصاري ، طبعة مركز الكتاب للنشر ، سنة ١٩٩٩م ، بمصر.

**المطلب الرابع: مرحلة نظم المتشابه اللفظي**

"الشعر التعليمي الذي تنتمي إليه المنظومات في مختلف العلوم والفنون فَنٌّ دَفَعَ إليه رُقِيُّ الحياة العقلية العربية منذ القرن الثاني الهجري، حيث قام فريق من العلماء والشعراء بنظم العلوم، والمعارف، والسير، والقصص، والأخبار، بقصد تيسير حفظها، وتذليل مباحثها، وتقريب معانيها إلى الطلاب والدارسين"[١٧٢]، وذلك لأن "الذهنية العربية تنزع إلى ثقافة شعرية في الأصل."[١٧٣]. "ومن أشهر المنظومات التي بلغت ألف بيت أو ما يقاربه فسميت لذلك: ألفية ابن سينا في الطب، وألفيتا ابن معط وابن مالك في النحو، وألفية العراقي في أصول الحديث، وألفية محب الدين الحلبي في الفرائض، وألفية البرماوي في أصول الفقه، وألفية القباقبي في البلاغة، كما كان للسيوطي ألفية في النحو والتصريف والخط"[١٧٤]، وغير ذلك من المنظومات العلمية التي شملت شتى العلوم.

لم يتأخر نظم المتشابه اللفظي طويلا بل إنه واكب مرحلة التوجيه، فخرج إلى الوجود على يد عالم جليل هو: علم الدين السخاوي – رحمه الله – ومن جملة منظومات المتشابه اللفظي ما يلي:

١- منظومة [هداية المرتاب وغاية الحفاظ والطلاب في تبيين متشابه الكتاب] للإمام علم الدين أبو الحسن علي بن محمد السخاوي (٥٥٨-٦٤٣هـ) ، وهي أشهر المنظومات في هذا الباب وبلغت أبياتها ٤٣١ بيتا، وقد عرض لها عدد كبير من الباحثين والعلماء بالشرح والتحقيق[١٧٥].

٢- منظومة [تتمة البيان لما أشكل من متشابه القرآن] لأبي شامة المقدسي(ت:٦٦٥هـ)، أشار إليها عبد القيوم بن عبد الغفور السندي في بحثه [منظومتان في متشابه القرآن

---

[١٧٢] شبكة الفصيح، على هذا الرابط:
http://www.alfaseeh.com/vb/showthread.php?t=١٩٤٦ , ٢٠٠٩/٠٨/٢٧:

[١٧٣] شبكة دهشة على هذا الرابط:
http://www.dahsha.com/viewarticle.php?id=٣٠٩٣١ , ٢٠٠٩/٠٨/٢٧

[١٧٤] شبكة الفصيح، راجع هذا الرابط
http://www.alfaseeh.com/vb/showthread.php?t=١٩٤٦ , ٢٠٠٩/٠٨/٢٧ :

[١٧٥] من ذلك مثلا : التوضيحات الجلية شرح المنظومة السخاوية في متشابه الآيات القرآنية ، لمحمد محيس وشعبان محمد إسماعيل ، وحققها عبد القادر الخطيب.

هداية المرتاب للإمام السخاوي، وكفاية القارئ للإمام الحارثي التتوي تعريف ومقارنة] أشار إليها قائلا: "لما كانت منظومة الإمام السخاوي عملا أوَّلياً في هذا الباب فمن ثَمَّ لم تكن مستوْعِبةً لجميع المتشابهات – وإن شملت أغلبها وأهمها – ولذلك نرى تلميذه الإمام أبا شامة المقدسي – رحمه الله – يحاول لَمَّ شملِها وإكمال ما تبقى من المتشابهات بمنظومته [تتمة البيان لما أشكل من متشابه القرآن،] ، ولم تر نور النشر بعد.. ومنها نسخة مخطوطة في المكتبة الظاهرية بدمشق"[١٧٦]

٣- منظومة [كفاية القارئ في مشتبهات القرآن الكريم] للإمام محمد هاشم الحارثي السندي (ت١١٧٤هـ)، وصفها السندي بأنها أوسع المنظومات في المتشابه اللفظي، حيث تشتمل على ثمانية وألف بيت، وتعد فريدة في هذا الباب في العالم الإسلامي.[١٧٧]

٤- منظومة الدمياطي في متشابه الآي والألفاظ، الشيخ محمد بن مصطفى الخضري الدمياطي (ت:١٢٨٧هـ)، ونهج فيها منهج السخاوي قال في مطلعها:

**نحوتُ به نحوَ السخاوي وغالباً أزيد زيادات يدين لها الحِجا**

قال عنها شارحها: " وهي منظومة طيبة جمع فيها كثيرًا من المتشابهات، وزاد فيها على ما في
غيرها من المنظومات"[١٧٨]

٥- منظومات ذُكِرَت ولم نقف عليها: قال بعضهم: "ويوجد أيضا نظم يسمى البحر لأحد العلماء الشناقطة طبع بمكة المكرمة لم يترك شيئا من المتشابه إلا أنه طويل يزيد ٧٠٠ فيما أعتقد"[١٧٩] وقال آخر: "حسب فهمي فإن منظومة الدنفاسي

---

[١٧٦] السندي ، عبد القيوم بن عبد الغفور، ص١٩ ، بتصرف
http://www.tafsir.net/vb/attachment.php?attachmentid=١٨٣٨&d=١٢١٥٧٤٤٦٥٥ , ٢٠٠٩/٠٨/٢٧

[١٧٧] المصدر السابق ، ص٢٠.

[١٧٨] محمود بن محمد عبد المنعم بن عبد السلام العبد، حلية الحفاظ شرح منظومة الدمياطي في متشابه الآي والألفاظ، دار الأنصار للطبع والنسر والتوزيع ، ص١

[١٧٩] أمين حماد ، في ملتقى أهل الحديث، راجع هذا الرابط:
http://www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php?t=١٤٤٢٤٦ , ٢٠٠٩/٠٨/٢٨ ،

(الداني الفاسي) شملت متشابه الآيات وكذلك علم الرسم على رواية ورش وعندي نسخة متواضعة منها بخط اليد"[١٨٠]

## المبحث الثالث:

## المتشابه اللفظي من الركود حتى التجديد

### المطلب الأول: مرحلة الركود

تعد هذه المرحلة فاصلا بين زمانين متباعدين، وبين عصرين مختلفين، العصر الأول بدأ بالخطيب الإسكافي وانتهى بزكريا الأنصاري المتوفى سنة ٩٢٦هـ، والعصر الآخر بدأ من بعد مرحلة الركود التي استمرت لأكثر من خمسمائة سنة، أي أنه بدأ منذ ثلاثين سنة على يد عبد العظيم المطعني واستمر حتى الآن. ولو تتبعنا رجال [المتشابه اللفظي في القرآن] ومؤلفاتهم فيه منذ نشأة هذا العلم حتى عصرنا الحالي نجد ما يلي:

١- قلة وندرة رجال هذا العلم - توجيه المتشابه اللفظي - وبالتالي قلة وندرة المؤلفات، ولعل سبب ذلك كما أشرنا سلفا خصوصية هذا العلم ، إذ إنه يتسم بعمق الأغوار، ودقة وبُعْد المعاني، وتعددها رغم أنها نزلت على لفظ واحد، كما إنه لا يليق أن يخوض غماره إلا من ملك أسبابه، من القدرة على الغوص في أعماقه، ودقة النظر، والصبر على البحث والتنقيب، زد على ذلك الأسباب العامة التي يجب أن يجمعها المفسر قبل أن يُقْدِمَ على التفسير.

٢- تباعد المسافة الزمنية بين مصنفات [توجيه المتشابه اللفظي]، ويتضح ذلك من تواريخ ميلاد ووفاة رجال هذا العلم، فالثابت لدينا أن الإسكافي (ت٤٢٠هـ) أول من صنف في العلم، يليه الكرماني (ت ٥٠٥هـ) فالغرناطي (ت٧٠٨هـ) وعاصره ابن جماعة (ت٧٣٣هـ)، ثم الأنصاري (ت٩٢٦هـ)

---

[١٨٠] حامد بوراوي، في ملتقى أهل الحديث، راجع هذا الرابط:
http://www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php?t=١٤٤٢٤٦ , ٢٠٠٩/٠٨/٢٨ ،

٣- اعتماد المتأخر على المتقدم اعتمادا كبيرا، حيث يعد كتاب الإسكافي [درة التنزيل وغرة التأويل] عمدة هذا الباب وعماده، فقد قامت عليه كل مصنفات المتشابه اللفظي التي جاءت بعده، وهذا أمر واضح جَلِيٌّ، وقد أشرنا سلفا أن الغرناطي أقر بالسبق والفضل والتأسي بالإسكافي، والكرماني جمع الدرة[١٨١] في برهانه[١٨٢]، والأنصاري يعتمد على برهان الكرماني وعلى كشف[١٨٣] ابن جماعة، والسيوطي يعتمد اعتمادا وينقل نقلا في معتركه[١٨٤] عن ملاك[١٨٥] الغرناطي، وأتى المحدثون فتناولوا تلك المصنفات بالبحث والدراسة كما سيأتي.

٤- انقطاع التأليف بعد الأنصاري وتوقفه لما يزيد على خمسمائة سنة عجاف لم يظهر فيها مؤلف معتبر، فلم أقف - فيما أعلم - على مُصَنَّف وُضِعَ في توجيه المتشابه اللفظي أو عَلَمًا تَصَدَّى لهذا العلم بالتأليف في الفترة ما بعد الأنصاري الْمُتَوَفَّ ٩٢٦هـ حتى سنة ١٤٠٠هـ تقريبا ، فانقطع التأليف في توجيه المتشابه اللفظي بعد الأنصاري حتى جاء السامرائي.

تلك الفترة من [٩٢٦ هـ ] حتى نهايات القرن الماضي، توقف فيها التصنيف في هذا العلم، لذا اخترت أن أسمي تلك الفترة مرحلة الركود.

## المطلب الثاني: الفهارس والمعاجم القرآنية

لعل أول ما يتبادر للأذهان بعد قراءة هذا العنوان سؤال: ما الفرق بين الفهرس القرآني، والمعجم القرآني؟

- أما الفهرس[١٨٦] القرآني: فهو الذي يقوم على إحصاء وعرض ألفاظ القرآن أو آياته بنظام مُعَيَّن دون الخوض في تفصيل المعاني.

---

[١٨١] كتاب درة التأويل وغرة التنزيل للإسكافي.

[١٨٢] كتاب البرهان في توجيه متشابه القرآن للكرماني

[١٨٣] كتاب كشف المعاني لابن جماعة.

[١٨٤] كتاب معترك الأقران للسيوطي.

[١٨٥] كتاب ملاك التأويل للغرناطي

[١٨٦] في المعجم الوجيز: الفِهْرِس والفِهْرِسْت: الكتاب تجمع فيه أسماء الكتب مرتبة بنظام معين، وملحق في أول الكتاب أو في آخره يذكر فيه ما اشتمل عليه الكتاب من الموضوعات والأعلام أو الأبواب والفصول مرتبة بنظام معين. المعجم الوجيز ، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، مجمع اللغة العربية، مصر، ص٤٨٣/ وقال صاحب التاج:

- وأما المعجم[١٨٧] القرآني: فهو الذي يقوم على إحصاء وعرض ألفاظ القرآن وآياته بنظام مُعَيَّن مع الخوض في تفصيل موجز للمعنى.

وعادة ما يقوم منهج الفهارس والمعاجم على جمع الألفاظ التي تكررت في القرآن على أساس الترتيب الهجائي للحروف العربية، ثم الاعتماد على أصول المفردات، أما فهارس أو معاجم الآيات فيختلف المنهج بحسب وجهة الكاتب.

**لو تساءلنا: أيهما أولى بالتقديم اللفظ أم المعنى؟**

لعل هناك من يدعي أن المعنى مقدم على اللفظ، وحجتهم في ذلك أن المعنى أسبق في الوجود من اللفظ؛ لكن هذا الإدعاء مردود؛ إذ أن المعنى يبقى خفيا في الأذهان والقلوب والنفوس حتى يخرج ويظهر في بناء لفظي، فاللفظ وعاء المعنى، وصدق الخميسي إذ يقول: "إن الألفاظ هي أوعية المعاني والخازن لها، والمقدَّمة على المعاني"[١٨٨]

ولم يبالغ الأصفهاني حين قال: "أول ما يُحْتَاجُ أن يُشْتَغَلَ به من علوم القرآن العلومُ اللفظية، ومن العلوم اللفظية تحقيق الألفاظ المفردة، فتحصيل معاني مفردات ألفاظ القرآن في كونه من أوائل المعاون لمن يريد أن يدرك معانيه، كتحصيل اللَّبِن في كونه من أول المعاون في بناء ما يريد أن يبينه، وليس نافعا في علم القرآن فقط، بل هو نافع في كل علم من علوم الشرع فألفاظ القرآن هي لُبُّ كلام العرب، وزُبْدَتُه، وواسِطَتُه، وكرائمه، وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء في أحكامهم وحكمهم، وإليها مفزع حذاق الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم"[١٨٩]

---

الفِهْرِس بالكسر: هو الكِتَاب الَّذِي تُجْمَعُ فيه الكُتُب قال : وليسَ بعَرَبِيٍّ مَحْضٍ ولكنَّه مُعَرَّبٌ وقالَ غيره : هو معَرَّبُ فِهْرِسْت. وقَد اشْتَقُّوا منه الفِعْلَ فقالوا : فَهْرَسَ كِتَابَهُ فَهْرَسَةٌ وجَمْعُ الفَهْرَسَةِ فَهَارِس، راجع المرتضى الزبيدي، تاج العروس، ج١٦، ص٣٤٩

[١٨٧] في المعجم الوجيز: المعجم: كتاب لمفردات اللغة مرتب على حروف الهجاء، والجمع معجمات ومعاجم.راجع: المعجم الوجيز، ص٤٠٨

[١٨٨] الخميسي، أحمد حسن ، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م، مجلة التراث العربي، مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب، دمشق، العدد ٩٣ و ٩٤ ، آذار وحزيران ٢٠٠٤ – المحرم وربيع الثاني ١٤٢٤

[١٨٩] الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد،١٤١٢هـ، المفردات، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دمشق ، وبيروت، دار القلم ، والدار الشامية، ص٥٤-٥٥./ وهذا اللفظ بعينه نجده عند الزركشي في البرهان، ج٢، ص١٧٢

ويرى ابن الأثير أن الحديث النبوي يستوجب أمرين: "أحدُهما معرفة ألفاظه، والثاني معرفة معانيه. ولاشك أن معرفَةَ ألفاظه مُقَدّمةٌ في الرتبة؛ لأنها الأصل في الخطاب، وبها يحْصُل التفاهم، فإذا عُرِفَتْ تَرتَّبتِ المعاني عليها، فكان الاهتمام ببيانها أوْلَى"[١٩٠]

وكلام ابن الأثير هذا نسقطه إسقاطا على القرآن الكريم، إذ لا يمكننا أن نقف على معاني القرآن قبل الوقوف على ألفاظه، فاللفظ مقدم على المعنى.

وحين نظر العلماء في ألفاظ القرآن وتعبيراته التفتوا إلى الغريب منها والصعب، فتناولوه بالشرح والتبسيط ، فكَثُرَتْ معاجم غريب القرآن وتنوعت، أما المعاجم والفهارس القرآنية على الهيئة التي بين يدينا سواء الخاصة بالألفاظ أو الخاصة بالآيات فقد تأخرت إلى عصرنا الحالي، إلى منتصف القرن العشرين.

ولعل كتاب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ) [ **مفردات ألفاظ القرآن الكريم** ] يعد أقرب -من حيث المنهج- إلى المعاجم القرآنية الحديثة منه إلى كتب الغريب، وهو من أوسع وأشمل وأفضل هذه الكتب، حتى مع ظهور المعاجم القرآنية الحديثة مازال لكتاب الأصفهاني تميزه وفضله ومكانته المرموقة بين هذا النوع من المصنفات، وصار منهج الأصفهاني في كتابه سُنَّةً لمن بعده ، وقد لخصه في صدر كتابه قائلا: "وقد استخرت الله تعالى في إملاء كتاب مستوف فيه مفردات ألفاظ القرآن على حروف التهجي، فنقدم ما أوله الألف، ثم الباء على ترتيب حروف المعجم، معتبرا فيه أوائل حروفه الأصلية دون الزوائد، والإشارة فيه إلى المناسبات التي يبين الألفاظ المستعارات منها والمشتقات حسبما يحتمل التوسع في هذا الكتاب"[١٩١].

**أسباب وضع الفهارس والمعاجم القرآنية:**

[١٩٠] ابن الأثير، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي، بيروت، المكتبة العلمية ، ج١ ، ص٣

[١٩١] الأصفهاني، الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآند مشق، دار القلم، ج١، ص٤.

لقد صَاحَبَ دخولَ الكثير من غير العرب في الإسلام مع الفتوحات الأولى شيوعُ اللَّحِن بينهم ، بل وشيوعه بين أبناء العربية أنفسهم باختلاطهم بالعجم، وتَجَلَّتْ أشكال اللحن في أربعةٍ، عَدَّها صَاحِبُ معجم المعاجم هي:

- "لحن في مخارج الحروف.
- لحن في نطق الأصوات.
- لحن في تركيب الجمل.
- لحن في الإعراب"[١٩٢].

ذلك مما حَدا بالعلماء إلى توثيق العلوم الشرعية واللغوية بالكتابة والتأليف، حمايةً للعربية، وتقويماً لِعِوَجِ اللسان، وتربيةً للقرائح عَرَبًا وعَجَمًا، وضَبْطًا وحِفْظًا للعلوم، ونَشْرًا للعلم؛ حيث لم تَعُدْ الْحَوَافِظُ تَسَعُ الْكَمَّ الْمَعْرِفِي الجديد الهائل، مِمَّا يُهَدِّدُ بضياع أكثره. تلك الأسباب هي نفسها التي دعت إلى وضع الفهارس والمعاجم القرآنية.

ونلاحظ أن المعاجم القرآنية القديمة لم تلتفت إلى المتشابه اللفظي، وإنما انشغلت بالغريب من الألفاظ القرآنية، وظلت تلك الحال إلى عصرنا الحديث. " أما العلماء المعاصرون الذين تابعوا الاهتمام بالألفاظ القرآنية، بعد أن طوروا المنهج، وجدَّدوا في الطريقة والغرض، فوضعوا فهارس لألفاظ القرآن، ترشد الطالب إلى مكان الكلمات في آيات القرآن وسوره، ثم وضعوا معاجم لشرح معاني هذه الألفاظ بعد أن تذكر الآيات التي وردت فيها، وأعد بعض العلماء معاجم تخصصية، يتضمن كل معجم منها مفردات ذات موضوع واحد"[١٩٣].

لقد تطورت معاجم ألفاظ القرآن في القرن العشرين ومرت بمراحل أربع:

١- فهارس لألفاظ القرآن وأطراف آياته.

٢- معاجم لألفاظ القرآن.

٣- معاجم تخصصية لألفاظ القرآن.

---

[١٩٢] يسري عبد الغني عبد الله ،١٤١١هـ- ١٩٩١م، معجم المعاجم العربية، بيروت، دار الجيل، ص٣٣.

[١٩٣] الخميسي، أحمد حسن ، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م، بحث بعنوان (حركة التأليف المعجمي في مفردات القرآن) مجلة التراث العربي، مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب، دمشق، العددان ٩٣ و ٩٤ ، آذار وحزيران ٢٠٠٤ - المحرم وربيع الثاني ١٤٢٤، وهذا موقعها على النت

http://www.awu-dam.org/trath/٩٤-٩٣/turath٠٠٢-٩٤-٩٣.htm

٤- المعاجم الموضوعية لألفاظ القرآن الكريم.

**أولا: فهارس ألفاظ القرآن وأطراف آياته:**

لعلكم -وأنا معكم- تعجبون أشد العجب حين تعلمون أن أول فهرس لألفاظ القرآن الكريم وضعه مستشرق ألماني هو -جوستوف فلوجل GUSTAVUS FLUGEL- وأسماه: نجوم الفرقان في أطراف القرآن[١٩٤] [ CONCORDANTIA CORANI ARABICAE AD LITERAUM ORDINEM ET VERBORUM RADCES DILIKNTER DISPOSUIT ] وقد طبع طبعته الأولى سنة ١٨٤٢م[١٩٥].

وقد بلغ هذا الرجل من الدقة مبلغا، قال محمد فؤاد: "راجعت معجم فلوجل مادة مادة على معاجم اللغة وتفاسير الأئمة اللغويين، وناقشت مواده، حتى رجعت كل مادة إلى بابها، ولم أقنع من نفسي بذلك، بل اخترتُ من أجلَّة العلماء الْمَغاير، وصفوة الأصدقاء المخلصين، لجنةً عرضتُ عليهم فيها مواده مادة مادة، فما كان بادي الصحة أقروه، وما خفي عليهم وجه الصواب فيه فزعنا إلى المعاجم نستوضحها"[١٩٦] وبعد هذه المراجعة الدقيقة وَقَفَتْ هذه اللجنة على بضع وثلاثين خطأ[١٩٧] فقط، تتمثل في إيراد مادة ما خطأً في غير موضعها، كما أن المصحف

الذي اعتمد عليه فلوجل - FLUGEL - ترقيم آياته غير متوائم مع الترقيم الصحيح.

وكأن فلوجل - FLUGEL - قد فتح بابا كان موصدا، حيث تتابعت بعده فهارس ألفاظ وآيات القرآن، والتي كان أَجَلُّها وأَدَقُّها وأَوْسَعُها وأَشْمَلُها وأَيْسَرُها -ومازال- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لمحمد فؤاد عبد الباقي رحمه الله.

وإليكم بعض أشهر فهارس ألفاظ وآيات القرآن:

- نجوم الفرقان في أطراف القرآن، لجوستاف فلوجل GUSTAVUS FLUGEL

---

[١٩٤] فلوجل، جوستوف، [GUSTAVUS FLUGEL ]، ١٨٧٥م، نجوم الفرقان في أطراف القرآن، [ CONCORDANTIA CORANI ARABICAE AD LITERAUM ORDINEM ET VERBORUM RADCES DILIKNTER DISPOSUIT ]، lipsiae sumpibus bemesti bredtil.

[١٩٥] ذكر محمد فؤاد عبد الباقي في المعجم المفهرس أن طبعته الأولى سنة ١٨٤٢م ، راجع: محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس ، ١٤٠١هـ-١٩٨١م، دار الفكر للطباعة والنشر، ص (هـ).

[١٩٦] المصدر السابق ص (هـ).

[١٩٧] ذكرها محمد فؤاد مفصلة رادًّا كل مادة إلى مكانها الصحيح في المعجم المفهرس ص (و- ز)

- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لمحمد فؤاد عبد الباقي.
- قائمة معجمية بألفاظ القرآن الكريم ودرجات تكرارها لمحمد حسين أبو الفتوح[١٩٨].
- المعجم المفهرس للتراكيب المتشابه في القرآن الكريم، لمحمد زكي خضر.
- قاموس الألفاظ القرآنية، دليل أبجدي وبيان إحصائي لجميع ألفاظ القرآن الكريم[١٩٩]

**ثانيا: معاجم ألفاظ القرآن الكريم:**

الفهارس تعرض اللفظة القرآنية والمواضع التي نزلت فيها في القرآن دون الخوض في معانيها، مما حدا بالباحثين والعلماء أن يتسعوا في هذا الباب، فصنفوا المعاجم التي تناولت هذه الألفاظ بالبيان، ومنها ما يلي:

- معجم ألفاظ القرآن الكريم، مجمع اللغة العربية، مصر
- المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن وقراءاته، لأحمد مختار عمر بمساعدة فريق عمل[٢٠٠]

**ثالثا: معاجم تخصصية لألفاظ القرآن:**

وفيها يختار الباحث موضوعا ومجالا محددا، ثم يتتبع الألفاظ أو الآيات التي تدور حول هذا الموضوع فيضعها في مصنف مثل: معجم ألفاظ النبات في القرآن، ومعجم ألفاظ الحيوان في القرآن، ومعجم ألفاظ الزمان، ومعجم الأرقام في القرآن.

ومن ذلك الموسوعة التي أصدرتها الكويت برعاية أميرها الشيخ جابر الصباح المسماة [قاموس القرآن الكريم] ، وهو موسوعة تجمع الجوانب التشريعية، والتاريخية، والأثرية، والجغرافية، والنباتية بالكلمة والصورة، وصدرت تِبَاعا بداية من سنة ١٩٩٧م حتى ٢٠٠٤م جمعها عبد الله يوسف الغنيم وآخرون في ثمانية أجزاء.

ويمكننا القول أن فهرسة آيات القرآن الكريم قد بدأت مبكرا، على عكس فهرسة ألفاظ القرآن التي تأخرت حتى عصرنا الحديث، إذ يمكن تصنيف كتب المتشابه اللفظي التي وضعت للحفظة والقُرَّاء ضمن كتب فهارس آيات القرآن الكريم، وهذا النوع كثير، يصعب إحصاؤه.

---

[١٩٨] مكتبة لبنان ناشرون تاريخ النشر1990م.

[١٩٩] دار المعارف تاريخ النشر.1993م.

[٢٠٠] وهو معجم حديث ، وأرى أنه من أجل وأعظم المعاجم في هذا الباب ، مؤسسة سطور ، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

**رابعا: المعاجم الموضوعية لآيات القرآن الكريم**

وتهتم هذه المعاجم بتبويب آيات القرآن تحت موضوعات محددة، فنجد من بين موضوعات هذه المعاجم: التاريخ، محمد صلى الله عليه وسلم، بني إسرائيل، التوراة، النصارى، الإنجيل، التوحيد، التجارة، وغيرها من الموضوعات حتى تشمل آي القرآن، ومن هذه المعاجم:

- تفصيل آيات القرآن، للمستشرق الفرنسي جول لابوم، وجاءت الآيات تحت ٣٥٠ موضوعا، وقد ترجمه إلى العربية محمد فؤاد عبد الباقي صاحب المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ونشر سنة ١٩٣٥، ولم أقف على دار النشر.
- مستدرك تفصيل آيات القرآن لإدوارد مونتيه، ويعد ملحقا على المعجم السابق [تفصيل آيات القرآن] وزاد عدد موضوعاته من ٣٥٠ إلى ٧٢٠ موضعا.
- تفصيل موضوعات القرآن في الآيات المتوافقة، للدكتور محمد عبد الله الجزار، طبعته دار الطباعة المحمدية سنة ١٩٦٠م.
- الجامع لمواضيع آيات القرآن، لمحمد فارس بركات، نشرته دار قتيبة للطباعة والنشر سنة ١٩٨٥م.
- الفهرس الموضوعي لآيات القرآن لمحمد كصطفى بركات، ونشره المكتب الإسلامي للطباعة والنشر سنة ١٤٠٩هـ.
- المعجم المفهرس لمعاني القرآن، محمد بسام رشدي الزين، في مجلدين، نشر سنة ١٩٩٥م نشرته دار الفكر المعاصر ببيروت، ودار الفكر بدمشق.

**المطلب الثالث: مرحلة الدراسة والتجديد:**

وهي المرحلة المتأخرة من مراحل تطور علم المتشابه اللفظي في القرآن، ويمكننا القول أنها بدأت في العقد الأخير من القرن الماضي فقط، وبدأ النشاط في هذا العلم في اتجاهين:

**الأول**: لقد اطلعت على عدد كثير من الدراسات والأبحاث الجامعية في شتى أرجاء العالم الإسلامي، وتعد الدراسات الخمسة التالية أَجَلَّها فيما أظن:

- [خصائص التعبير في القرآن وسماته البلاغية] لعبد العظيم المطعني سنة ١٩٧٤م، والتي طبعت سنة ١٩٩٢م باسم [خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية] بناء على اقتراح وجيه من مدير مكتبة وهبة للمطعني الذي قَبِلَ الاقتراح[٢٠١]. وفي الباب التالي في فصله الثاني دراسة وافية لهذا الكتاب.

- دراسة وتحقيق [درة التنزيل وغرة التأويل للخطيب الإسكافي] لمحمد مصطفى آيدين، وقد طبعتها جامعة أم القرى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

- [دراسة المتشابه اللفظي من آي التنزيل في كتاب ملاك التأويل]، لمحمد فاضل السامرائي، والتي طبعت طبعتها الثانية سنة ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.

- المتشابه اللفظي في القرآن وأسراره البلاغية ، لصالح بن عبد الله بن محمد الشثري، سنة ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.

- المتشابه اللفظي في القرآن الكريم: دراسة مقارنة بين الإسكافي والغرناطي، لِلَبيب محمد جبران صالح، رسالة دكتوراه، جامعة ملايا، أكاديمية الدراسات الإسلامية، قسم القرآن والسنة، سنة ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٨م.

**الثاني: التأليف والتصنيف ولم يتصد له –فيما أعلم– إلا قلة قليلة من العلماء المحدثين**

**منهم:**

١- **فاضل السامرائي**، وهو أكثرهم وأعظمهم أثرا، قال ابنه: "أما من المحدثين فلا أعلم أحدا

كتب في هذا الموضوع أوسع مما كتب الدكتور فاضل السامرائي، فكتابه **[التعبير القرآني]** يضم كثيرا من الآيات المتشابهة ... وقد انفرد فيها برأيه، كما أنه وجّه آيات متشابهة كثيرة في بعض كتبه الأخرى، ككتاب **[معاني النحو]**، وكتاب **[بلاغة الكلمة في التعبير**

[٢٠١] أشار المطعني إلى هذا الاقتراح في صدر كتابه، ص٥

**القرآني]**"[٢٠٢]، ولعل هذه الكلمات كتبها محمد السامرائي قبل أن يخرج كتابا **[لمسات بيانية من نصوص التنزيل]**، و**[أسئلة بيانية في القرآن الكريم]** إلى الوجود؛ حيث إن الكتابين يحويان العديد من آيات المتشابه اللفظي التي وجهها فاضل السامرائي، كما أن برنامجه الشهير [لمسات بيانية] على قناة الشارقة الفضائية الذي طبق الآفاق فيه الكثير من الأسئلة التي تناقش المتشابه اللفظي في القرآن.

٢- **ياسين المجيد** بكتابه القيم **[المبنى والمعنى في الآيات المتشابهات]**، والذي وجه فيه كثيرا من مواضع المتشابه اللفظي الجديدة التي لم يوجهها أحد قبله، كما أنه له رؤى وتأويلات جديدة تعتمد على التفسير العلمي للقرآن فَكَّت رموز بعض أسرار آيات المتشابه اللفظي.

٣- **محمد الصامل** وكتابه **[من بلاغة المتشابه اللفظي في القرآن الكريم]** وقد تناول الصامل في كتابه عشرة مواضع فقط من مواضع المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، لكنه تناولها بتوسع كبير، فناقش في كل موضع من هذه المواضع العشرة مسائل عدة، في حين كان السابقون يناقشون في الموضع مسألة أو مسألتين، فإن الصامل يناقش في الموضع ذاته ما يقرب من عشر مسائل.

٤- **محمد القاضي** وكتابه **[المتشابه اللفظي في القرآن رؤية في التفسير من خلال اللغة والسياق]**: يبحث هذا الكتاب في موضوعين متلازمين، الأول منهما يقوم على خدمة الثاني، والثاني لا تقوم له قائمة إلا بالأول، فالأول هو نظرية السياق، والثاني هو توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم. وقد رسم القاضي إطارا عاما لكيفية التحليل اللغوي في ضوء سياق النص، ورمى الكاتب إلى التأكيد على أن التكرار غير موجود في القرآن، فقد تتشابه المعاني وتختلف التراكيب التي تحملها لاختلاف جانب من سياقها، وقد تتشابه

[٢٠٢] السامرائي، محمد فاضل، دراسة المتشابه اللفظي من آي التنزيل في كتاب ملاك التأويل، ص٢٦.

التراكيب وتختلف سياقاتها تماما، إلى الكشف عن دور السياق في إبانة المعنى، وكما رمى إلى الكشف عما يتطلبه كل سياق من تراكيب خاصة، ومفردات معينة.

٥- **محمد أمين الخضري**، وله في هذا الباب ثلاثة كتب هي:

- **الإعجاز البياني في صيغ الألفاظ دراسة تحليلية للإفراد والجمع في القرآن.**
- **من أسرار حروف العطف في الذكر الحكيم، الفاء، ثم.**
- **من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم.**

٦- **محمد حسن فرحات**، وله في هذا الباب:

- **تأويل ثلاث آيات متشابهات آيات الصابئين.**
- **[الخلافة في الأرض] وبحث فيه آيات الخلافة.**

## المبحث الرابع:

## أنواع المتشابه اللفظي في القرآن الكريم

### المطلب الأول :

### اختلاف العلماء في تصنيف أنواع [المتشابه اللفظي في القرآن الكريم]

لقد اختلف العلماء والباحثون في هذه القضية [تصنيف أنواع المتشابه اللفظي في القرآن] اختلافا عظيما، قلما وجدت فيها اثنين اتفقا على هذه الأنواع، ذلك أن كل عالم وكل باحث في هذا الموضوع ينظر فيجد أمامه كما كبيرا من الصور والأشكال والهيئات والأحوال من الآيات التي تكرر لفظها، فيجتهد في تصنيفها بحسب وجهته البحثية، ومنهجه الذي سلكه في تناول التكرار اللفظي في القرآن، وسأجتهد هنا أن أعرض اتجاهات ومناهج السابقين في تصنيف أنواع المتشابه اللفظي في القرآن وهي كما يلي:

١- **علماء وجهوا [المتشابه اللفظي في القرآن] من دون تصنيف أنواعه:** حيث نجد من العلماء مَنْ لم يشغل نفسه بتصنيف [أنواع المتشابه اللفظي في القرآن] كالإسكافي (ت٤٣٠هـ) صاحب [درة التنزيل وغرة التأويل] وهو رائد هذا العلم ومؤسسه؛ فإنه فارس هذا المضمار، إلا أنه انصرف إلى تتبع مواطن التشابه التي اختلفت فيما بينها في شيء ما، من: التعريف والتنكير، أو التقديم والتأخير، أو الزيادة والنقصان، أو تبديل كلمة بكلمة، أو حرف بحرف، أو غير ذلك من أوجه الاختلاف، فيتتبع هذه المواطن في السورة الواحدة، ثم في سائر ما تشابه معها في السور الأخرى من القرآن، بادئا بالبقرة، فما يليها، حتى سورة الناس.

وجاء من بعده الكرماني (ت٥٠٥) في [البرهان في توجيه متشابه القرآن] الذي سار على نهج الإسكافي ، ثم العلامة الغرناطي (ت٧٠٨) صاحب [ملاك التأويل] ، ومن بعدهم التزم ابن جماعة (ت ٧٣٣هـ) صاحب [كشف المعاني] هذا المنهج، ثم الأنصاري (ت ٩٢٦هـ) من بعد، فجمع كتابه [فتح الرحمن

بكشف ما يلتبس من القرآن] عمن سبقه من العلماء ملتزما منهجهم[٢٠٣]، وقد نوه محققا كتاب الأنصاري أنه اعتمد على ثلاثة كتب[٢٠٤] ثم قالا: "ولعل أكثر هذه الكتب اعتمادا عليها في تزويد هذا السفر الممتع – فتح الرحمن – هو كتاب البرهان للكرماني"[٢٠٥]، وسيأتي الحديث عن منهج هؤلاء العلماء بشيء من الإيجاز.

٢- **إشارات الغرناطي في تصنيف أنواع المتشابه اللفظي في القرآن:**

فرغم انتهاجه منهج الإسكافي إلا أنه أشار في ثنايا كتابه إلى أن [المتشابه اللفظي] ضربان، ولم يشر إلى ذلك صراحة، لكن يمكننا أن نستنتج ذلك من كلامه حين هَمَّ بتوجيه الآيات التي وردت في صدر سورة [طه] حول قصة موسى عليه السلام، وذلك من قوله: "وهذه الآي من مشكلات الضرب الثاني الذي بَنَيْنَا عليه مقصود هذا الكتاب"[٢٠٦] وقد بحثت في الكتاب وتأملت أين وضع هذا التقسيم؟! وأين الضرب الأول؟ فما وجدت لهذا التقسيم أثرا، لكن قوله: "مقصود هذا الكتاب" دَلَّنِي على قصد الغرناطي، فوجدته في صدر كتابه حين تحدث عن مقصد كتابه قائلا: "توجيه ما تكرر من آياته لفظا أو اختلف بتقديم أو تأخير وبعض زيادة في التعبير"[٢٠٧] فحرف العطف [ أو] يفصل بين ضربين، الأول: تكررت آياته لفظا، والثاني: اختلفت بتقديم أو تأخير أو...، أكد ذلك أن الآي التي في صدر سورة [طه] والتي نسبها إلى الضرب الثاني مما ينطبق عليها الاختلاف فيما بينها بتقديم أو تأخير وبعض زيادة في التعبير.

---

[٢٠٣] هذا عن لسانه في صدر مخطوط – مصور صورة فوتوغرافية وموجود عندي على الكمبيوتر– كتبه: أبو بكر بن إسماعيل بن فخر الدين الشواني، على واجهته رقم كودي ١٣٨٥/علوم القرآن، عدد الصفحات ١٤٦صفحة من القطع الكبير، كل صفحة تحوي ٣١ سطرا تقريبا.، وهذه النسخة من مخطوطات الأزهر الشريف، رقم ٣٠٣٠١٣، عدد أوراقها ٧٣ ورقة، وعنوان موقع ألزهر http://www.alazharonline.org

[٢٠٤] هي: درة التنزيل للرازي، درة التنزيل وغرة التأويل للإسكافي، والبرهان في توجيه متشابه القرآن للكرماني. علما أنه الكتابين الأولين كتاب واحد وهو المنسوب للإسكافي.

[٢٠٥] الأنصاري ، زكريا ، ١٩٩٩م، فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، تحقيق: السيد الجميلي وأحمد السايح، ط١، مصر، مركز الكتاب للنشر، ص٩.

[٢٠٦] الغرناطي، ملاك التأويل، ج٢، ص٣٣١.

[٢٠٧] المصدر السابق، ص٧.

وللغرناطي تقسيم آخر أكثر تخصصيا للمتشابه اللفظي، ذكره في منتصف الجزء الثاني من كتابه أثناء تناوله للمتشابه اللفظي في سورة [طه]، حيث قسمه أربعة أقسام، ففي لفظ صريح قال: "فمن المعلوم أن اللفظ بِالْتِفَاتِ مدلوله المعنوي يتعدد، ومرجع الألفاظ بالنظر إلى مسمياتها ينحصر في أربعة أقسام:

- أن يَتَّحِدَ اللفظ والمعنى.
- أو يَخْتَلِف اللفظ والمعنى.
- أو يتحد اللفظ ويختلف المعنى.
- أو يختلف اللفظ ويتحد المعنى."[٢٠٨]

لكن ذلك كان إشارات من الغرناطي دون أن يتناول هذه الأقسام بالتفصيل والتمثيل.

٣- **البعض جعله نوعين فقط**: وشرح هذا التقسيم مشرف موقع [الإسلام سؤال وجواب] على شبكة الانترنت في جواب سؤال عن [التكرار اللفظي في القرآن]، قال: قسَّم العلماء التكرار الوارد في القرآن إلى نوعين:

**أحدهما: تكرار اللفظ والمعنى:**

وهو ما تكرر فيه اللفظ دون اختلاف في المعنى[٢٠٩]، وقد جاء على وجهين: موصول، ومفصول.

**أما الموصول**: فقد جاء على وجوه متعددة: إما تكرار كلمات في سياق الآية، مثل قوله تعالى: ﴿ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴾ (المؤمنون٣٦)، وإما في آخر الآية وأول التي بعدها، مثل قوله تعالى: ﴿ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ **قَوَارِيرَاْ** ۝١٥ **قَوَارِيرَاْ** مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ۝١٦ ﴾ (الإنسان١٥-١٦)، وإما في أواخرها، مثل قوله تعالى: ﴿ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴾

---

[٢٠٨] المصدر السابق ، ج٢، ص٣٣٢

[٢٠٩] هذا الرأي – تكرار المعنى بتكرار اللفظ – قال به بعض علماء التفسير كابن كثير وابن عاشور وغيرهما. إلا أني أرفض القول بالتكرار في القرآن، إنما التكرار في اللفظ، واللفظ فقط دون المعنى.

(الفجر٢١)، وإما تكرر الآية بعد الآية مباشرة، مثل قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ۝٦ ﴾ (الشرح٥-٦).

**وأما المفصول:** فيأتي على صورتين: إما تكرار في السورة نفسها، مثل قوله تعالى: ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ في سورة [الرحمن] الذي تكرر إحدى وثلاثين مرة، وإما تكرار في القرآن كله مثل قول الله تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ ٦ مرات: في (يونس ٤٨) و(الأنبياء ٣٨) و( النمل٧١) و(سبأ٢٩) و(يس ٤٨) و(الملك٢٥).

**والثاني: التكرار في المعنى دون اللفظ:**

وذلك مثل قصص الأنبياء مع أقوامهم، وذِكر الجنة ونعيمها، والنار وجحيمها[٢١٠].

٤- **بعض العلماء جعل [المتشابه اللفظي في القرآن] ثلاثة أقسام:**

وهذا التقسيم جاء متنوعا أيضا، فلم يتفقوا على ثلاثة أقسام بعينها، فمن ذلك مثلا:

٤ . ١- ابن الجوزي في [المدهش] صَنَّفَ المتشابه اللفظي في القرآن ثلاثة فصول:

- فصل في الحروف المبدلات مثل: في البقرة: ﴿ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٍ ﴾ ، وفي [حم] فصلت: ﴿ فَقَضَىٰهُنَّ ﴾.

- فصل في الحروف الزوائد والنواقص مثل: في البقرة: ﴿ فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ ﴾، وفي يونس: ﴿ فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّثۡلِهِۦ ﴾.

- فصل في المقدم والمؤخر، مثل قوله تعالى في البقرة: ﴿ وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا

[٢١٠] بإيجاز وتصرف نقلا عن موقع الإسلام سؤال وجواب: www.islamqa.com/ar/ref/7226/doc ويشرف على هذا الموقع الشيخ محمد صالح المنجد.

وَقُولُواْ حِطَّةٌ﴾، وفي الأعراف: ﴿ وَقُولُواْ حِطَّةٌ وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا ﴾[٢١١].

٤ . ٢- أما ابن قتيبة فقسمها كما يلي:

- تكرار الأنباء و القصص.

- تكرار الكلام من جنس واحد كتكراره قول الله تعالى: ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾.

- تكرار المعنى بلفظين مختلفين لإشباع المعنى و الاتساع في الألفاظ كقول القائل: آمرك

بالوفاء، و أنهاك عن الغدر، وقول الله تعالى: ﴿ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخۡلٞ وَرُمَّانٞ ﴾ (الرحمن٦٨)[٢١٢].

ولم يقف تصنيف أنواع [المتشابه اللفظي في القرآن] عند هذا الحد بل إن هناك من العلماء من زاد في تصنيفها حتى بلغ بها خمسة عشر نوعا وذاك سيأتي في المطلب التالي.

**المطلب الثاني: تصنيف باعتبار اللفظ وعدد الأحرف:**

وقد وضع هذا التصنيف عالمان جليلان هما الكسائي والزركشي رحمهما الله

**١- أبواب المتشابه اللفظي لدى الكسائي :**

لعل الكسائي - رحمه الله - أول من صنف في أنواع المتشابه اللفظي في القرآن باعتبار عدد الأحرف - أي باعتبار عدد مرات التكرار - فهو الذي جمعه ونسقه في كتابه [متشابه القرآن]، وقد عجبت عجبا شديدا لدقة الكسائي في إحصائه، فقد راجعت كثيرا من إحصاءاته فما أخذت عليه سقطة، هذا على الرغم من أن عمدته الأولى في البحث والإحصاء الذاكرة.

[٢١١] ابن الجوزي،أب الفرج جمال الدين بن علي بن محمد بن جعفر الجوزي، ١٩٨٥م، المدهش، تحقيق: الدكتور مروان قباني، ط٢، بيروت، دار الكتب العلمية،ص١٨- ٢٢

[٢١٢] ابن قتيبة، أبو محمد عبد اللّه بن مسلم بن قتيبة الدينوري، ٢٠٠٧م، تأويل مشكل القرآن، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، (ص ١٤٨-١٥٢).

ويبدو لي أن كتاب الكسائي لم يقف عليه إلا قِلَّةٌ مِمَّنْ جاءوا بعده، وتأثروا به أَيَّمَا تأثير، وأكاد أُجْزِمُ – وسأثبت ذلك لاحقا – أن الزركشي في كتابه [البرهان] قد اعتمد على كتاب الكسائي، رغم أنه لم يشر إليه، وإني لا أبالغ إذا قلت أن الزركشي قد أخذ هذا التصنيف أخذا، ونقله عن الكسائي نقلا، إلا أن يد الزركشي تبرز في تقسيم الباب الأول إلى ثمانية أنواع، مع شيء من التوجيه لبعض الآيات التي مَثَّلَ بها لكل نوع، كما أنه قد زاد بعض الأبواب، وزاد بعض الأمثلة والتي وجدتُّها – أكثرها– غير دقيقة الجمع والإحصاء، وسيأتي إثبات ذلك.

**وتلك هي أبواب المتشابه اللفظي عند الكسائي :**

**١ . ١– باب ما جاء في القرآن حرفا ليس غيره،** وفيه تتبع الكسائي سور القرآن سورة سورة، من البقرة حتى الناس، وعرض الآيات التي لم يرد ذكرها إلا مرة واحدة، فإن وجد آيات تُشَابِهُها –في أكثر ألفاظها– أَلْمَح لذلك، فمن ذلك: ذكر أن قول الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ﴾ (البقرة٢١)، وفي سائر القرآن ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ ﴾[٢١٣]، وقوله: ﴿ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾ (البقرة٢٣)، وفي سائر القرآن بغير [من][٢١٤] "[٢١٥] وهكذا، وقد أخذ هذا الباب أربعين صفحة من الكتاب[٢١٦].

**١ . ٢– باب ما في القرآن من حرفين:** جمع الكسائي في هذا الباب اثنين وثمانين موضعا،

تشابه فيها لفظ آيتين في القرآن[٢١٧]، وجعل لكل آيتين متشابهتين بابا، كأن يقول: باب ﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا ﴾ حرفان في البقرة: ﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن

[٢١٣] {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ} في ثلاث سور النساء ١ ، والحج ١ ، لقمان ٣٣، ولم يذكر محقق كتاب الكسائي التميمي إلا النساء والحج وغفل عن لقمان.

[٢١٤] في يونس ٣٣ ، ولم أجد لها نظيرا في القرآن ، وضم التميمي آية هود٣٣{ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ} إلى آية (يونس٣٣) وأظنه مصيبا.

[٢١٥] الكسائي ، ١٩٩٤م، متشابه القرآن ، تحقيق صبح التميمي، ليبيا ، كلية الدعوة الإسلامية ، السلسلة التراثية، ص٥٥.

[٢١٦] راجع المصدر السابق ص(٥٥–٩٥).

[٢١٧] راجع المصدر السابق ص(٩٧–١٢٧).

كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ (البقـــــرة١٨٤)، ﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ ﴾ (البقرة١٩٦).

١ . **٣- باب ما في القرآن من ثلاثة أحرف:** ذكر في هذا الباب تسعة وثلاثين موضعا ، وفيها ذكر الآيات التي تكرر لفظ كل منها ثلاث مرات[٢١٨].

١ . **٤- باب ما في القرآن من أربعة أحرف:** وجاء في هذا الباب ستة وثلاثون موضعا للآيات التي تكرر لفظها أربع مرات[٢١٩].

١ . **٥- باب ما في القرآن من خمسة أحرف:** ووقف في هذا الباب على أحد عشر موضعا للآيات التي تكرر لفظها خمس مرات[٢٢٠].

١ . **٦- باب ما في القرآن من ستة أحرف:** ووقف فيه على أحد عشر موضعا للآيات التي تكرر لفظها ست مرات[٢٢١].

١ . **٧- باب ما في القرآن من سبعة أحرف:** ووقف فيه على سبعة مواضع للآيات التي تكرر لفظها سبع مرات[٢٢٢].

١ . **٨- باب ما في القرآن من ثمانية أحرف:** ووقف في هذا الباب على ثلاثة مواضع لآيات تكرر لفظ كل منها ثماني مرات[٢٢٣].

١ . **٩- باب ما في القرآن من تسعة أحرف:** ووقف في هذا الباب على أربعة مواضع لآيات تكرر لفظها تسع مرات[٢٢٤].

١ . **١٠- باب ما في القرآن على عشرة أحرف:** ووقف في هذا الباب على موضع واحد

---

[٢١٨] راجع المصدر السابق ص(١٢٩-١٤٧).
[٢١٩] راجع المصدر السابق ص(١٤٩-١٦٩).
[٢٢٠] راجع المصدر السابق ص(١٧١-١٧٧).
[٢٢١] راجع المصدر السابق ص(١٧٩-١٨٧).
[٢٢٢] راجع المصدر السابق ص(١٨٩-١٩٤).
[٢٢٣] راجع المصدر السابق ص(١٩٥-١٩٨).
[٢٢٤] راجع المصدر السابق ص(١٩٩-٢٠٣).

تكرر فيه لفظ آية واحدة عشر مرات[٢٢٥].

١ . ١١- **باب ما في القرآن من أحد عشر حرفا** ، ووقف في هذا الباب على خمسة مواضع تكرر فيه لفظ الآيات إحدى عشرة مرة[٢٢٦].

وانتقل الكسائي بعد هذا الباب إلى [باب ما في القرآن من خمسة عشر حرفا] فيبدو أنه لم يثبت لدية أبواب ما في القرآن من: اثني عشر حرفا وثلاثة عشر حرفا وأربعة عشر حرفا، إلا أني قد وقفتُ على هذه الأبواب وسيأتي ذكرها آخر هذا المطلب.

١ . ١٢- **باب ما في القرآن من خمسة عشر حرفا:** ووقف فيه على موضعين تكرر فيهما

لفظ آيتين، كل منهما خمس عشرة مرة[٢٢٧].

ثم انتقل بعد هذا الباب إلى [باب ما في القرآن من عشرين حرفا] حيث يبدو لنا أنه لم يثبت لديه أبواب ما في القرآن من: ستة عشر حرفا وسبعة عشر حرفا وثمانية عشر حرفا وتسعة عشر حرفا، إلا أني قد وقفت على هذه الأبواب وسيأتي ذكرها.

١ . ١٣- **باب ما في القرآن من عشرين حرفا:** ووقف فيه على موضعين تكرر فيهما لفظ آيتين كل منهما عشرين مرة[٢٢٨]

**٢- فصول المتشابه لدى الزركشي:**

بالنظر في كتب المتشابه اللفظي المتأخرة، وكتب علوم القرآن التي تناولت علم المتشابه اللفظي وأفردت له بابا بين العلوم، نجد أن أكثر هذه الكتب قد تأثرت بالزركشي – رحمه الله – في تقسيمه وتصنيفه لأنواع المتشابه اللفظي، ويكاد يكون كتابه [البرهان في علوم القرآن] عمدة في هذا الباب للمتأخرين من الباحثين في هذا العلم، ونادرا ما تجد مَنْ التفت إلى كتاب الكسائي [متشابه القرآن] ومنهجه في جمع وتصنيف المتشابه اللفظي، وقد كنت على درب

[٢٢٥] راجع المصدر السابق ص(٢٠٥-٢٠٦).

[٢٢٦] راجع المصدر السابق ص(٢٠٧-٢١٢).

[٢٢٧] راجع المصدر السابق ص(٢١٣-٢١٦).

[٢٢٨] راجع المصدر السابق ص(٢١٧-٢١٩)

من سبقني أسير على هذا النحو، حتى وقعت يدي على كتاب الكسائي، فأدركت أن تصنيف المتشابه اللفظي على وضعه القائم يعود الفضل فيه للكسائي، ولعل السبب في عدم الالتفات إلى فضل الكسائي أن كتابه لم يحقق، ولم يطبع وينشر إلا متأخرا[٢٢٩] سنة (١٤٠٢ هـ ١٩٩٤م)[٢٣٠]، كما أنه طبع في بلد – ليبيا – أُغْلِقَتْ دونه كلُّ أسباب ونوافذ العلم، ولم يطبع في دار نشر معتمدة تقوم على نشره وتوزيعه، بل في كلية الدعوة الإسلامية، فيبدو أن ذلك كان بعض أسباب عدم انتشار الكتاب.

وفصول تصنيف الزركشي لأنواع المتشابه اللفظي تعتبر قسمين كبيرين:

**الأول**: تشابه باعتبار تكرر اللفظ على نظم في موضع وعلى نظم آخر في موضع آخر، وجعل
هذا القسم في الفصل الأول.

**الثاني**: تشابه باعتبار عدد الأحرف، أي عدد مرات التكرار، ويشمل باقي الفصول، خمسة عشر فصلا.

**الفصل الأول من تصنيف الزركشي :**

أطلق الزركشي عليه: "**تشابه باعتبار تكرر اللفظ على نظم في موضع وعلى نظم آخر في موضع آخر**"[٢٣١]، فقد نظر فيما وقف عليه السابقون في توجيه المتشابه بحسب التعريف أو التنكير أو التقديم والتأخير، أو الزيادة والنقصان، أو تبديل كلمة بكلمة، أو حرف بحرف، أو غير ذلك من أوجه الاختلاف وجعله فصلا واحد، وقد تأثر السيوطي[٢٣٢] بالزركشي تأثرا مباشرا، فتناول الفصل الأول من تصنيف الزركشي لأنواع المتشابه، لكنه لم يشر إلى فصول المتشابه اللفظي باعتبار عدد مرات التكرار.

---

[٢٢٩] فقد طبع مرتين: الأولى بتحقيق:صبيح التميمي، وطبعته كلية الدعوة الإسلامية بليبيا سنة ١٩٩٤م.، والثانية: بتحقيق: محمد بن عيد الشعباني، وطبعته دار الصحابة بطنطا مصر سنة ٢٠٠٦م.

[٢٣٠] لايوجد تناسب بين هذين التاريخين، حيث إن ١٤٠٢هـ يقابلها ١٩٨١م، و١٩٩٤م يقابلها ١٤١٤هـ فلا بد أن أحدهما خطأ.

[٢٣١] الزركشي، البرهان، ج١، ص١١٣.

[٢٣٢] راجع: السيوطي، جلال الدين، الاتقان، ج٢، ص١١٥-١١٦.

وفي تحقيقه لكتاب [كشف المعاني][٢٣٣] قام عبد الجواد خلف بترتيب تصنيف لأنواع [المتشابه اللفظي في القرآن] بأسلوب مُنَسَق بديع، وحين نظرت فيه، وجدته موافقا تصنيف الزركشي – أو يكاد.

وقد عَجِبْتُ لقول لبيب صالح: "أورد الزركشي – رحمه الله – صورًا متعددَّة للمتشابه اللفظي في القرآن الكريم بلغت ثماني صور، ويمكن جمعها في سبع صور"[٢٣٤] ؛ إذ أن الصور الثماني التي ذكرها لبيب صالح عن الزركشي ما هي إلا فصل واحد، هو الفصل الأول.

**وهذا مضمون الفصل الأول لدى الزركشي في إيجاز:**

**٢ . ١–** مجيء اللفظ في موضع على نظم، ويجيء في موضع آخر على عكسه، قال عنه الزركشي: "وهو يشبه رد العجز على الصدر، ووقع في القرآن منه كثير"[٢٣٥]، مثل: قوله تعالى: ﴿ وَجَآءَ **رَجُلٌ** مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ ﴾ (القصص٢٠)، وقوله عز وجل: ﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ **رَجُلٌ** يَسْعَىٰ ﴾ (يس٢٠).

**٢ . ٢–** تشابه بزيادة حرف في موضع ونقصه في موضع آخر: مثل قول الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا **مِن قَبْلِكَ** إِلَّا رِجَالاً ﴾ (يوسف١٠٩)، وقوله سبحانه: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا **قَبْلَكَ** إِلَّا رِجَالاً نُّوحِيۤ إِلَيْهِمْ ﴾ (الأنبياء٧).

**٢ . ٣–** تشابه بالتقديم والتأخير: قال عنه: وهو غير الأول ولكنه قريب منه، مثل قوله تعالى:

﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ **لَهْوًا وَلَعِبًا** ﴾ (الأعراف٥١)، وقوله عز وجل: ﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا **لَعِبٌ وَلَهْوٌ** ﴾ (الأنعام٣٢).

---

[٢٣٣] راجع: ابن جماعة، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م، كشف المعاني في المتشابه من المثاني، تحقيق: عبد الجواد خلف، المنصورة ، ط١، مصر ، الدار الوفاء،ص(٤٧-٥٨)

[٢٣٤] لبيب صالح، ص١٧

[٢٣٥] وقد ساق الزركشي أمثلة عديدة لهذا النوع، البرهان ، ج١، ص ١١٣

٢ . ٤- تشابه بإيراد اللفظ معرفا في موضع ، ومنكرا في موضع آخر: مثل[٢٣٦] قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا ﴾ (البقرة١٢٦)، وقوله عز وجل: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا ﴾ (إبراهيم٣٥).

٢ . ٥- تشابه بإيراد اللفظ مفردا في موضع، وجمعا في موضع آخر: مثل قوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ﴾ (البقرة٨٠)، وقوله عز وجل: ﴿ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ﴾ (آل عمران٢٤).

٢ . ٦- تشابه بإبدال حرف مكان حرف آخر: مثل قوله تعالى: ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا ﴾ (البقرة٣٥)، وقوله عز وجل: ﴿ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا ﴾ (الأعراف١٩).

٢ . ٧- تشابه بإبدال كلمة مكان كلمة: وله أمثلة كثيرة، منها قول الله تعالى: ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم ﴾ (الأنبياء٢)، وقوله عز وجل: ﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ (الشعراء٥).

٢ . ٨- الإدغام وتركه: نحو قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ

[٢٣٦] ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ ﴾ الأنفال، ويوسف٦٥، والشعراء٢٢٠، وفصلت٣٦، والدخان٦، وقوله عز وجل: ﴿ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ الأعراف.

ٱلۡعِقَابِ ﴾ (الأنفال١٣)، وقوله عز وجل: ﴿ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾ (الحشر٤).

**وقفة مع هذا الفصل للزركشي:**

لم يقف هذا الفصل من تقسيم الزركشي عند هذه الأنواع التي ذكرها، بل إن بعض الباحثين الجدد قد أضاف إلى هذه الأنواع أنواعا أخرى، فهذا محمد فاضل السامرائي استدرك على الزركشي ثمانية أنواع أخرى قائلا: "ويمكننا أن نضيف إلى الأقسام التي ذكرها الزركشي أقساما أخرى وهي[٢٣٧]:

**أ-** ما اختلف في التوكيد وعدمه: نحو قوله تعالى: ﴿ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (البقرة١٩٣)، وقوله: ﴿ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴾ (الأنفال٣٩).

**ب-** ما اختلف في صيغ الوصف: نحو قوله تعالى: ﴿ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشۡتَبِهٗا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٖ ﴾ (الأنعام٩٩)، وقوله: ﴿ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهٗا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٖ ﴾ (الأنعام١٤١).

**ت-** ما تباين في صيغ جموعه: نحو قوله تعالى: ﴿ نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطَٰيَٰكُمۡ ﴾ (البقرة٥٨)، وقوله: ﴿ نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطِيٓـَٔتِكُمۡ ﴾ (الأعراف١٦١).

**ث-** ما اختلف من حيث التجرد والزيادة نحو قوله تعالى: ﴿ فَمَن تَبِعَ هُدَايَ ﴾(البقرة٣٨)، وقوله: ﴿ فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ﴾ (طه١٢٣).

[٢٣٧] راجع: السامرائي، محمد فاضل، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م، دراسة المتشابه اللفظي من آي التنزيل في كتاب ملاك التأويل، ط٢ ، عمان، الأردن، ص٢٤.

ج- ما اختلف في أحرف الزيادة: نحو قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ ﴿٤٩﴾ ﴾

(البقرة٤٩)، وقوله: ﴿ وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ ﴿١٤١﴾ ﴾ (الأعراف١٤١).

ح- ما اختلف فيه الفعل من حيث البناء للمعلوم والمجهول: نحو قوله تعالى: ﴿ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾ (التوبة٨٧)، وقوله: ﴿ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾ (التوبة٩٣).

خ- ما اختلف في الفعل من حيث التذكير والتأنيث: نحو قوله تعالى: ﴿ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ ﴾ (هود٦٧)، وقوله: ﴿ وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ ﴾ (هود٩٤).

د- التكرار نحو قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ (الشرح٥-٦).

**٣- موافقة باقي فصول الزركشي لأبواب الكسائي:**

وبالنظر في باقي فصول الزركشي والتي صنف فيها المتشابه اللفظي باعتبار عدد مرات التكرار، ومقارنتها مع أبواب الكسائي التي ذكرناها آنفا، نجدها مطابقة لها، إلا أن الزركشي زاد فصلين، فنجد أن الفصول من الثاني إلى الحادي عشر لدى الزركشي هي نفسها الأبواب من الثاني إلى الحادي عشر لدى الكسائي، وقد ترك الكسائي ما تكرر لفظه اثنتي عشرة، وثلاث عشرة، وأربع عشرة مرة، وتركها الزركشي أيضا، ثم انتقل الكسائي إلى ما تكرر لفظه خمس عشرة مرة، ومثله انتقل الزركشي أيضا، ثم انتقل الكسائي إلى ما تكرر لفظه عشرين مرة، إلا أن الزركشي زاد فصلي: ما جاء على ثمانية عشر حرف وثلاثة وعشرين حرفا.

وقد عجبت لعبد الجواد خلف محقق كتاب ابن جماعة، حيث إنه تابع الزركشي متابعةً في تصنيفه، وأنكر صراحة وجود الفصول التي سكت عنها الزركشي والكسائي، في

حين أني وقفتُ عليها جميعا، يقول: " ولم يتكرر في القرآن شيء اثنتا[٢٣٨] عشرة مرة، ولا ثلاث عشرة مرة، ولا أربع عشرة"[٢٣٩]، وقال: "ولم يُكَرَّر شَيْءٌ ستَّ عشرة مرة، ولا سبع عشرة"[٢٤٠]، وقال: "ولم يرد شيء على التكرير تسع عشرة مرة"[٢٤١]. فتلك الأبواب التي سكت عنها الكسائي والزركشي، وأنكرها عبد الجواد خلف، قد وقفتُ عليها، وسيأتي بيانها.

وإليكم هذا الجدول التخطيطي الذي يبين ما وافق فيه الزركشي الكسائي، بما يدل على أن الزركشي قد تأثر به، ونقل عنه، رغم أنه لم يذكر الكسائي، ولا كتابه حين هم بتناول النوع الخامس من العلوم – علم المتشابه اللفظي– في كتابه، وتلك كان عادة القدماء، إذ لابأس لدى الكثير منهم أن يُضَمِّنَ كتابَه كتابا آخر لغيره دون أن يشير لذلك.

| أبواب [فصول] المتشابه اللفظي | لدى الكسائي | | لدى الزركشي | |
|---|---|---|---|---|
| ما في القرآن من حرفين | ذكره | لم يذكره | ذكره | لم يذكره |
| ثلاثة أحرف | √ | – | √ | – |
| أربعة أحرف | √ | – | √ | – |
| خمسة أحرف | √ | – | √ | – |
| ستة أحرف | √ | – | √ | – |
| سبعة أحرف | √ | – | √ | – |
| ثمانية أحرف | √ | – | √ | – |
| تسعة أحرف | √ | – | √ | – |
| عشرة أحرف | √ | – | √ | – |
| أحد عشر أحرف | √ | – | √ | – |
| اثني عشر حرفا | – | √ | – | √ |

[٢٣٨] وردت في تحقيق عبد الجواد خلف بالرفع [اثنتا] والصحيح بالنصب على التمييز[ اثنتي ]، أو مفعول مطلق مبين للعدد.

[٢٣٩] ابن جماعة، كشف المعاني، تحقيق عبد الجواد خلف، ص٥٢.

[٢٤٠] ابن جماعة، كشف المعاني، ص٥٣.

[٢٤١] ابن جماعة، كشف المعاني، ص٥٥.

| | | | | |
|---|---|---|---|---|
| ثلاثة عشر حرفا | – | √ | – | √ |
| أربعة عشر حرفا | – | √ | – | √ |
| خمسة عشر حرفا | √ | – | √ | – |
| ستة عشر حرفا | – | √ | – | √ |
| سبعة عشر حرفا | – | √ | – | √ |
| ثمانية عشر حرفا | – | √ | √ | – |
| تسعة عشر حرفا | – | √ | – | √ |
| عشرين حرفا | √ | – | √ | – |
| واحد وعشرين حرفا | – | √ | – | √ |
| اثنين وعشرين حرفا | – | √ | – | √ |
| ثلاثة وعشرين حرفا | – | √ | √ | – |

وقد عقدت مقارنة بين أبواب الكسائي وفصول الزركشي على نوعين اثنين من تصنيفهما ألا وهما: [ما جاء على حرفين] و [ما جاء على ثلاثة أحرف] فوقفت على ما يلي:

**٣ . ١– مقارنة بين ما جاء على حرفين في القرآن بين الكسائي والزركشي:**

**٣ . ١ . ١–** الكسائي جمع ٨٢ موضعا في باب ما جاء في القرآن على حرفين ، وقد راجعت

بعض إحصاءاته فوجدتها غاية في الدقة.

**٣ . ١ . ٢–** الزركشي جمع ٣٤ موضعا في فصل ما جاء على حرفين.

**٣ . ١ . ٣–** وافق الزركشي الكسائي في ٢٨ موضعا من إحصائه.

**٣ . ١ . ٤–** ذكر الزركشي خمسة مواضع لم يذكرها الكسائي، أربعة منها خطأ، كما أنه زاد زيادة إحصائية في أحد المواضع التي ذكرها الكسائي لكنها أيضا خطأ في الإحصاء، بل أحيانا تجد الخطأ بارزا، فقد تبين لي أن إحصاء الزركشي يعيبه ما يلي:

أ- قال: "﴿ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ في البقرة، وفي آل عمران: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ وأما: ﴿ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ فواحدة في البقرة "[٢٤٢]، والصحيح أن: ﴿ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ حرفان اثنان، البقرة ٢٢٥، والمائدة١٠١.

ب- قال : " ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ ﴾ بالواو حرفان في الأنعام، وفي يونس: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ ﴾ بالفاء"[٢٤٣]. والصحيح أنها بالواو أربعة أحرف: في الأنعام (٢١، ٩٣)، وهود١٨، والعنكبوت ٦٨، وبالفاء خمسة أحرف: الأنعام ١٤٤، والأعراف٣٧، ويونس ١٧، والكهف١٥، والصف٧.

ت- قال: "﴿ أَعْرَض ﴾ حرفان في الكهف، وفي السجدة إلا أن الأول: ﴿ فَأَعْرَض ﴾، والثاني: ﴿ ثُمَّ أَعْرَضَ ﴾"[٢٤٤]. والصحيح أن ﴿ أَعْرَض ﴾ وردت على ثمانية أحرف: الإسراء٨٣، والكهف٥٧، وطه(١٠٠، ١٢٤)، والسجدة ٢٢، وفصلت(٤، ٥١)، والتحريم٣.

ث- قال : ﴿ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾، حرفان: في التوبة، وفي المنافقين"[٢٤٥]. والصحيح أنها خمسة أحرف: المائدة ١٠٨، والتوبة (٢٤، ٨٠)، الصف ٥، والمنافقون ٦.

ج- قال: " ﴿ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ حرفان في لقمان، وحم عسق"[٢٤٦]. والصحيح أنها عشرة أحرف: البقرة ٢٨٢، وهود٢، والرعد ٢، والنحل ٦١، والحج(٥ ، ٣٣)، ولقمان ٢٩، وفاطر ٤٥، الزمر ٤٢، والشورى ١٤، ونوح ٤. وقد وجدت أن قول الله تعالى: ﴿ لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ وردت على ثلاثة أحرف: الرعد٢، وفاطر١٣، والزمر٥.

---

[٢٤٢] الزركشي، البرهان، ج١، ص ١٣٣

[٢٤٣] المصدر السابق، ج١، ص١٣٤

[٢٤٤] المصدر السابق ، ج١، ص١٣٤

[٢٤٥] المصدر السابق ، ج١، ص١٣٤

[٢٤٦] المصدر السابق ، ج١ ، ص١٣٥

**٣ . ٢– مقارنة بين ما جاء على ثلاثة أحرف في القرآن بين الكسائي والزركشي:**

**٣ . ٢. ١–** جمع الكسائي ٣٩ موضعا في باب ما جاء على ثلاثة أحرف في القرآن.

**٣ . ٢. ٢–** الزركشي جمع ٣٣ موضعا في فصل ما جاء على ثلاثة أحرف.

**٣ . ٢. ٣–** وافق الزركشي الكسائي في ٢١ موضعا من إحصائه.

**٣ . ٢ . ٤–** ذكر الزركشي ١٢ موضعا لم يذكرها الكسائي، تسعة منها خطأ في الإحصاء،

فبعد مراجعة إحصاءاته تبين لي ما يأتي:

**أ–** قال: " ﴿ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ اثنان في الأعراف، والثالث في الأنفال"[٢٤٧].

والصحيح أنها على سبعة أحرف: البقرة٢٢١، وإبراهيم٢٥، والقصص(٤٣، ٤٦، ٥١)، والزمر٢٧، والدخان٥٨، ولعله خطأ في النقل؛ لأن الصحيح هو ما ورد لدى الكسائي ﴿ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴾ من غير تاء، على ثلاثة أحرف في الأعراف(٢٦ ، ١٣٠)، والأنفال ٥٧.

**ب–** قال: " ﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ في البقرة وآل عمران وإبراهيم"[٢٤٨].

والصحيح أنها حرفان فقط: البقرة٢٦٩، وآل عمران٧، أما في إبراهيم فهي: ﴿ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ إبراهيم٥٢.

**ت–** قال: " ﴿ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ ﴾ في النساء والتوبة والصف"[٢٤٩].

---

[٢٤٧] المصدر السابق، ج١، ص١٣٧.

[٢٤٨] المصدر السابق، ج١، ص١٤١.

[٢٤٩] المصدر السابق، ج١، ص١٤٢.

والصحيح أنها في النساء٩٥، والتوبة ٢٠، لكنها في الصف١١ ﴿ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ ﴾.

ج- قال: " ﴿ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ﴾، في الرعد اثنان والثالث في يونس"[٢٥٠].

والصحيح أنها على ستة أحرف، وليست ثلاثة، هي: الأنعام٨، ويونس٢٠، وهود١٢، الرعد (٧، ٢٧)، والعنكبوت٥٠.

ح- قال: " ﴿ لَّعَلِّي ﴾، في الحج وسبأ ونون"[٢٥١]

والعجيب أن ﴿ لَّعَلِّي ﴾ لم ترد في أيٍّ من السور الثلاث التي ذكرها، وقد وردت على سبعة أحرف: في يوسف ٤٦، وطه١٠، والمؤمنون١٠٠، والقصص(٢٩، ٣٨)، وغافر٣٦، والزخرف٤.

**ح-** قال: " ﴿ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾، في سبأ اثنان وفي آخر فاطر"[٢٥٢].

والصحيح أنها أربعة أحرف: في يونس١٨، وسبأ (٣ ، ٢٢)، وفاطر٤٤.

**خ-** قال : " ﴿ وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ﴾ بواو في البقرة، والحجر، وص"[٢٥٣]

والصحيح أنها بغير واو في [ص]، والآية في [ص]: ﴿ إِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن طِينٖ ﴾ (ص٧١).

**د-** قال : " ﴿ أَلَمۡ يَرَوۡاْ ﴾، بغير واو في النحل ،والنمل ،ويس"[٢٥٤].

والصحيح أنها بغير واو في خمسة مواضع: الأنعام٦، الأعراف٤٨، والنحل٧٩، والنمل٨٦، ويس٣١.

---

[٢٥٠] المصدر السابق، ج١، ص١٣٨.

[٢٥١] المصدر السابق، ج١، ص١٣٩.

[٢٥٢] المصدر السابق، ج١، ص١٣٩.

[٢٥٣] المصدر السابق، ج١، ص١٣٩.

[٢٥٤] المصدر السابق، ج١، ص١٣٩.

**ذ–** قال : " ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلاً مِّن قَبۡلِكَ ﴾، في الرعد والروم والمؤمن"[٢٥٥].

والصحيح أنها اثنان فقط الرعد٣٨، والمؤمن٧٨، أما الروم فَبِها تقديم: ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ رُسُلاً ﴾ (الروم٤٧).

**٤– استدراك الأبواب التي سكت عنها الكسائي والزركشي:**

سكت الكسائي عن الأبواب الآتية: [ما في القرآن من اثني عشر حرفا، وثلاثة عشر حرفا، وأربعة عشر حرفا، وستة عشر حرفا، وسبعة عشر حرفا، وثمانية عشر حرفا، وتسعة عشر حرفا]، وسكت عنها الزركشي أيضا، إلا باب [ما جاء على ثمانية عشر حرفا]، فقد مثل له بمثال واحد، كما زاد الزركشي فصل [ما جاء على ثلاثة وعشرين حرفا]، وسكت عن فصلي [ما جاء على واحد وعشرين حرفا، واثنين وعشرين حرفا]. ولقد كان لدى الكسائي والزركشي من الحكمة والعلم ما يجعلهم يسكتون عن هذه الأبواب دون إنكار وجودها، ويقيني أنهما سكتا عنها ظنا منهما أن هذه الأبواب قد تكون موجودة، ولم يقفا عليها، فسكتا دون إنكار لوجودها، ولم يكن عبد الجواد خلف مُحِقًّا حين أنكر وجود تلك الأبواب، وكان عليه أن يسكت سكوت هذين العالمين.

فتلك الفصول التي سكت عنها الكسائي والزركشي قد وقفتُ عليها، وها هي:

**٤ . ١– باب ما في القرآن من اثني عشر حرفا:** قول الله تعالى: ﴿ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾

(آل عمران١١٩، ١٥٤)، المائدة٧، الأنفال٤٣، هود٥، لقمان٢٣، فاطر٣٨، الزمر٧، الشورى٢٤، الحديد٦، التغابن٤، الملك١٣.

وقول الله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ﴾ (البقرة٢٣١، ٢٨٢)، النساء١٧٦، المائدة٩٧، الأنفال٧٥، التوبة١١٥، (النور٣٥، ٦٤)، العنكبوت٦٢، الحجرات١٦، المجادلة٧، التغابن١١.

[٢٥٥] المصدر السابق، ج١، ص١٣٩.

٤ . ٢- **باب ما في القرآن من ثلاثة عشر حرفا:** قول الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾

البقرة١٣٧، المائدة٧٦، (الأنعام١٣، ١١٥)، الأنفال٦١، يونس٦٥، يوسف٣٤، الأنبياء٤، الشعراء٢٢، (العنكبوت٥ ،٦٠)، فصلت٣٦، الدخان٦.

٤ . ٣- **باب ما في القرآن من أربعة عشر حرفا:** قول الله تعالى: ﴿ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾ (البقرة٥٢،٥٦، ١٨٥)، آل عمران١٢٣، (المائدة٦، ٨٩)، الأنفال٢٦، (النحل١٤، ٧٨)، الحج٣٦، القصص٧٣، الروم٤٦، فاطر١٢، الجاثية١٢.

وقوله تعالى: ﴿ سُبۡحَٰنَه ﴾ البقرة١١٦، النساء١٧١، الأنعام١٠٠، التوبة٣١، (يونس١٨، ٦٨)، (النحل١، ٥٧)، الإسراء٤٣، مريم٣٥، الأنبياء٢٦، الروم٤٠، (الزمر٤، ٦٧).

٤ . ٤- **باب ما في القرآن من ستة عشر حرفا:** قول الله تعالى: ﴿ لوۡ شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ (البقرة٢٠، ٢٢٠، 2٢٥٣)، النساء٩٠، المائدة٤٨، (الأنعام٣٥، ١٠٧، ١٣٧، ١٤٨)، النحل٩٣، يونس ١٦، النحل٣٥، المؤمنون٢٤، فصلت١٤، الشورى٨.

وقوله تعالى: ﴿ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴾ البقرة٢٩، ٢٣١، ٢٨٢)، النساء١٧٦، المائدة٩٧، الأنعام١٠١، الأنفال٧٥، التوبة١١٥، النور٣٥، ٦٤)، العنكبوت٦٢، الشورى١٢، الحجرات١٦، الحديد٣، المجادلة ٧، التغابن١١.

٤ . ٥- **باب ما في القرآن من سبعة عشر حرفا:** قول الله تعالى: ﴿ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ ﴾، النساء٣٦، (المائدة٧٢، ١١٧)، (الأعراف٥٩، ٦٥، ٧٣، ٨٥)، (هود٥٠، ٦١، ٨٤)، النحل٣٦، (المؤمنون٢٣، ٣٢)، النمل٤٥، (العنكبوت١٦، ٣٦)، نوح٣.

وقوله تعالى: ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ ﴾ البقرة٢٤٣، الأعراف١٨٧، هود١٧، (يوسف٢١، ٣٨، ٤٠، ٦٨)، الرعد١، النحل٣٨، الروم٦، ٣٠)، (سبأ٢٨، ٣٦)، (غافر٥٧، ٥٩، ٦١)، الجاثية٢٦.

٤ . ٦- **باب ما في القرآن من ثمانية عشر حرفا:** قول الله تعالى: ﴿ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ ﴾ (البقرة٩٧، ١٠٢، ٢٤٩، ٢٥١)، (آل عمران[2]٤٩، ١٤٥، ١٦٦)، النساء٦٤، الأنفال٦٦، يونس١٠٠، الرعد٣٨، إبراهيم١١، فاطر٣٢، غافر٧٨، المجادلة١٠، الحشر٥، التغابن١١.

٤ . ٧- **باب ما في القرآن من تسعة عشر حرفا:** قول الله تعالى: ﴿ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (البقرة١٠، ١٧٤)، آل عمران٧٧، ٩١، ١٧٧، ١٨٨)، المائدة٣٦، (التوبة٦١، ٧٩)، إبراهيم٢٢، (النحل٦٣، ١٠٤، ١١٧)، النور١٩، العنكبويت٢٣، (الشورى٢١، ٤٢)، الحشر١٥، التغابن٥.

٤ . ٨- **باب ما في القرآن من واحد وعشرين حرفا:** فقول الله تعالى: ﴿ ءَاتَيۡنَٰهُم ﴾[٢٥٦]

(البقرة١٢١، ١٤٦، ٢١١)، (النساء٥٤، ٦٧)، (الأنعام٢٠، ٨٩، ١١٤)، الرعد٣٦، الحجر٨١، النحل٥٥، القصص٥٢، (العنكبوت٤٧، ٦٦)، الروم٣٤، (سبأ٤٤، ٤٥)، فاطر٤٠، الزخرف٢١، الدخان٣٣، الجاثية١٧.

٤ . ٩- **باب ما في القرآن من اثنين وعشرين حرفا:** فقول الله تعالى: ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

[٢٥٦] وجدت محمد فؤاد عبد الباقي في معجمه –رحمه الله– قد أحصى لها إحدى وعشرين مرة في القرآن وراجعت ذلك الكترونيا فوجدته مطابقا ، ص٩، مادة (أ ت ي) .

وَٱلۡأَرۡضَ ﴾ (الأنعام١، ٧٣)، الأعراف٥٤، التوبة٣٦، يونس٣، هود٧، (إبراهيم١٩،
٣٢)، النحل٣، الإسراء٩٩ ، الفرقان٥٩، النمل٦٠، العنكبوت٦١، لقمان٢٥، السجدة٤ ، يس٨١، (الزمر٥، ٣٨)، الزخرف٩، الأحقاف٣٣، الحديد٤، التغابن٣.

## ٥- وقفة مع منهج الكسائي والزركشي في تصنيف المتشابه اللفظي بحسب عدد مرات

**التكرار:**

وِفْقَ هذا المنهج يمكن الاتساع في التصنيف إلى أضعاف مضاعفة لما وقف عليه الكسائي والزركشي من الأبواب أو الفصول، ولو نظرنا في [المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم][٢٥٧] لَلَمَسْنَا ذلك، فهناك من التراكيب ما تكرر لفظه مئات المرات، وهذا كثير في القرآن مثل: ﴿ ءَامَنُوا ﴾ فقد تكرر ثماني وخمسين ومئتين مرة[٢٥٨]، وتركيب ﴿ قَالُوٓا ﴾ قد تكرر إحدى وثلاثين وثلاثمئة مرة[٢٥٩]، وإن قُلْتُم إنه لفظ واحد، قلتُ إن الزركشي مَثَّلَ لِما جاء على أربعة أحرف بـ :"{ مُبَارَكًا} بالنصب في آل عمران ومريم والمؤمنين وق، و{مُبَارَكٌ} بالرفع، في الأنعام اثنان وفي الأنبياء وص"[٢٦٠].

---

[٢٥٧] محمد فؤاد عبد الباقي في طبعته الثانية ١٤٠١هـ،١٩٨١، درا الفكر ؛ حيث إنه إلى ذكره لمواضع تكرار اللفظ أو التركيب كتب تحت اللفظ عدد مرات تكراره

[٢٥٨] المصدر السابق، (ص٨٢-٨٦) مادة: أ م ن

[٢٥٩] المصدر السابق، (ص٥٦٢-٥٦٦) مادة: ق و ل

[٢٦٠] الزركشي، البرهان، ج١، ص١٤١.

# الباب الثاني

# علم المتشابه اللفظي بين القدامى والمحدثين

# أعلام ، مؤلفات ، مناهج

**الفصل الأول: مناهج القدامى في تناول المتشابه اللفظي وتأصيلهم له**

**المبحث الأول: مؤسس علم المتشابه اللفظي الإسكافي ودرته**

**المبحث الثاني: الكرماني ومنهجه في البرهان**

**المبحث الثالث: ابن جماعة ومنهجه في كشف المعاني**

**المبحث الرابع: الأنصاري ومنهجه في فتح الرحمن**

**المبحث الخامس: السمات والخصائص العامة لمنهج القدامى في توجيه المتشابه اللفظي**

**الفصل الثاني: المحدثون تجديد وإثراء**

**المبحث الأول: المطعني وكتابه [خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية]**

**المبحث الثاني: محمد القاضي وكتابه [المتشابه اللفظي في القرآن]**

**المبحث الثالث : ياسين المجيد وكتاب [المبنى والمعنى في الآيات المتشابهات]**

**المبحث الرابع: الصامل وبلاغة المتشابه اللفظي**

**المبحث الخامس: الخصائص العامة لمنهج المحدثين وتجديداتهم**

# الباب الثاني

## علم المتشابه اللفظي بين القدامى والمحدثون: أعلام، مؤلفات، مناهج

**تمهيد:**

لو نظرنا في علم [توجيه المتشابه اللفظي] وجدنا من العلماء – قديما وحديثا – من خَصَّه بمصنف خاص به، كما نجد من جعله بابا أو فصلا في مصنف عام ضم علوما أخرى معه، ويكثر ذلك في كتب علوم القرآن[٢٦١]، أما علماء التفسير فنجد أن جُلَّهُم قد انصرف عنه، ولم يلتفت إليه إلا قليل منهم[٢٦٢].

وخلال هذا الباب سوف أجتهد في الوقوف على فضل المتقدمين في تأسيس وتأصيل هذا العلم، كما سنقف معا على اللمسات الأخيرة التي وضعها المحدثون في هذا العلم، ونحاول أن نقف على منهج كل من المتقدمين والمتأخرين، وماذا أضاف المحدثون لبناء علم المتشابه اللفظي في القرآن الكريم.

وجدير بنا أن نحدد المرحلتين الزمنيتين التي سيقوم الباحث بدراسة علم المتشابه اللفظي فيهما:

**المرحلة الزمنية الأولى**: تبدأ منذ صدر الإسلام مع بدايات وإشارات نشأة علم المتشابه اللفظي حتى زمن زكريا الأنصاري المتوفي سنة ٩٢٥هـ، حيث توقف علم المتشابه لفترة تزيد على ٥٠٠ سنة حيث لم يظهر مؤلف معتبر في هذه العلم خلال تلك السنين الخمسمائة.

**المرحلة الزمنية الثانية**: تبدأ مع أواخر القرن العشرين على يد عبد العظيم المطعني المتوفي سنة ٢٠٠٨، ومع بدايات خروج مؤلفات فاضل السامرائي إلى النور في مطلع القرن الحادي والعشرين.

---

[٢٦١] من أمثلة تلك المصنفات:

- تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة في: باب تكرار الكلام والزيادة فيه، ص١٤٨.
- البرهان في علوم القرآن للزركشي وقد جعله النوع الخامس من علوم كتابه ، ج١ ، ص١١٢.
- فنون الأفنان في عيون علوم القرآن لابن الجوزي، تحقيق حسن ضياء عمر، ضمنه الفصل الثاني ، وجاء ترتيبه في هذا الفصل الثاني عشر، ص٩٤.
- الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ، وجاء ترتيبه لديه الثالث والستين بين علوم الكتاب ، ج٢ ، ص١١٤.
- الزيادة والإحسان في علوم القرآن لابن عقيلة ، وجاء ترتيبه فيه الثالث والعشرين ، ج٦ ، ص٣٦٦.
- علوم القرآن مدخل إلى تفسير القرآن وبيان إعجازه لعدنان زرزور ، جاء في الباب الثالث ضمن فصل المحكم والمتشابه تحت عنوان المتشابه اللفظي ص١٦٦.

[٢٦٢] ومن هؤلاء المفسرين الذين أولوا بعض مواطن المتشابه اللفظي: الزمخشري في الكشاف، وأبي حيان في البحر المحيط، والألوسي في روح المعاني، والرازي في مفاتيح الغيب، وابن عاشور في التحرير والتنوير.

## الفصل الأول:

## مناهج القدامى في تناول المتشابه اللفظي وتأصيلهم له

### المبحث الأول: مؤسس علم المتشابه اللفظي الإسكافي ودرته

#### المطلب الأول: نسبه وعلمه

**أولا: نسبه وموطنه:**

إن مما يدعو للأسف أن كتب التراجم لم تخبرنا إلا بنذر يسير عن ذلك العَلَم السامق الخطيب الإسكافي، وإني أتحسر مع محقق كتابه إذ يقول: "الكتب لم تسعفنا بأخبار وافية وشافية عن حياة الخطيب، بل حظه من الحديث في المصادر والمراجع قليل جدا، ولم تحدثنا أيضا تلك الكتب التي ترجمت له عن الفترة التي مكثها في أصبهان، ومتى صار خطيبا بالريّ ... ولم تذكر شيئا عن شيوخه، ولا عن تلاميذه، ولا شك أن هذا أمر يؤسف له، خاصة لعالم جليل مثل أبي عبد الله الخطيب"[٢٦٣]

فقد ذكر مصطفى آيدين ثماني مصادر من كتب التراجم[٢٦٤] لم يجد فيها إلا سنة وفاته، وأسماء بعض كتبه، وشيئا يسيرا عن موطنه وصفته، وقد نظرت بعد آيدين في بعض هذه المصادر ونظرت في كتب تراجم أخرى عَلِّي أقف على شيء لم يقف عليه آيدين فما حَصَّلْتُ، وصدق إذا يقول: "بل تأكد لدي أن كل ما أورده أصحاب كتب التراجم عنه إنما

---

[٢٦٣] الخطيب الإسكافي ، درة التنزيل وغرة التأويل ، تحقيق محمد مصطفى آيدين ، ج١ ، ص(٣٠-٣١)

[٢٦٤] وها هي تلك المصادر:

- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م، معجم الأدباء، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحقيق: إحسان عباس، اط١، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ج٦، ص٢٥٤٩.
- الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٣، ص٢٧١.
- السيوطي، الحافظ جلال الدين عبد الرحمن، ١٣٩١هـ- ١٩٧٩م، بغية الوعاة في طبقات اللغويينوالنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهين، دار الفكر، ج١، ص١٤٩.
- عمر كحالة، معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربي، بيروت، مكتبة المثنى، ودار إحياء التراث، ج١٠، ص٢١١.
- الأعلام لخير الدين الزركلي، ج٦، ص٢٢٧.
- عادل نويه، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٨م، معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحديث، ط٣ لبنان، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، ج٢، ص٥٥٨.

هو عبارة عن أخبار يسيرة في أسطر قليلة وردت في معجم الأدباء لياقوت، والذين أتوا بعده كرروا ما جاء فيه ونقلوه من غير زيادة "[٢٦٥].

فهو: أبو عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب الإسكافي، حيث لُقِّبَ بِلَقَبَيْن، ونُسِبَ إلى مَوْطِنَيْن.

أما اللقبان فهما:

الأول: الخطيب؛ حيث إنه كان خطيبا بالريّ.

الثاني: الإسكافي؛ حيث احترف الأَسْكَفَة[٢٦٦].

وأما الموطنان فهما:

الأول: أصبهان (أصفهان)؛ نسبة إلى موطنه الأصلي كما بدا لنا من كتب التراجم.

الثاني: الرازي؛ نسبة إلى الريّ التي عمل بها خطيبا.

**ثانيا: علمه وثقافته:**

إن أصحاب التراجم لم يذكروا لنا شيئا عن ثقافة وعِلْم الخطيب الإسكافي غير ياقوت الحموي الذي لم يزد في وصفه على قوله: "محمد بن عبد الله خطيب القلعة الفخرية، أبو عبد الله المعروف بالخطيب الإسكافي، الأديب اللغوي صاحب التصانيف الحسنة، أحد أصحاب ابن عباد الصاحب، وكان من أهل أصبهان، وخطيبًا بالرّيّ"[٢٦٧].

ويشهد بفضله وسعة علمه كتابه [الدرة] وهو بحق درة التصانيف في علم المتشابه اللفظي، فبِحَسْبِ الخطيب الإسكافي فضلا وعلما وسبقا تأليفُه لكتاب [درة التنزيل وغرة التأويل ][٢٦٨] ونستطيع أن نتعرف ثقافة وفكر وعلم الخطيب الإسكافي من خطبة كتابه إذ يقول: "فاعلموا حَمَلَةَ الكتاب الحكيم، وحَفَظَةَ القرآن المبين الكريم، وفقكم الله لحق علمه بعد حق تلاوته، وأذاقكم من لذة قراءته، وبرد شراب معرفته ما يشغف قلوبكم بحلاوته، إني مذ

---

[٢٦٥] الخطيب الإسكافي، درة التنزيل وغرة التأويل، تحقيق محمد مصطفى آيدين، ج١، ص٣٢.

[٢٦٦] صناعة الأحذية وإصلاحها ، انظر المعجم الوسيط مادة سكف، ج١، ص٤٣٩.

[٢٦٧] ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج٦، ص٢٥٤٩.

[٢٦٨] لقد حدث لَبْسٌ في نسبة كتاب [درة التنزيل وغرة التأويل] فنسبهم بعضهم إلى الراغب الأصفهاني، والبعض إلى الفخر الرازي، والبعض إلى قوام السنة إسماعيل بن محمد ،ونسبه أكثرهم إلى الخطيب الإسكافي، ولهذا الخلط أسباب دعت إليه، حقق تلك النسب تحقيقا دقيقا، وفصل فيها تفصيلا بديعا مصطفى آيدين محقق كتاب الدرة في مطلبين متتاليين الأول بعنوان [تحقيق صحة اسم الكتاب] والثاني [تحقيق صحة نسبة الكتاب إلى مؤلفه] انظر ذلك في تحقيق آيدين لكتاب [درة التنزيل وغرة التأويل] ج١ ، ص (٨٨-١٣٣).

خصني الله بإكرامه وعنايته، وشرفني بإقراء كلامه ودرايته، تدعوني دواع قوية يبعثها نظر وروية في الآيات المتكررة بالكلمات المتفقة والمختلفة، وحروفها المتشابهة المنغلقة والمنحرفة تطلبا لعلامات ترفع لبس إشكالها... فعزمت عليها بعد أن تأملت أكثر كتب المتقدمين والمتأخرين، وفتشت على أسرارها معاني المتأولين المحققين المتبحرين فما وجدت أحدا من أهلها بلغ كنهها، كيف ولم يقرع بابها ولم يفتر لهم عن نابها، ولم يسفر عن وجهها"[٢٦٩]

من كلمات الخطيب سنحاول أن نقف على شخصيتة، حيث يمكننا أن نَخْلُصَ من كلماته تلك بخصال عظيمة يتمتع بها الخطيب كما يلي:

١- الخطيب أستاذ عَلاَّمَة له طلابه : ترى ذلك في مخاطبته حملة القرآن "فاعلموا حملة القرآن"[٢٧٠] فلولا أنه أهل لأن ينصح ويرشد هؤلاء ما تجرأ على ذلك، ولولا أنه يعلم من نفسه أن هناك من يسمع له، ويسترشد بنصحه وتوجيهه، ما أقدم على ذلك، فإننا نلمس من تلك الكلمات كأنها صدرت من أستاذ لطلابه.

٢- الخطيب شغوف بكتاب الله، وعالم به، قراءة وحفظا ودراية؛ ونستدل على ذلك من قوله: "إني مذ خصني الله بإكرامه وعنايته، وشرفني بإقراء كلامه ودرايته"[٢٧١].

٣- الخطيب ذو بصيرة نافذة، وقدرة كبيرة على البحث والنظر والتأمل والاستنتاج: ونجد ذلك بارزا في وقوفه على ما لم يقف عليه أحد قبله، وإدراكه لما لم يُلِمَّ به أحد قبله، وفتحه لباب من أبواب العلم منغلق، ما أشرف عليه أحد قبله، واسمع له إذ يقول: "تدعوني دواع قوية يبعثها نظر وروية في الآيات المتكررة بالكلمات المتفقة والمختلفة، وحروفها المتشابهة المنغلقة والمنحرفة تطلبا لعلامات ترفع لبس إشكالها"[٢٧٢].

٤- سعة اطلاعه وتبحره في العلم: إنه رجل قد اطلع على أكثر كتب المتقدمين والمتأخرين، وفتش في بطون هذه الكتب، وأَلَمَّ بها، وَوَعَاها، فانظروا قوله: "فعزمت عليها بعد أن تأملت أكثر كتب المتقدمين والمتأخرين، وفتشت على أسرارها معاني المتأولين المحققين المتبحرين[٢٧٣]"[٢٧٤] فذاك القول إنما يدل دلالة قاطعة على ثقافة

---

[٢٦٩] الإسكافي، درة االتنزيل وغرة التأويل، ص٣

[٢٧٠] المصدر السابق، ص٣.

[٢٧١] المصدر السابق، ص٣.

[٢٧٢] المصدر السابق، ص٣

[٢٧٣] كأن هناك خطأ وقع في النسخ في هذه الجملة، وأرى أن الأولى أن تكون: [وفتشت عن أسرار معانيها لدى المتأولين المحققين المتبحرين].

[٢٧٤] الإسكافي، درة التنزيل، ص٣.

الإسكافي الواسعة، وتبحره في العلوم، كما أن المتأمل كتابه يرى أنه بين يدي علامة متبحر، و"حين نتأمل كتاب الدرة، ونتتبع ما قاله الخطيب الإسكافي من أوله وحتى آخره، يتبين لنا أنه –رحمه الله–صاحب علم جم وثقافة واسعة، وصاحب اطلاع واسع"[٢٧٥].

٥- القدرة على الاكتشاف والابتكار: فقد وقف على علم جديد لم يطرق بابه أحد قبله، وأسس لعلم [توجبه المتشابه اللفظي في القرآن] ووضع قواعده، ورسم منهجه، الذي صار إماما لمن جاء بعده اسمع لقوله: "فما وجدت أحدا من أهلها بلغ كنهها، كيف ولم يقرع بابها ولم يفتر لهم عن نابها، ولم يسفر عن وجهها"[٢٧٦].

٦- الإخلاص والشغف بكتاب الله: لعلك تلحظ من الكلمات القصيرة السابقة مدى إخلاص قائلها في طلب العلم ونشره، كما يمكن أن نلمح مدى حبه وشغفه بكتاب الله والوقوف على أسرار تأويله، فنلمس الإخلاص في نصح حملة القرآن وحَفَظَتِه، ولنتأملْ دعاءه لهم إذ يقول: "وأذاقكم من لذة قراءته وبرد شراب معرفته ما يشغف قلوبكم بحلاوته"[٢٧٧] وها هو يرى أن قراءته لكتاب الله ودرايته به فضل من الله عظيم، يُقِرُّ به، ويحمد عليه الله: "مذ خصني الله بإكرامه وعنايته، وشرفني بإقراء كلامه ودرايته"[٢٧٨]، فما أشد إخلاصه – رحمه الله – وما أعظم نصحه الذي أسداه لحملة كتاب الله!

٧- له مصنفات في اللغة نسبها صاحب [كشف الظنون] إلى الخطيب الإسكافي، وهي: شرح ديوان الحماسة لأبي تمام[٢٧٩]، ومبادئ اللغة[٢٨٠]، ونقد الشعر[٢٨١].

---

[٢٧٥] الشثري ، المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وأسراره البلاغية ، ص١٩.

[٢٧٦] الإسكافي ، درة االتنزيل وغرة التأويل ، ص٣.

[٢٧٧] المصدر السابق، ص٣.

[٢٧٨] المصدر السابق، ص٣.

[٢٧٩] حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي الفلسطيني المشهور باسم حاجي خليفة، ١٩٤١م، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، بغداد، مكتبة المثنى، ولبنان، دار إحياء التراث، ودار الكتب العلمية ، ودار العلوم الحديثة، ج١، ص٩٦١

[٢٨٠] المصدر السابق، ج٢، ص١٥٧٩

[٢٨١] المصدر السابق، ج٢، ص١٩٧٣

**المطلب الثاني: كتاب [درة التنزيل وغرة التأويل] اسمه وأثره:**

**١- تعليق آيدين على اسم الكتاب**

إني لأعجب عجبا شديدا للإسكافي، وكيف تَفَتَّقَ ذهنه عن هذا الاسم العجيب الدقيق؟! إننا

لو حاولنا أن نجد اسما أدق وصفا، وأعظم أداء لمضمون هذا الكتاب ما استطعنا، ولَوَجَدْنا كل

اسم آخر دون اسم [درة التنزيل وغرة التأويل].

وقد تنبه محمد آيدين إلى اسم الكتاب، فاجتهد في بيانه، ولكني ذهبتُ مذهبا آخر غير الذي ذهب إليه آيدين في بيان اسم الكتاب، وسوف أعرض في إيجاز رأي آيدين، ثم أعرض المعنى المعجمي لمفردات اسم الكتاب، ثم أناقش ما ذهب إليه آيدين، وأبسط ما ذهبتُ إليه، قال: "فاسم الكتاب يدل على أن العمل الذي قام به صاحب هذا الكتاب عمل عظيم يوصف تارة بالدرة، وتارة بالغرة. وإضافة [درة] إلى [التنزيل] ... المعنى: أن هذا الكتاب العظيم يشتمل على أسرار عظيمة لكتاب الله المتصف بالعظمة والجلال، فهو بالنسبة لغيره من الكتب المؤلفة في هذا الفن كالدرة بالنسبة لغيرها من حبات اللؤلؤ، أما إضافة [غرة] إلى التأويل – وهو التفسير– فإنها توحي بأن ما قام به المؤلف في هذا الكتاب هو عمل رائد في بابه، ولم يُسبق إليه، فهو أول كتاب في هذا الفن، وأفضل كتاب كذلك، ولا يراد من التأويل هنا المعنى العام من التأويل، إنما يراد به ضرب معين من التأويل، وهو ما يتعلق بأسرار الآيات القرآنية المتشابهة لفظا. والله أعلم"[٢٨٢].

**٢- المعنى اللغوي لمفردات اسم الكتاب:**

- **الدُّرَّة**: هي اللؤلؤة العظيمة الكبيرة[٢٨٣]، وفي اللسان: "وَاسِطَةُ القِلادَةِ: الدُّرَّةُ الَّتِي في وَسَطِها وهي أَنْفَسُ خَرَزِهَا"[٢٨٤].

[٢٨٢] الخطيب الإسكافي، درة التنزيل وغرة التأويل، تحقيق محمد مصطفى آيدين، ج١، ص٩٢.

[٢٨٣] المعجم الوسيط ، ج١، ص٢٧٩

[٢٨٤] ابن منظور، لسان العرب، ج٧، ص٤٢٦ / وبلفظ اللسان في تاج العروس، ج٢٠، ص١٨٢

- **التنزيل**: القرآن، ويكثر في كتب المعاجم إن أردوا الاستشهاد بآية من القرآن قالوا: "وفي التنزيل"[٢٨٥] ثم يذكر الآية.
- **الغُرَّة**: بالضم: فلان غُرَّةُ قومه أي سَيِّدُهم. وغُرَّةُ كُلِّ شَيْءٍ أوّلُه وأَكْرَمُه[٢٨٦].
- **التأويل**: التفسير، وهو المقصود في دعاء رسول الله ﷺ لابن عباس: "اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل، وفي الشرع هو: صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى يحتمله، إذا كان المحتمل الذي يراه موافقاً للكتاب والسنة"[٢٨٧]. ولدى الراغب: التأويل: "رَدُّ الشيء إلى الغايةِ الْمُرَادَةِ منه؛ عِلْمًا كان أو فِعْلاً"[٢٨٨].

### ٣- مناقشة اسم الكتاب [درة التنزيل وغرة التأويل]:

٣ . ١- بدايةً أتفق مع آيدين في قوله: "اسم الكتاب يدل على أن العمل الذي قام به صاحب

هذا الكتاب عمل عظيم"[٢٨٩] فاسم الكتاب يدل دلالة بينة على ذلك.

٣ . ٢- أما قوله: "هذا الكتاب عمل عظيم يوصف تارة بالدرة، وتارة بالغرة"[٢٩٠] فلا أوافقه الرأي؛ إذ أن [درة] تصف شيئا غير الذي تصفه [غرة]، وكل منهما تُنْسَبُ إلى ما أُسْنَدَتْ إليه، وتَصِفُه.

٣ . ٣- وقد أغفل آيدين المعنى المقصود للفظ [التنزيل] ففسر إسناد [درة] إلى [التنزيل] تفسيرا يبعد كثيرا عن المعنى الذي يرمي إليه الإسناد، حيث قال: "وإضافة [درة] إلى [التنزيل] ... المعنى: أن هذا الكتاب العظيم يشتمل على أسرار عظيمة لكتاب الله المتصف بالعظمة والجلال، فهو بالنسبة لغيره من الكتب المؤلفة في هذا الفن كالدرة بالنسبة لغيرها من حبات اللؤلؤ"[٢٩١]. ولا أوافق آيدين فيما ذهب إليه هنا في أمرين:

---

[٢٨٥] الفيروز آبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد يعقوب، ١٤٢٦هـ -٢٠٠٥م، القاموس المحيط، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط٨، بيروت، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، ص[ ٧٧٥، و٨٢٨، و٩٠٠] / والخليل، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، العين، تحقيق: د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي دار ومكتبة الهلال، ج١، ص٨٠ ، ص١٣٩، وج٣، ص٣١٢ / واللسان ج١، ص٢٦ ، ٣١، ٤٥، ٦١، ٦٢.

[٢٨٦] مختار الصحاح ، ص٤٨٨.

[٢٨٧] الجرجاني، عبد القاهر، التعريفات، ص٧٢

[٢٨٨] الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن ، تحقيق، صفوان الداودي، ص٩٩.

[٢٨٩] الخطيب الإسكافي، درة التنزيل وغرة التأويل، تحقيق محمد مصطفى آيدين، ج١، ص٩٢.

[٢٩٠] المصدر السابق، ج١، ص٩٢.

[٢٩١] المصدر السابق، ج١، ص٩٢.

**الأول** : أرى أن إسناد [درة] إلى [ التنزيل ] قصد به الإسكافي شيئا آخر غير الذي ذهب إليه

آيدين؛ حيث إن [التنزيل] المقصود به [القرآن]، وكما ذُكِرَ آنفا فإن [الدرة] هي اللؤلؤة العظيمة الكبيرة، وهي وَاسِطَةُ القِلادَةِ وأَنْفَسُ خَرَزِهَا، وعلى هذا فإن المعنى الذي قصده ورمى إليه الإسكافي في إسنادها [درة التنزيل] هو : أن المتشابه اللفظي في القرآن هو بمثابة الدرة وواسطة العقد من القرآن الكريم، فكأنه قصد أن المتشابه اللفظي في القرآن الكريم إنما هو الدرة من كتاب الله، لما فيه من أسرار عظيمة لا يعلمها كل أحد من العلماء، إنما يقف عليها قِلَّةٌ، هم الراسخون في العلم، والله أعلم.

**الثاني**: في قول آيدين: "فهو بالنسبة لغيره من الكتب المؤلفة في هذا الفن كالدرة بالنسبة لغيرها

من حبات اللؤلؤ"[٢٩٢]، فإن هذا الكلام يَنْقُضُه أن كتاب الإسكافي أول مُؤَلَّفٍ في هذا

الفن، فلم يكن هناك مؤلفات في المتشابه اللفظي قبل الإسكافي حتى يكون أفضلها وأعظمها، وقد صرح بذلك الإسكافي نفسه في خطبة كتابه[٢٩٣]، وأقر الغرناطي له بذلك الفضل في خطبة كتابه [ملاك التأويل][٢٩٤]، وهذا يدل على أن ما ذهب إليه مصطفى آيدين في تأويل معنى [درة التنزيل] قد جانبه الصوابُ، إذ لا يوجد كتب أخرى في هذا الفن حتى يكون بالنسبة لغيره من الكتب المؤلفة في هذا الفن كالدرة بالنسبة لغيرها من حبات اللؤلؤ.

٣ . ٤- أما إسناد [غرة] إلى [التأويل] فقد أصاب آيدين الحق حين قال: "ولا يراد من التأويل

---

[٢٩٢] المصدر السابق، ج١، ص٩٢.

[٢٩٣] الخطيب الإسكافي، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م، درة التنزيل وغرة التأويل، - نسخة غير محققة – برواية أبي الفرج الأروستاني، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ص٣

[٢٩٤] الغرناطي، أبو جعفر أحمد بن إبراهيم ابن الزبير، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م، ملاك التأويل ، تحقيق: عبد الغني محمد علي الفاسي، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ج١، ص٨.

هنا المعنى العام من التأويل، إنما يراد به ضرب معين من التأويل، وهو ما يتعلق بأسرار الآيات القرآنية المتشابهة لفظا. والله أعلم"[٢٩٥] ويؤيد ذلك المعنى اللغوي لـ [غرة] إذ أن " غُرَّة كلِّ شيء أفضله وأكرمه"[٢٩٦] فليس المقصود التأويل الظاهر من اللفظ، بل إنه تأويل خاص، وسبر للفظ المتشابه، وما يحيط به من ألفاظ ومعان وأجواء.

## ٤- [درة التنزيل وغرة التأويل] الكتاب الإمام في توجيه المتشابه اللفظي

إني لَيَطِيبُ لي أن أطلق على كتاب الإسكافي لقب [الكتاب الإمام في توجيه المتشابه اللفظي]، وإنه بحق جدير كل الجدارة بهذا اللقب، ومن شاء أن يستوثق فلينظر في مصنفات توجيه المتشابه اللفظي اللاحقة بكتاب الإسكافي، وقد قلتُ اللاحقة، ولم أقل السابقة واللاحقة؛ إذ لم يكن هناك من سبق الإسكافي بالتصنيف في توجيه المتشابه اللفظي، وقد جعلت كتاب الإسكافي [الإمام في توجيه المتشابه اللفظي] لأسباب منها ما يلي:

٤ . ١- [درة التنزيل وغرة التأويل] أول كتاب صُنِّفَ في علم توجيه المتشابه اللفظي، وقَعَّدَ له، ووضع أُسُسَه، ولم أجد أحدا من العلماء أو الباحثين ذكر ما يخالف ذلك، بل إن
الجميع ينسبون ذلك الفضل لصاحب الدرة[٢٩٧].

٤ . ٢- رسم هذا الكتاب الخطوط العريضة لعلم توجيه المتشابه اللفظي، وسَنَّ منهجا صار إماما اقتدي به كل من أتى بعده وتَأَسَّى، قال الغرناطي مصدقا على قول الإسكافي أنه أول من قرع باب هذا الفن "صدق -رحمه الله- وأحسن فيما سلك وسَنَّ، وحُقَّ لنا أن نقتدي به ونستن"[٢٩٨].

٤ . ٣- لا أبالغ إذا قلت أن كل مصنفات توجيه المتشابه اللفظي التي لحقت بـ [درة التنزيل وغرة

---

[٢٩٥] الخطيب الإسكافي، درة التنزيل وغرة التأويل ، تحقيق محمد مصطفى آيدين، ج١، ص٩٢.

[٢٩٦] مختار الصحاح، ص٤٨٨.

[٢٩٧] أقر بذلك الغرناطي، والكرماني، وابن جماعة، والأنصاري في مقدمات كتبهم على الترتيب [ملاك التأويل، البرهان، كشف المعاني، فتح الرحمن] .

[٢٩٨] الغرناطي، ملاك التأويل، تحقيق، عبد الغني الفاسي، ج١، ص٨.

التأويل] تأثرت به، ونقلت عنه، ولسنا في حاجة لتأكيد ذلك؛ فقد أقر بذلك القاصي والداني ممن تَجَشَّمَ النظر والبحث في المتشابه اللفظي ومصنفاته، "فمن يطالع كتاب درة التنزيل ويتأمل الآيات التي تناولها الإسكافي بالدراسة والبحث ثم ينظر إلى مواضعها في كتب المتشابه التي أُلِّفَتْ بعده يجد تأثير الكتاب واضحا، إما بنقل التوجيه بِرُمَّتِه أو بنقل المعنى والتصرف في اللفظ، بل هناك إجماع بين علماء المتشابه في كثير من المواضع على ما ذكره الإسكافي "[٢٩٩]، فـ " من جاء بعده ممن ألف في هذا النوع من أنواع التفسير هم عيال عليه"[٣٠٠]، وإن المطلع على المصنفات التي تبعت الإسكافي سيجد أنهم "يسيرون على خطاه، ويقتدون به، وهم ينقلون عنه غالبًا، وكأن كتاب الدّرة كان بين أيديهم، سواء نسبوا إليه أم لم ينسبوا"[٣٠١]

[٢٩٩] الشثري، المتشابه اللفظي وأسراره البلاغية، ص٢١.

[٣٠٠] آيدين، محمد مصطفى، في تحقيقه لـ[درة التنزيل وغرة التأويل]، ج١، ص٣٤.

[٣٠١] لبيب صالح، ٢٠٠٨م، المتشابه اللفظي في القرآن الكريم دراسة مقارنة بين الإسكافي والغرناطي، بحث دكتوراه، جامعة ملايا، أكاديمية الدراسات الإسلامية، ص٤١.

**المطلب الثالث: أهداف الإسكافي من كتابه وخصائص أسلوبه ومنهجه:**

**أولا: أهداف الإسكافي من الكتاب:**

سعى الخطيب إلى خدمة كتاب الله من خلال الرمي إلى هدفين جليلين، كشف عنهما في خطبة كتابه، وهما:

١- كَشْفُ غُمُوض وأسرار تكرار الآيات ورفع اللَّبس عنها قال: "تدعوني دواع قوية، يبعثها نظر وروية، في الآيات المتكررة بالكلمات المتفقة والمختلفة، وحروفها المنغلقة والمنحرفة، تطلبا لعلامات ترفع لبس إشكالها، وتخص الكلمة بآياتها دون إشكالها"[٣٠٢].

٢- الرد على طعن الجاحدين والملحدين، قال: "ولطعن الجاحدين ردا، ولمسلك الملحدين سدا"[٣٠٣].

**ثانيا: خصائص أسلوب الإسكافي ومنهجه في كتابه:**

١- لقد سلك الخطيب مسلكا بديعا في تناول كتابه، فصار منهجه إماما لمن خاض غمار هذا العلم من بعده، وتتلخص خصائص أسلوبه ومنهجه فيما يلي: تبع الإسكافي منهج المفسرين في الالتزام بترتيب السور في المصحف، والالتزام بترتيب الآيات داخل السورة، فبدأ بالبقرة، ثم تتبع آياتها – آية آية – التي تكرر لفظها في السورة ذاتها، ثم في السور المتأخرة بحسب الترتيب، فلما انتهى من البقرة ثَنَّى بآل عمران، فالنساء، فما يليها، وقد يفوته بعض الآيات في السور المتقدمة فيستدرك على نفسه فيما يناظرها من الآيات التي تشابهها في السور المتأخرة، ويشير إلى ذلك[٣٠٤] –وقد لا يشير[٣٠٥]– ومن ذلك الذي أشار إلى أن حقه التقديم، حين تناول

---

[٣٠٢] الإسكافي، درة التنزيل، ص٣.

[٣٠٣] المصدر السابق، ص٣.

[٣٠٤] وإشاراته إلى ذلك صريحة، وبدا ذلك في تناوله لسورة يوسف في الآية الرابعة، حيث جمع إليها آية الأعراف١٦٩، وقال وكان حق هذه الآية أن تذكر هناك (ص١٠٩)،ومن ذلك في سورة الفرقان (ص١٨١) قال وكان حكم هذه الآية أن تذكر هناك، ومثله في سورة الأنبياء (ص١٨٣)، وفي سورة سبأ (ص٢١٥)، وفي سورة الملائكة (ص٢١٧).

[٣٠٥] مثل الآية الثالثة من سورة فصلت: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ ﴾ فصلت، فقد جمع إليها آية الأعراف: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ الأعراف،.- والأعراف متقدمة على فصلت في الترتيب، وقد ورد ذلك في

قول الله تعالى: ﴿ فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ۙ فَٱسۡلُكۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ ﴾ (المؤمنون٢٧)، قال: "وقال في سورة هود وكان حق ذلك أن يذكر هناك ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ ﴾ (هود٤٠)"[٣٠٦]

٢- اعتمد الخطيب الإسكافي منهجي التحليل والمقارنة في تناول الآيات المتشابهات لفظا، حيث يحلل ألفاظ الآيتين أو الآيات المتشابهات بنظرة فاحصة معجميا، وصرفيا، ونحويا، وبلاغيا، ثم يعقد مقارنة بين هاتين الآيتين أو الآيات كل منها في سياقها، ومنزلها من الآية التي نزلت فيها، ومن الآيات السابقة واللاحقة بها، وأحيانا منزلها من السورة ككل، وهو حين يعقد هذه المقارنة، لا يقصد بها الحكم لصالح آية دون أخرى، وإنما يرمي إلى بيان أسرار منزل كل آية، وأنه لا يليق أن تحل إحداها محل أختها.

٣- اعتمد الخطيب أسلوب المناقشة ومخاطبة القارئ، كأنه عَلِمَ أثر هذا الأسلوب في الأخذ بَلُبِّ ونفس القارئ، ولعله تأثر بمنهج رسول الله ﷺ في تعليم أصحابه رضي الله عنهم، فاسمع للخطيب يقول: " فاعلموا حملة الكتاب المتين ... فإذا عرفتم ما نَحَوْنا إليه من سُنَن الآثار أمنتم عند القراءة مَخُوفَ الْعِثَار، ثم تطلعون ...وتحتقرون .... وترون"[٣٠٧] وما أكثر قوله : "وللسائل أن يسأل فيقول.."[٣٠٨] وتأمل قوله: "فكأنك قلتَ ... وكذلك تقول..."[٣٠٩].

---

الكتاب (ص٢٣٧)، ومن ذلك الآية الخامسة من سورة فصلت جمع إليه الآية ١٠ من هود (ص٢٣٩)، ومنه الآية الأولى من سورة الزخرف جمع إليه الآية ٥٠ من سورة الشعراء (ص٢٤٥)، والآية الثالثة من سورة الجاثية جمع إليه الآية ٩٣ من سورة يونس (ص٢٤٩)، والآية الثانية من سورة الفتح جمع إليه الآية ١٧ من المائدة، وغيره.

[٣٠٦] الإسكافي، درة التنزيل، ص١٧٥.

[٣٠٧] الإسكافي، درة التنزيل، ص٣.

[٣٠٨] المصدر السابق ص١٠، ١٢، ١٣، ١٥، وغيرها.

[٣٠٩] المصدر السابق ص١٦.

٤- أحيانا يعتمد على اللفظ -واللفظ وحده- معجميا وصرفيا وتركيبا نحويا وبلاغيا في بيان أسباب التفاوت بين آيات تشابه لفظها، أي أنه في بعض المواطن يترك الخوض في المعنى، ويقف عند حد بيان الاختلافات اللفظية مبيننا أن سبب هذا الاختلاف لفظي متجاهلا الخوض في المعاني، ومن ذلك مثلا: الآية الثامنة من سورة النحل في قوله تعالى: ﴿ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴾ (النحل٧٢)، فقد جمع إليه قول الله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴾ (العنكبوت٦٧)، ثم تساءل عن وجه الحكمة من زيادة ﴿ هُم ﴾ في آية النحل وخلو آية العنكبوت منها، ثم قال: "والجواب أن يقال: إن الكلام في سورة النحل قد نقل عن الخطاب الذي يصلح لغير الكفار إلى الإخبار عنهم وهو قوله: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً ﴾ (النحل٧٢)، ثم انتقل الكلام عن الخطاب العام إلى الإخبار الخاص فقال: ﴿ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴾ (النحل٧٢)، فأكد الكلام بقوله ﴿ هُم ﴾ لئلا يتوهم أن هذا الإخبار خطاب، وهو بالتاء دون الياء، إذ لا فرق في الخلط بينهما، ولم يكن كذلك الأمر في سورة العنكبوت لأن الإخبار المستمر في الآية التي قبل هذه أنى عما يحصره للخبر دون غيره وهو قوله: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا۟ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ (العنكبوت٦٥-٦٧)، فترادف الإخبار عن الغيب أغنى عن توكيده بما يحصره على الخبر وذلك واضح لمن تدبره"[٣١٠].

[٣١٠] الإسكافي، درة التنزيل، ص١٥٠-١٥١/ ومن ذلك أيضا الآية الخامسة عشرة من سورة البقرة ص٢٢-٢٣/ والآية التاسعة من سورة الأنعام ص٦٧-٦٨/ والآية

٥- وكثيرا ما يعتمد على السياق الذي وقعت فيه الآية والمعاني التي حولها – دون الالتفات إلى اللفظ – في بيان أسباب التفاوت بين آيات تشابه لفظها ومن ذلك مثلا: الآية الثانية عشرة من سورة الأنعام ﴿ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرۡهُمۡ وَمَا يَفۡتَرُونَ ﴾ (الأنعام١١٢)، فقد تساءل هنا عن سبب استعمال لفظ الربوبية في هذه الآية واستعمال لفظ الألوهية في آية الأنعام بعدها: ﴿ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرۡهُمۡ وَمَا يَفۡتَرُونَ ﴾ (الأنعام١٣٧)، قال الخطيب: "والجواب أن يقال: إن الأولى قبلها: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيّٖ عَدُوّٗا شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗا ﴾ (الأنعام١١٢)، أي: كان للأنبياء قبلك أذى من قبل العدو من الإنس والجن، ولو شاء من رَبَّاك وقام بمصالحك لألجأهم إلى موافقتك وترك مخالفتك، وإن كان من يقوم بربابتك يحجزهم عن مضرتك وأن يظفروا بمرادهم من عداوتك، فقد تضمن قوله ﴿ رَبُّكَ ﴾ هذا المعنى..وقوله في الآية الأخرى: ﴿ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ جاء بعد قوله: ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلۡحَرۡثِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ نَصِيبٗا ﴾ (الأنعام١٣٦)، فأخبر أنهم أقاموا لله الذي يحق إفراده بالعبادة شريكا، ﴿ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ أي ولو شاء من نعمته عليهم توجب التأله له أن لا[٣١١] يعبدوا سواء ما تمكنوا من فعله ، فهذا موضع لم يَلِقْ به إلا الاسم الذي يفيد معنى فيه حجة عليهم دون غيره من الأسماء فأفاد كل اسم من الاسمين في مكانه ما لم يكن ليستفاد بغيره"[٣١٢].

٦- يغلب على منهج الإسكافي في تناوله للمتشابه اللفظي في القرآن أن يجمع بين النظر في البناء

---

العاشرة من سورة هود ص١٢٦-١٢٧

[٣١١] وردت هكذا في الطبعة التي بين يدي دون إدغام النون في اللام.

[٣١٢] الإسكافي ، درة التنزيل ، ص٦٩/ ومن ذلك أيضا : الآية الرابعة من سورة المائدة ص٥٠/ الآية السادسة من سورة الأنعام ص٥٢.

اللفظي للآية معجميا وصرفيا ونحويا وبلاغيا والنظر في السياق الذي دارت فيه، وهذا هو الأكثر الغالب في منهج الإسكافي في اجتهاده في الوقوف على أسرار المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، وأمثلة ذلك في الكتاب عديدة بما يُغنينا عن التمثيل له هنا.

٧- لم يتناول الخطيب الحروف المقطعة أول السور بالبحث والنظر في كتابه؛ وذلك لأنه رأى أن هذه الحروف جديرة بأن يُفْرَد لها كتاب خاص، قال في آخر خطبة الكتاب: " ثم اعلموا أن الأحسن والأولى أن تكون المسألة الأولى من هذا الكتاب مسألة من الحروف المقطعة؛ لأن الأسئلة عليها متفرعة، لكني قد أفردت لها كتابا مفردا،... والأسئلة عليها تَرْبُوا على مائة، والأجوبة عنها تغني عن فئة، فأردت أن تكون مميزة عن أخواتها، مخلصة من الآفة تخليص التمرة من نواتها"[٣١٣].

٨- قد يتناول الخطيب - وهذا قليل - الآية أو الآيات لا يشابهها لفظ آية أخرى بالبحث والنظر في معانيها وتأويلها وبيان أسرارها وذلك لِرَدِّ شُبْهَةٍ ما حولها، كالآية الأولى من سورة فصلت ﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝٩ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ۝١٠ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ۝١١ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ ۝١٢ ﴾ (فصلت٩-١٢)، فقد ناقش الإسكافي في هذه الآيات ما يُوهِمُ التضارب في عدد الأيام التي خُلِقَت فيها السموات والأرض؛ حيث إن جملة الأيام المذكورة في الآيات السابقة ثمانية، في حين ورد في آيات كثيرة من القرآن أن الله -عز وجل- خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام منها قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ

[٣١٣] المصدر السابق، ص٤.

وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ﴾ (الأعراف٥٤)[٣١٤]، فناقش الخطيب أقوال المفسرين، ثم فَنَدَ وحَقَّقَ الألفاظ والمعاني في الآيات حتى أَجْلَى – رحمه الله – الشبهة وأزالها[٣١٥].

٩- قد يتناول آياتٍ ما، يجمعها موضوعٌ واحد، أو تشترك وتتشابه في المعنى وتختلف في الخواتيم، أي أنه رأى أن الموضوع واحد، والمعنى واحد، ولكن الفواصل اختلفت، فتناول هذه الآيات بالبحث والنظر في أسباب وأسرار اختلاف الفواصل، فمن ذلك ما جاء في المسألة الثانية من سورة النمل الآيات (٥٩-٦٤) قال: "للسائل أن يسأل عما خُتِمَت به هذه الآيات بعد قوله: ﴿ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِ ﴾ وهل تقدم ما يوجب اختصاص ذلك به دون غيره"[٣١٦]

١٠- قد يوجد للآية عدد من النظائر المشابهة لها لفظا، فيتناول بعضها، ويترك البعض، ولا يشير إلى الآيات التي لم يتناولها، من ذلك[٣١٧] مثلا الآية الخامسة من سورة الأنعام[٣١٨] قول الله تعالى: ﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ (الأنعام٢١)، ذكر معها آية يونس ﴿ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴾ (يونس١٧)، وترك موضعين آخرين الأول: ﴿ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ يَنَالُهُمۡ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ (الأعراف٣٧)، وقريب منه قوله تعالى: ﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا

---

[٣١٤] كما ورد ذلك في الآيات التالية : [ يونس ٣، هود٧، الفرقان ٥٩، السجدة ٤، ق ٣٨، الحديد ٤].

[٣١٥] الإسكافي، درة التنزيل، ص٢٣٥-٢٣٦، ومثل ذلك أيضا الآية الأولى من سورة السجدة ص٢١١.

[٣١٦] المصدر السابق، ص١٨٨.

[٣١٧] ومن ذلك الآية الثالثة عشرة من سورة الأنعام قول الله تعالى:﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿١١٧﴾ ﴾ (الأنعام١١٧)، ذكر معها آية القلم ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿٧﴾ ﴾ (القلم٧)، وترك موضعين آخرين، الأول: في سورة النحل ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ (النحل١٢٥)، والآخر في النجم ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱهۡتَدَىٰ ﴿٣٠﴾ ﴾ (النجم٣٠)، وغير ذلك أكثر.

[٣١٨] الإسكافي، درة التنزيل، ص٦١

أَوۡ كَذَّبَ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓۚ أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡكَٰفِرِينَ ﴾

(العنكبوت٦٨).

١١- من الواضح أن الخطيب - رحمه الله - لم يرم ولم يسعَ إلى الإحاطة بكل مواطن التشابه اللفظي في القرآن، فعدد الآيات التي تناولها يدل دلالة بارزة على ذلك؛ إذ إنه لم يتناول إلا "٢٧٤ آية فقط كأصول من غير أن يلحق بها في العَدّ ما يشبهها من الآيات"[٣١٩] وهذا قليل بالمقارنة مع مواطن التشابه اللفظي في القرآن التي تقترب من ألفي موضع "فإن هناك نحواً من ألفي آية فيها تشابه بوجه ما قد يصل أحياناً حد التطابق أو الاختلاف في حرف واحد، أو كلمة واحدة أو اثنتين أو أكثر"[٣٢٠]، أضف إلى ذلك أن هناك مواضع تشابه لفظي كثيرة بارزة لم يتناولها الإسكافي، ومن غير المعقول أنه غفل عنها، إذا أنه التفت إلى ما دونها فكيف غفل عنها؟! وإنما يمكننا القول أن الخطيب اجتهد وبذل قصارى جهده - وبحسبه فضلا وسبقا - في آيات بعينها اختارها لبيان أسرارها، ولرد طعن الطاعنين، ودفعِ شُبَه الْمُلَبِّسِين.

١٢- مَرَّ الخطيب بكثير من السور ولم يقف فيها على أيٍّ من آيات تتشابه مع غيرها

لفظا، أو وجد فيها المتشابه ولكن قد مَرَّ ذكره فيما سبقها من سور، فتجده أحيانا يقول حين يمر بسورة ما: "ليس فيها شيء من ذلك"[٣٢١] ، وقد تجده يقول: "ما فيها قد تقدم ذكره في سورة ..."[٣٢٢] ويسمي السورة، أو يقول: "فيما قبلها "[٣٢٣] ، أو يقول: "في غيرها"[٣٢٤] ، أو يقول: "ليس فيها إلا ما ذكرناه"[٣٢٥] أو يقول: "قد تقدم

---

[٣١٩] آيدين، مصطفى، تحقيق درة التنزيل، ج١، ص١٣٨، وقد ذكرالمشرف العام على ملتقى أهل التفسير وعلوم القرآن الدكتور عبد الرحمن الشهري أنها ٢٧٣آية راجع:

http://www.tafsir.net/vb/showthread.php?t=4625 ,٢٠١٠/٠١/١٩

[٣٢٠] عبد الرحمن ابن عبد الخالق ، القواعد الذهبية في حفظ القرآن وتدبره ، ص١٥ ، ويمكن تصفحه في: http://bookstree.com/books/6/6.htm

[٣٢١] الإسكافي، درة التنزيل، ص٢١٥، وقال ذلك حين مر بـ[ الأحزاب، الدخان ، محمد ، الحجرات، الجن، المزمل، الطارق، الأعلى، الغاشية، الفجر].

[٣٢٢] المصدر السابق، ص٢٧٨، وقال ذلك حين مر بـ[الجمعة، التحريم].

[٣٢٣] المصدر السابق، ص٢٩٧، وقال ذلك حين مر بـ [ عبس، والإنفطار].

[٣٢٤] المصدر السابق، ص٢٥١، وقال ذلك حين مر بسورة الأحقاف.

[٣٢٥] المصدر السابق، ص٣٠٢، وقال ذلك حين مر بسورة البروج.

ما فيها"[٣٢٦] دون أن يسمي السورة في كل ذلك، وقد نجده يمر على السورة ويتركها ولا يشير إليها[٣٢٧].

ولا يمكننا أن نُسَلِّمَ للخطيب ما ذهب إليه من خُلُوِّ هذه السور من المتشابه، ولا نُسَلِّمَ له بالقدر الذي وقف عليه من مواطن المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، فإن من جاءوا بعده قد زادوا على ما وقف عليه زيادات كثيرة، فإن كان الخطيب ناقش بضعا وسبعين ومائتي موضع تشابه لفظي في القرآن، فإن هناك ما يقرب من ألفي موضع تشابه في القرآن كما أشار صاحب القواعد الذهبية.

١٣- وكان للشثري في بحثه للدكتوراه رؤية متميزة لخصائص منهج وأسلوب الإسكافي في كتابه ورأيت أن أعرض بعضها هنا في إيجاز مع تصرف مني، فمما رآه الشثري:

١٣ . ١- قد لاحظ ورأى أن الإسكافي حين يتناول توجيه آيتين متشابهتين فإنه يعتمد أمرين في كل مسألة يتناولها:

الأمر الأول: عناية الخطيب الإسكافي في البحث عن الدلالة المعنوية في توجيه الآيتين المتشابهتين أو الآيات المتشابهات في كل موضع يقوم بتوجيهه، فيوضح مثلا سر التعبير بصيغة المضارع في آية، وسر التعبير في الآية الأخرى المشابهة بالماضي، ومثل ذلك التعريف والتنكير، والتقديم والتأخير، والإفراد والجمع، والذكر والحذف، والتذكير والتأنيث، والفصل والوصل.

الأمر الثاني : عناية الخطيب بإبراز مطابقة الكلمة في السياق الذي وردت فيه الآيات المتشابهة، فنراه كثيرا ما يعود بنا إلى أول الآية التي هي محل البحث، أو الآية التي قبلها على حسب ما يراه في كل موضع، فيذكر مثلا أن سبب ذكر هذه اللفظة في الآية من تعريف وتنكير أو تقديم وتأخير أو إفراد وجمع وهكذا .. وكثيرا ما يجمع بين المناسبتين المعنوية واللفظية.

---

[٣٢٦] المصدر السابق، ص٣٠٤، وقال ذلك حين مر بسورة التين.

[٣٢٧] حيث لم يشر إلى السور الآتية [ الشمس، الليل، الضحى، القدر، البينة، الزلزلة، العاديات، القارعة، العصر، الهمزة، الفيل، قريش، الماعون، الكوثر، النصر، المسد، الإخلاص، الفلق].

١٣ . ٢- التميز والإبداع : ويظهر ذلك في :

أولا: الجدة في اختيار الموضوع، فالكتاب - بإجماع - أول كتاب في توجيه المتشابه اللفظي في القرآن.

ثانيا: الجدة في تناول المسائل سواء من حيث ترتيب الآيات ... أو طريقته في توجيه كل مسألة حتى أصبح الكتاب كأنه مقسم إلى فصول كل فصل يحتوي على مباحث، فكل آية تعد مبحثا مستقلا.

ثالثا : الأسلوب المتميز الذي صاغ به كتابه: فقد كان للغة الخطيب الإسكافي في كتابه مذاق خاص .. فقد اتخذ الأسلوب العلمي الأدبي حيث نرى جودة العبارة وحسن الصياغة"[٣٢٨]

وقبل أن أترك الإسكافي -إلى حين- أود أن أعبر عن أسفي وحسرتي؛ إذ لم يكن لهذا العلامة -الخطيب الإسكافي- تلاميذ يحملون ميراثه على كواهلهم، ويرفعون البناء الذي أسس له، ويا أسفا حتى يومنا هذا لم يجد هذا الْعِلْمُ من يَنْتَصِبُ به قائما، يكشف عنه حُجُبَه، ويرفع عنه أَسْتَارَه، ولا أدري أكان ذلك تقصيرا وعجزا من العلماء الأعلام، أم أن ذلك الكتاب العزيز القرآن الكريم قد ضَنَّ عنهم، وأعرض، فلم يكشف لهم تلك الحجب، ولم يُتِح لأحدهم القدرة على رفع الستور عنه.

[٣٢٨] الشري، المتشابه اللفظي وأسراره البلاغية، موجز للصفحات( ٢٩- ٤١).

**المبحث الثاني:**

## الكرماني ومنهجه في البرهان

### المطلب الأول: نسب الكرماني وفضله

إنه لمما يؤسف له أن تفقد المكتبة العربية الزاخرة السير الذاتية لأعلام ذوي شأن عظيم من مثل الإسكافي والكرماني؛ فنطوف في الكتب وندور، فلا نجد فيها ما يشفي غلتنا من سيرة هؤلاء، ولا نجد بين أيدينا إلا الكتب والآثار القليلة التي تركوها، نحاول أن نقف منها على شيء من خصال وفضائل هؤلاء الأعلام.

فهذا الكرماني شق علينا أن نقف على شيء من سيرته أكثر مما ذكره ياقوت الحموي في معجمه، فإذا نظرنا في كتب الأعلام الأخرى وجدنا أنها تنقل كلام الحموي بنصه، فليس لديهم جديد عن الكرماني.

أما مولده فلم يعرف متى ولد، وأما وفاته فلم يثبت لدى أحد سنة وفاته، وكان أقصى ما وقف عليه الحموي هو أنه توفي بعد الخمسمائة من الهجرة[٣٢٩]، وعلى صفحة الغلاف الخارجي لتحقيق عبد القادر عطا أنه توفي ٥٠٥هـ، وعلى الغلاف الداخلي لتحقيق السيد الجميلي أنه توفي سنة ٥٠٥ هـ تقريبا، فزاد كلمة [تقريبا] لشكه.

ولنسمع ماذا قال عنه الحموي: "محمود بن حمزة بن نصر الكرماني النحوي هو تاج القراء، وأحد العلماء الفقهاء النبلاء، صاحب التصانيف[٣٣٠] والفضل، كان عجبا في دقة الفهم وحسن الاستنباط، لم يفارق وطنه، ولا رحل"[٣٣١]

وذهب محقق كتابه عبد القادر عطا إلى أنه لم يشتهر بين المؤلفين إذ قال: "ويبدو أن ملازمته لوطنه [كرمان] وعدم رحلته في طلب العلم لم يَدَعْ له شهرة بين مؤلفي الطبقات حتى جهلت سنة ميلاده وسنة وفاته"[٣٣٢].

---

[٣٢٩] ياقوت الحموي، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي ، ١٤١١ هـ - ١٩٩١م ، معجم الأدباء ، بيروت، ج٥، ص٤٨٨

[٣٣٠] من مصنفاته التي ذكرها الحموي: لباب التفسير، والإيجاز في النحو اختصره من الإيضاح للفارسي، النظامي في النحو اختصره من اللمع لابن جني، الإفادة في النحو، موانع الصرف. المصدر السابق، ج٥، ص٤٨٨

[٣٣١] ياقوت الحموي، معجم الأدباء ، بيروت، ج٥، ص٤٨٨

ولا أتفق مع عطا فيما ذهب إليه، إذ كيف لم يشتهر، ويلقب بـ [ تاج القراء ] ؟!! فلولا شهرته الواسعة وتفوقه على أقرانه ما لقب بهذا اللقب، إذ أني أميل إلى أن الكرماني اشتهر في زمانه حتى لقب بـ [ تاج القراء ]، ونلاحظ من سنة وفاة ياقوت الحموي أنه كان قريب العهد بالكرماني، فلو افترضنا أن عمر ياقوت كان ستين سنة فقط، فإن ما يفصل بينه وبين الكرماني حوالي ستون سنة تقريبا، ويبدو أن سيرة الكرماني وشهرته ما زالتا قائمتين حتى زمان وحياة الحموي، يدل على ذلك قول الحموي السابق: "أحد العلماء الفقهاء النبلاء، ... كان عجبا في دقة الفهم وحسن الاستنباط" ويدل على ذلك أنه عَلِمَ أن الكرماني لم يرحل عن بلده [كرمان].

فيبدو جليا أن الكرماني – رحمه الله – قد بلغ مبلغا عظيما من العلم، رفعه فوق أقرانه الذين ارتضوا بأن يلقب دونهم بـ [تاج القراء]، وأن شهرته امتدت زمنا بعد وفاته، أما كتابه [البرهان] فكفى به دليلا على علمه وفضله.

ولو أردنا أن نقف على مكانته العلمية وفضله فيكفينا أن نقف على لقبه [تاج القراء] الذي لم أجد أحدا أُطْلِقَ عليه هذا اللقب قبله أو أَحَدا بعده، ومن المؤكد أنه لم يُسَمِّ نفسه بهذا الاسم، ولم يُطْلِقْ على نفسه هذا اللقب، إذ لو فعل فما أظن أن يُقْبَلَ منه، فلابد أن عِلْمَه وعَمَلَه هما اللذان أَهَّلاه لدى من حوله من العلماء والناس لأن يحظى بهذا اللقب دون غيره من العلماء، ويبدو أنه – رحمه الله – كان من العلماء العاملين؛ إذ أن اللقب يدل على ذلك دلالة يقينية، فكيف يصبح [تاجا للقراء] إن لم يكن هو أقرأهم لكتاب الله؟! –ليس هذا وحسب– بل لابد أنه كان أعظمهم علما وعملا، فنال بذلك شرف هذا اللقب.

---

[٣٣٢] الكرماني،محمود بن حمزة بن نصر أبو القاسم برهان الدين، ١٤٠٦هـ– ١٩٨٦م، البرهان في متشابه القرآن، تحقيق عبد القادر عطا، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ص١٢

**المطلب الثاني: الدراسات التي عقدت حول كتاب البرهان:**

لقد وجدتُ لهذا الكتاب أربع دراسات، ثلاثة تحقيقات، وبحث ماجستير، وهي كما يلي:

١- تحقيق ودراسة عبد القادر عطا، وقد طبعته دار الكتب العلمية ببيروت، لبنان، طبعته الأولى سنة ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م، ووقعت في خمس ومائتين صفحة. وبين يدي الباحث نسخة منه.

٢- تحقيق الدكتور السيد الجميلي، وقد طبعه مركز الكتاب للنشر بالقاهرة، مصر، ولا يوجد على الكتاب سنة الطبع، لكن يبدو أنه كان سنة ١٩٩٤م؛ وقد نشر هذا التحقيق في مجلة الأزهر قبل طبعه كتابا؛ يثبت ذلك التصريح الذي منحه مدير مجلة الأزهر الدكتور علي أحمد الخطيب للكاتب قائلا: "فنفيد سيادتكم علما بأن تحقيقكم الذي تفضلتم بإرساله إلى المجلة لنشره هدية بمجلة الأزهر، وهو التحقيق الذي قمتم به لكتاب [البرهان في توجيه متشابه القرآن] والذي تم نشره فعلا، .... وإدارة المجلة يسرها أن تبلغكم بتصريحها لكم بإعادة طباعته ونشره وتوزيعه لحسابكم الخاص.."وقد ذيل التصريح بتاريخ ١٢ من صفر ١٤١٥هـ – ٢١/ ٧ / ١٩٩٤م.

٣- تحقيق أحمد عز الدين عبد الله خلف، أشار إليه الدكتور محمد الصامل في تعليقه على كتاب [البرهان] ووصفه بأنه أفضل من تحقيق عبد القادر عطا[٣٣٣].

٤- رسالة ماجستير في كلية أصول الدين للشيخ ناصر بن سليمان العمر، أشار إليها الدكتور محمد الصامل، ولم يذكر في أي جامعة، ولا تاريخها[٣٣٤]، وأخبرني د. أحمد حسن فرحات أنها كانت في جامعة الإمام سنة ١٩٨٣م.

[٣٣٣] الصامل، محمد بن علي بن محمد،١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م، من بلاغة المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، ط١، الرياض، دار إشبيليا للنشر والتوزيع، ص٢١

[٣٣٤] المصدر السابق، ص٢١

**المطلب الثالث: كتاب البرهان وخصائص منهجه:**

يُعَدُّ كتاب [البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان] الكتاب الثاني من الكتب المعتبرة في علم [توجيه المتشابه اللفظي في القرآن] فلم يسبقه في ذلك غير الخطيب الإسكافي – رحمه الله – إذ أن الذين اشتغلوا بـ [علم المتشابه اللفظي] قبلهما اشتغلوا بالجمع فقط دون التوجيه، وعن ذلك قال الكرماني في خطبة كتابه: "ولكني أفردت هذا الكتاب لبيان المتشابه؛ فإن الأئمة – رحمهم الله تعالى – قد شرعوا في تصنيفه، واقتصروا على ذكر الآية ونظيرتها، ولم يشتغلوا بذكر وجوهها وعللها، والفرق بين الآية ومثلها، وهو المشكل الذي لا يقوم بأعبائه إلا من وفقه الله لأدائه"[٣٣٥]

وقد ذكر الكرماني أنه قد وقف على كتاب الإسكافي [درة التنزيل وغرة التأويل]، ونقل عنه، قال: "وقد قال أبو مسلم[٣٣٦] في تفسيره، عن أبي عبد الله الخطيب في تفسيره كلمات معدودات منها، أنا أحكي لك كلامه فيها إذا بلغت إليها"[٣٣٧].

وقد اجتهدتُ في النظر والبحث والتأمل في كتاب [البرهان] لاستخلاص خصائص أسلوب الكرماني ومنهجه في كتابه فوقفتُ على ما يلي:

١- تابع الكرماني منهج الإسكافي في أمرين بارزين:

**الأول**: الهدف من الكتاب، قال رحمه الله في خطبة كتابه: "فإن هذا كتاب أذكر فيه الآيات المتشابهات التي تكررت في القرآن وألفاظها متفقة، ولكن وقع في بعضها زيادة أو نقصان، أو تقديم أو تأخير، أو إبدال حرف مكان حرف، أو غير ذلك مما يوجب اختلافا بين الآيات التي تكررت من غير زيادة ولا نقصان، وأبين السبب في تكرارها، والفائدة في إعادتها، وما الموجب للزيادة والنقصان، والتقديم والتأخير والإبدال، وما الحكمة في تخصيص الآية بذلك دون الآية الأخرى، وهل كان يصلح ما في هذه

---

[٣٣٥] الكرماني، البرهان، تحقيق الجميلي، ص١٢

[٣٣٦] ذكر عبد القادر عطا أنه محمد بن محمد علي بن الحسين بن مهرايزد النحوي الأديب المفسر المعتزلي، انظر تحقيق عبد القادر عطا للبرهان ص٢٠.

[٣٣٧] الكرماني، البرهان، تحقيق: السيد الجميلي، ص١٢.

السورة مكان ما في السورة الأخرى التي تشاكلها أم لا، ليجري ذلك مجرى علامات تزيل إشكالها، وتمتاز بها عن أشكالها من غير أن اشتغل بتفسيرها وتأويلها"[٣٣٨]

الثاني: منهج الكتاب، والتي التزم فيه الإسكافي منهج المفسرين في تناولهم لسور القرآن حسب

ترتيبها في المصحف، ثم تناول الآي آية آية حسب ورودها في السورة، فبدأ بالبقرة فتتبع الآيات التي لها نظائر مشابهة لها لفظا، فيعرض للآية الأم، ثم ينظر فيما شابهها في السورة ذاتها، ثم في السور الأخرى بحسب ترتيبها، حتى إذا ما انتهى من البقرة انتقل إلى آل عمران فما بعدها، وسار الكرماني على درب الإسكافي في هذا المنهج.

٢- ابتكر الكرماني منهجا جديدا كان هو الغالب في تناول مسائل الآيات المتشابهات، فاختلف

عن منهج أستاذه الإسكافي، فقد كان الإسكافي يستعرض الآيات المتشابهات ويقف عند بضع مسائل في موطن التشابه، فيسوق المسائل جملة واحدة ثم يقوم بتوجيهها مسألة مسألة، أما الكرماني فلم يتناول الآية الأم ونظيرتها المشابهة لها ككل متكامل، بل تناولها مقطعا مقطعا، أو جزئية جزئية، فكان منهجه التجزيء، فجعل لكل مقطع من الآية مسألة، لهذا السبب كثرت مسائل الكرماني في كتابه.

٣- ترك أسلوب الخطاب والمناقشة الذي اعتمده الخطيب الإسكافي في الدرة، والذي اعتمده أكثر من صنف في هذا العلم، وعمد إلى أقل الكلام، فيأخذ بيد القارئ مباشرة إلى الهدف من أقصر الطرق[٣٣٩]، إلا أن ذلك كان - أحيانا - سببا في عدم وضوح الرؤية، فانتهاجه الإيجاز الشديد في تأويله لأسباب وأسرار التشابه بين الآيات - وهذه خصلة عامة في كتابه - أوقعه أحيانا في الغموض واللَّبس على القارئ، ومن ذلك المسألة رقم ٢٩ في قول الله تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ ﴾

---

[٣٣٨] المصدر السابق ، ص١١-١٢

[٣٣٩] اسمع إليه في المسألة ٤٨ في قول الله تعالى: ﴿ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقۡتَتَلُواْ ﴿٢٥٣﴾ ﴾ (البقرة٢٥٣)، قال: "كرر هنا تأكيدا، وقيل ليس بتكرار، لأن الأول للجماعة والثاني للمؤمنين، وقيل كرر تكذيبا لمن زعم أن ذلك لم يكن بمشيئة الله تعالى" الكرماني، البرهان، تحقيق:السيد الجميلي، ص٣١.

(البقرة١٦٠)، قال: "ليس في هذه ﴿ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ ﴾ (آل عمران٨٩)[٣٤٠] لأن قبله هنا ﴿ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ ﴾ (البقرة١٩٠)، فلو أعاد التبس"[٣٤١]

٤- اعتمد الكرماني في بيانه لأسرار التشابه اللفظي بين الآيات المتشابهات على ثلاثة عناصر،

كانت هي نفسها عمدة الخطيب في كتابه الدرة وهي:

**الأول**: اللغة - واللغة فقط - معجميا وصرفيا ونحويا وبلاغيا، ومثال ذلك: ما تناوله في المسألة رقم ١١٢ في قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ (الأنعام١١٧)، قال الكرماني: "وفي [ن والقلم] ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ (القلم٧)، بزيادة الباء ولفظ الماضي؛ لأن الماضي لا يعمل في المفعول به، فنوى بالباء، وحيث أضمر فعل يعمل فيما بعده[٣٤٢] وخصت هذه السورة بالحذف موافقة لقوله: ﴿ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾ (الأنعام١٢٤)، وعدل هنا إلى لفظ المستقبل؛ لأن الباء لما حذفت التبس اللفظ بالإضافة - تعالى الله عن ذلك - فنبه بلفظ المستقبل على قطع الإضافة ....فتنبه فإنه من أسرار القرآن لأنه لو قال: أعلم من ضل بدون الباء مع الماضي لكان المعنى: أعلم الضالين"[٣٤٣]

---

[٣٤٠] يقصد أنه لم يرد في آية البقرة السابقة قوله تعالى: ﴿ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ ﴾، وقد وردت في آية آل عمران: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٨٩﴾ ﴾ (آل عمران٨٩)، والسبب كما ذكر أن آية البقرة سبقها: ﴿ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ ﴿١٥٩﴾ ﴾ (البقرة١٥٩) ، ولو أعاد: ﴿ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ ﴾ وقع لبس، وجدير بالذكر أن آية آل عمران تلك قد وردت بنصها ذلك دونما تغير في سورة النور: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٥﴾ ﴾ (النور٥). ولم يشر الكرماني إلى ذلك.

[٣٤١] الكرماني، البرهان في توجيه متشابه القرآن، تحقيق: السيد الجميلي، ص٢٦.

[٣٤٢] لعل هنا شيء من الغموض، أزاحه وكشف عنه الأنصاري - رحمه الله- قال: بزيادة الباء وبالماضي عملا بزيادة الباء في مفعول [اعلم] تقوية له لضعفه كما في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾ (الأنعام١١٧)، وقوله: ﴿ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱهۡتَدَىٰ ﴾ (النجم٣٠)، وعملا في الماضي بكثرة الاستعمال في قولهم [اعلم بمن دب ودرج] وحيث حذفت الباء أضمر فعل من مادة علم يعمل في المفعول لضعف [اعلم] عن العمل بلا تقوية وتقديره في الآية يعلم من يضل. انظر: زكريا الأنصاري ، ١٩٩٩م،فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، تحقيق:السيد الجميلي، وأحمد السايح، ط١، القاهرة، مركز الكتاب للنشر، ص٩٦.

[٣٤٣] الكرماني ، تحقيق الجميلي، ص٥٤. علما أن هناك آيتين أخريين غير آية القلم قد شابهتا آية الأنعام لم يشر إليهما الكرماني، وهما: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾ (النحل١٢٥)، و﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱهۡتَدَىٰ ﴾ (النجم٣٠).

**الثاني**: السياق والمعاني التي تطوف حول الآية – وهذا كثير– ومثال ذلك: ما جاء في المسألة

رقم ٥٠ في قول الله تعالى: ﴿ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ﴾ (البقرة٢٨٤)، قال الكرماني: ﴿ فَيَغْفِر ﴾ مقدم في هذه السورة وغيرها إلا المائدة فإن فيها: ﴿ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ ﴾ (المائدة٤٠)؛ لأنها نزلت بعدها في حق السارق والسارقة، وعذابهما يقع في الدنيا، فقدم لفظ العذاب، وفي غيرها قدم لفظ [المغفرة] رحمة منه تعالى، وترغيبا للعباد في المسارعة إلى مرضاته وطلب المغفرة."[٣٤٤]

**الثالث**: اللغة والسياق معا، وهذا هو الأكثر الغالب في الكتاب.

٥– قد ينقل رأي غيره ولا يُدْلِي بِدَلْوِه، من ذلك مثلا: ما جاء في المسألة رقم ٤٢: حيث ذكر الآية الأم من سورة البقرة قول الله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم ﴾ (البقرة٢١٤)، وما شابهها – آيتان– الأولى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ (آل عمران١٤٢)، والثانية: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُواْ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ ﴾ (التوبة١٦)، ثم قال: "الخطيب أطنب في هذه الآيات، ومحصول كلامه أن الأول للنبي والمؤمنين، والثاني للمؤمنين، والثالث للمخاطبين جميعا"[٣٤٥].

٦– قد يتناول الآية مفردة دون مشابه لها، يؤولها ويبين أسرارها، ومن ذلك: ما جاء في

---

[٣٤٤] الكرماني، البرهان، تحقيق الجميلي، ص٣٢.

[٣٤٥] المصدر السابق، ص٢٩.

المسألة رقم ٢٢٠، "قوله: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (يوسف٦)، ليس في القرآن غيره، أي: عليم عَلَّمَك تأويل الأحاديث، وحكيم باجْتِبَائِك للرسالة"[٣٤٦]، وفي مثل هذا يقول "ليس في القرآن غيره"[٣٤٧] ، أو يقول: "ليس له في القرآن نظير"[٣٤٨].

٧- كما أنه أحيانا يتناول الآيتين المتشابهتين كل منهما على حدة، في منزلها، في سورتها التي
وردت فيها. من ذلك المسألة رقم ١٢٦ من سورة الأعراف، قول الله تعالى: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ ﴾ (الأعراف٣٤)، قال الكرماني: "بالفاء حيث وقع إلا في [يونس ٤٩] فإنه هنا جملة عطفت على جملة بينهما اتصال وتعقب فكان الموضع موضع الفاء، وما في يونس يأتي في موضعه"[٣٤٩]. وبالفعل عاد الكرماني وناقش آية يونس في موضعها من السورة في المسألة رقم ١٩١[٣٥٠].

٨- قد يتناول الآية الواحدة مرتين، في موضعين مختلفين، من سورتين مختلفتين، كل منهما في
موضعها من السورة التي وردت فيها، فمن ذلك مثلا المسألة رقم ٢٧٦ في سورة الإسراء: "قال الله تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ ﴾ (الإسراء٥٦)، وفي سبأ ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ (سبأ٢٢)، لأنه يعود إلى الرب في هذه السورة، وقد تقدم ذكره في الآية الأولى، وهو قوله: ﴿ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ ﴾ (الإسراء٥٥)، وفي سبأ لو ذكر بالكناية لكان يعود إلى الله كما صرح، فعاد إليه، وبينه

---

[٣٤٦] المصدر السابق، ص٨٧.

[٣٤٧] المصدر السابق، ص١٥ المسألة رقم ٧ / وص١٦ المسألة رقم ٨ / ص٣٩ المسألة رقم٦٩ .

[٣٤٨] المصدر السابق، ص٩٩، المسألة رقم٢٥٩ / وص١٢٩، المسألة رقم٣٣٧ / وص١٧١، المسألة رقم٤٦٣.

[٣٤٩] المصدر السابق ص٥٩.

[٣٥٠] المصدر السابق، ص٨٠.

وبين ذكره -سبحانه- صريحا أربع عشرة آية، فلما طالت الآيات صرح ولم يُكَنِّ"[٣٥١].

ثم عاد الكرماني في سورة سبأ في المسألة رقم ٤٠٧ وقال: "قوله: ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ (سبأ٢٢)، وفي [سبحان]: ﴿ مِّن دُونِهِۦ ﴾؛ لأنه في هذه السورة اتصلت الآية بآية ليس فيها لفظ الله فكان الصريح أحسن، وفي [سبحان] اتصل بآيتين فيهما بضعة عشر مرة ذكر الله صريحا وكناية، فكانت الكناية أولى، وقد سبق"[٣٥٢].

وقد نجده يعود إلى الآية مرة أخرى في منزلها من السورة المتأخرة لزيادةٍ ما رآها، ومن ذلك ما جاء في المسألة ٢٣٢ من سورة الرعد في قوله تعالى: ﴿ كُلٌّ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمًّى ﴾ (الرعد٢)، فجمع إليه ﴿ كُلٌّ يَجۡرِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّى ﴾ (لقمان٢٩)، وقال: "لأنك تقول في الزمان: جرى ليوم كذا، وإلى يوم كذا، والأكثر اللام، كما في هذه السورة وسورة الملائكة، ... أما في [لقمان] فوافق ما قبلها، وهو قوله: ﴿ وَمَن يُسۡلِمۡ وَجۡهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ (لقمان٢٢)، والقياس لله، ..وكذلك ﴿ كُلٌّ يَجۡرِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّى ﴾ (لقمان٢٩)، أي إلى وقته المسمى له"[٣٥٣].

ثم عاد في سورة لقمان في المسألة ٣٩٤ وتناول الآيتين ذاتهما قائلا: "وقد سبق شطر من هذا، ونزيده بيانا: أن [إلى] متصل بآخر الكلام، ودال على الانتهاء، و[اللام] متصل بأول الكلام، ودال على الصلة"[٣٥٤].

٩- في أكثر من مسألة رأى الكرماني تساوي لفظين في معنيهما، رغم اختلاف مبنى اللفظين،

---

[٣٥١] المصدر السابق، ص١٠٦

[٣٥٢] المصدر السابق، ١٥٢، ومن ذلك المسألة رقم ٣٨٢ من سورة العنكبوت عاد وتناولها في المسألة رقم ٤٠٩ من سورة سبأ / ومنه المسألة ١٩٥ من سورة يونس عاد وتناولها في المسألة رقم ٤٤٩ من سورة غافر.

[٣٥٣] المصدر السابق، ص٩٠.

[٣٥٤] المصدر السابق، ص١٤٧

فقد قال في المسألة الثالثة عشر من سورة البقرة في قوله الله تعالى: ﴿ فَمَن تَبِعَ ﴾ (البقرة٣٨)، وفي طه ﴿ فَمَنِ ٱتَّبَعَ ﴾ (طه١٢٣)، قال الكرماني: "﴿ تَبِع ﴾ و﴿ ٱتَّبَع ﴾ بمعنى"[٣٥٥].

وقال في المسألة رقم ٣٥٩ من سورة النمل: " ﴿ نَجَّيْنَا ﴾ و﴿ أَنجَيْنَا ﴾ بمعنى واحد"[٣٥٦].

ولا أدري كيف اتفق له ذلك؟! فكيف ولماذا اختلفت المباني إن كان المعنى واحدا؟ والحق أن هذا قول مردود، فقد أفرد الزركشي قسما في كتابه بعنوان [الزيادة في بنية الكلمة] وقال: "واعلم أن اللفظ إذا كان على وزن من الأوزان ثم نقل إلى وزن آخر أعلى منه فلا بد أن يتضمن من المعنى أكثر مما تضمنه أولا لأن الألفاظ أدلة على المعاني فإذا زيدت في الألفاظ وجب زيادة المعاني ضرورة"[٣٥٧] وقد أفرد الدوري في كتابه مبحثا بعنوان [افتراق فَعَلَ، وافْتَعَلَ][٣٥٨]، ومبحثا آخر بعنوان [أَفْعَلَ ، وفَعَّلَ]، وما أكثر الكتب التي تتناول الفروق اللغوية بين أبنية الألفاظ.

١٠- مثلما كان من الخطيب الإسكافي – ولعله غفلة أو سهو- فقد يترك أو يغفل عن آية في سورة متقدمة ثم يتناولها مع الآية أو الآيات التي شابهتها في سورة متأخرة، ومن ذلك المسألة رقم ٤٨٧ من سورة [ق] في "قول الله تعالى: ﴿ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴾ (ق٣٩)، وفي طه ﴿ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ﴾ (طه١٣٠)؛ لأن في هذه السورة راعى الفواصل، وفي طه راعى القياس، لأن الغروب للشمس كما أن الطلوع لها"[٣٥٩].

١١- استدرك الكرماني على الخطيب الكثير من مواطن المتشابه اللفظي التي لم يقف عليها

---

[٣٥٥] المصدر السابق، ص١٩

[٣٥٦] المصدر السابق، ص١٣٥

[٣٥٧] الزركشي، البرهان، ج٣، ص٣٤

[٣٥٨] الدوري، محمد ياس خضر، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م، دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ص٢١١

[٣٥٩] الكرماني، البرهان، تحقيق الجميلي، ص١٧٧.

الخطيب، حتى ليكاد لم يترك سورة دون أن يقف فيها على بعض مواطن المتشابه.

١٢- الكرماني يقول بالتكرار في القرآن الكريم، أي أنه يرى أن بعض المتشابه اللفظي من التكرار لغرض بلاغي، فلم تحمل الآية المشابهة معنى جديدا غير المعنى في الآية الأولى، فها هو في المسألة رقم ١٠٤ من سورة الأنعام يقول: " قوله ﴿ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ هُمۡ يَصۡدِفُونَ ﴾ (الأنعام٤٦)، و[٦٥] مكرر[٣٦٠]؛ لأن التقدير انظر كيف نصرف الآيات، ثم هم يصدفون عنها، فلا تعرض عنهم بل تكررها لعلهم يفقهون"[٣٦١].

ورغم أنه قال بالتكرار في الآيات، فإنا نجده أحيانا ينكر التكرار على لفظ أو تركيب قد ورد ذكره في الآية الواحدة أكثر من مرة، مبينا أن ورود اللفظ في المرة الثانية غيره في الأولى، ومن ذلك مثلا في المسألة رقم٩٥: "قوله ﴿ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ الأنعام١٢، و[٢٠] ليس بتكرار لأن الأول في حق الكفار والثاني في حق أهل الكتاب"[٣٦٢]، فقد استعمل هذا التعبير – ليس بتكرار – في مواطن كثيرة تزيد على أربعين مرة.

١٣- أثر الخطيب في الكرماني واضح جلي، ويبدو ذلك من متابعته في منهجه، ومسايرته في الهدف الذي من أجله وضع كتابه، ورجوعه إلى كتاب الخطيب في العديد من المواطن، فقد أحصيت له ست عشرة مرة ذكر فيها اسم الخطيب صريحا، هذا غير المواطن الأخرى التي نقل عنه فيها ولم يصرح بذكره.

١٤- من منهج الكرماني في كتابه أنه إذا مر بآية متأخرة تناولها مع أخت لها في سورة متقدمة،

---

[٣٦٠] وقد استعمل لفظ [مكرر أو كرر] مرات عديدة وأحيانا يذكر علة للتكرار يصاحبها معنى جديد، وأحيانا يذكر أن ذلك للتأكيد أو التخصيص دون أن ينوه لمعاني أخرى.

[٣٦١] الكرماني، البرهان، تحقيق الجميلي، ص٥١.

[٣٦٢] المصدر السابق، ص٤٨ / ومثله المسألة رقم ٤، ص١٤ / والمسألة رقم ٤٨ ، ص٣١ / والمسألة رقم٨٢، ص٤٣.

فإنه يذكر الآية، ثم يقول: قد سبق في سورة كذا، ويسمي السورة، أو يقول: قد سبق، ولا يسمي السورة، وقد قال: هذا التعبير مرارا عديدة، فقد أحصيتُ له إحدى وستين مرة لقوله "قد سبق" أو "سبق".

## المبحث الثالث:

## ابن جماعة وكشف المعاني

**مقدمة:**

حين هممتُ بدراسة شخصية ابن جماعة وكتابه [كشف المعاني في متشابه المثاني] حرصت على أن أجمع ما استطعت من سيرته ومكانته العلمية وأصوغها من مصادرها في إيجاز، لكنني وقعت في حيرة شديدة؛ إذ أني وجدت أمامي كّمًّا كبيرا من المعارف حول هذا الرجل، من حيث النشأة، وأسرته الذائعة الصيت الزاخرة بالعلماء الأعلام الأفذاذ، وشمائله النبيلة، ومكانته العلمية السامقة، والعلوم التي نبغ فيها، وأساتذته المرموقين، وتلامذته الفائقين النوابغ ذوي العلم والمصنفات السائرة بين المسلمين إلى يومنا هذا، وأعماله التي قام عليها من القضاء والتدريس والخطابة، والقيام على مدارس عدة بالإشراف والتدريس، ثم كتبه ومصنفاته التي رَبَتْ على الخمسين مصنفا، والتي تنوعت في شتى العلوم، ووجدتُني في حاجة إلى تصنيف كتاب لتلك الشخصية، وليس مبحثا من عدة صفحات، ولكني سأجتهد في هذا المبحث في التعريف بشخصية ابن جماعة، والوقوف على كتابه [كشف المعاني] منهجه، وخصائص أسلوبه ، في أقل قدر من الأفكار والتعبير، من غير أن أُخِلَّ في النَّهْج، أو أُقَصِّر في الْقَصْد.

### المطلب الأول: مولده ، ونسبه ، ونشأته

**أولا : مولده وعمره:**

لا عجب في أن يقف المترجمون لابن جماعة على سنة ولادته ووفاته بل إنهم وقفوا على الشهر واليوم والساعة دون خلاف بينهم في ذلك؛ إذ أن سعة علمه وشهرته وأسرته العريقة علما ونسبا جعلته حَرِيًّا بذلك، حيث تُجْمِعُ كتب التراجم على أن ابن جماعة قد ولد بحماة[٣٦٣] ليلة السبت لأربعٍ خَلَتْ من ربيع الآخر في السنة التاسعة والثلاثين وستمائة من

[٣٦٣] حماة إحدى مدن الجمهورية العربية السورية، تقع شمال غرب سوريا، وهي مركز محافظة حماة، تقع على نهر العاصي، وإذا كانت دمشق أقدم عاصمة في التاريخ، فإن حماة هي أقدم مدينة في العالم، فتحت في عهد عمر بن الخطابﷺ على يد أبي عبيدة بن الجراحﷺ سنة ١٨هـ، وقد تعرضت لمذابح عدة بعد الفتح، أولها على يد القرامطة بقيادة ملكهم أبي شامة سنة ٢٩١هـ، حيث قتلوا أهلها حتى الأطفال، وآخرها في العصر الحديث على يد النظام السوري النصيري بقيادة حافظ الأسد

الهجرة، وقد بارك الله عمره فطال به حتى جاوز أربعا وتسعين خريفا، فقد تُوفِّيَ – رحمه الله – ليلة الإثنين بعد عشاء الآخرة ليوم الحادي والعشرين من جمادى الأولى من سنة ثلاث وثلاثين وسبعمئة[٣٦٤].

**ثانيا: نسبه:**

لقد اجتمع على ابن جماعة ثلاثة ألقاب، وهي: بدر الدين، وقاضي القضاة، وشيخ الإسلام. وقد كُنِّيَ بكُنْيَتَيْن هما: أبو عبد الله، وابن جماعة.

فهو: شيخ الإسلام، قاضي القضاة، بدر الدين، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة بن علي بن جماعة بن حازم الكناني[٣٦٥] الشافعي[٣٦٦]، والمشهور بـ [ابن جماعة]، وتلك الكنية قد كُنِّي بها غيرُه من إخوته وبعض أقاربه الذين نبغوا في بعض أبواب العلم لكنها مالت إليه هو، فَخُصَّ بها؛ فإن أُطْلِقَت فقيل: [ابن جماعة] كان هو المقصود بها. فقد " كان رأس أسرة ضمت نفراً من علماء العرب الذين بسطوا جناح المعرفة على مصر والشام، وكان كل واحد منهم يعرف باسم [ابن جماعة]"[٣٦٧] ، " فهو الذي سادَ اسمه وعلا ذِكْرُهُ على سائِرِ إخوانِه"[٣٦٨]. وهو من أسرة عربية عريقة النسب[٣٦٩].

---

في شهر فبراير ١٩٨٢م، وراح ضحيتها ما بين ٣٠ و٤٠ ألفا من أهل حماة، حيث حاصرهم رفعت الأسد أخو الرئيس حافظ الأسد بعسكره وضربهم بالمدفعية والطائرات قبل اقتحامها وظلت تلك المذبحة ٢٧ يوما بداية من الثاني من فبراير ١٩٨٢ حتى آخره، فأبادوا البشر ، وهدموا البيوت، وجعلوا المدينة أثرا بعد عين. راجع هذا الرابط للموسعة الحرة ويكيبيديا :

http://ar.wikipedia.org/wiki/%D%AD%D%٨٥%٩D%٨A%٧D%٨A٩ 4/3/2011

[٣٦٤] الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م، معجم شيوخ الذهبي،تحقيق: روحية عبد الرحمن السيوفي، ط١، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ص٤٤٨ / العسقلاني، الحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد، ١٣٩٢هـ– ١٩٧٢م، الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة ، تحقيق: محمد عبد المعيد ضان، صيدر اباد، الهند ، مجلس دائرة المعارف العثمانية ، ج٥، ص٣–٦ / ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ ، البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، ط١، دار إحياء التراث العربي، ج١٤، ص١٨٨ / ابن قاضى شهبة، أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر ، ١٤٠٧ هـ ، طبقات الشافعية، تحقيق: الحافظ عبد العليم خان، بيروت، عالم الكتب، ج٢، ص٢٨٢،/ الوافي بالوفيات، ج٢، ص١٥–١٦ / معجم المؤلفين، ج٨، ص٢٠١–٢٠٢ / الأعلام للزركلي ، ج٥، ص٢٩٧.

[٣٦٥] نسبة إلى قبيلة كنانة.

[٣٦٦] بتصرف، المصادر السابقة / محمّد عَدنان قيطاز، مجلة التراث العربي–مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب–دمشق العدد ٥٤ – السنة ١٤ –كانون الثاني "يناير" ١٩٩٤ – شعبان ١٤١٤، وموقعها على النت: http://www.awu-dam.org/trath/turath٥٤/٠٠٥-٥٤.htm ، ٢٠١٠/٠٥/١٠.

[٣٦٧] قيطاز، محمّد عَدنان، مجلة التراث العربي، دمشق العدد ٥٤ – السنة ١٤ –كانون الثاني "يناير" ١٩٩٤ – شعبان ١٤١٤.

[٣٦٨] البِرْزَالِي، عَلَمِ الدِّين القاسمِ بْنِ محمَّد بْنِ يوسف، مشيخة بدر الدين بن جماعة، دراسة وتحقيق: موفق بن عبدالله بن عبدالقادر بن عبدالعزيز، صدرت هذه الدراسة عن جامعة أمّ القُرى بمكة المكرمة، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة، سنة ١٤٠٧هـ– ١٩٨٧م، وقد طبع هذا الكتاب في بيروت ولم أقف عليه مطبوعا، ويمكن الحصول عليها من هذا الرابط على النت http://uqu.edu.sa/page/ar/٩٥١٢٧ ، ٢٠١٠/٠٥/١٠.

[٣٦٩] ذكر عبد الجواد خلف في تحقيقه لكتاب [كشف المعاني] ( ص٦) أن نسب ابن جماعة ينتهي إلى ولد [مالك بن كنانة] الجد العاشر في سلسلة نسب الرسول ﷺ ومصدره في ذلك كتاب [الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل] لمجير الدين الحنبلي، وقد رجعت إلى هذا الكتاب فوجدته يؤرخ للمتصوفة مع مغالاة فيهم والترويج لكرامات يذكرها المؤلف، من ذلك أن المؤلف كان إذا ذكر أحدهم صدره بـ : [ سيدي ]، وقوله عن أحدهم : "واستصحب معه كفنه وودع أهل البلد وأخبرهم أنه يموت ببيت المقدس فوصل اليه وأقام به أياما ثم مرض يومين وتوفي في الثالث ... وكان يلقب بصاحب عرفة لأنه رآه جماعة من الناس بعرفة وأصبح خطب عيد

الأضحى بمدينة حماة فلما ظهرت له هذه الكرامة توجه لزيارة بيت المقدس وتوفي به" راجع [الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليلي] لمجير الدين الحنبلي ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م، تحقيق : عدنان يونس عبد المجيد نباتة، عمان ، مكتبة دنديس، ج٢ ، ص١٥١، وقد رأيت عدم التعويل على هذا المصدر، حيث إن في كتب التراجم ما يغني عنه.

**المطلب الثاني: مكانة ابن جماعة العلمية**

يكفي الباحث عن مكانة ابن جماعة العلمية أن يقف على الأعمال التي أسندت إليه والمدارس التي درَّس فيها ليدرك أن ابن جماعة قد بلغ مبلغا سامقا في العلم جعله أهلا ليرقى فوق كل أقرانه، وجعلته أهلا لاعتلاء كرسي القضاء أكثر سني عمره ما بين مصر والشام، ويكفينا أن نعلم أنه قضى عمره إماما لأكبر مساجد مصر، كما تولى إمامة وخطابة المسجد الأقصى، فإن علمنا عنه ذلك فماذا عساه أن يكون؟!

فإنه لابد قد جمع من العلوم الكثير والكثير الذي أَهَّلَه لَيُحَصِّلَ بها كل تلك المناصب، وما نال ابن جماعة تلك الدرجات العلا من العلم إلا بحرصه على طلب العلم والاجتهاد فيه، قال تلميذه البرزالي: "قد حَرص ابن جماعة – رَحِمهُ الله تعالى – على طلب العِلْم، ورَحَلَ في ذلك، والتقى بالعَديد من الشيوخ على اختلاف مَذَاهبهم وأخذ عنهم.. وقد بلغ عدد شيوخه في مشيخته التي خَرَّجها تلميذه البِرْزَالي أربعا وسبعين شيخاً منهم امرأة واحدة"[٣٧٠].

وقد شهد لابن جماعة كل من ترجم له بالخلق الرفيع والتبحر في العلوم، " فقد أجمع أصحاب التراجم على حسن سيرة ابن جماعة، وصفاء سريرته، وزهده وتقشفه في كل شيء، مأكلاً، وملبساً، ومركباً، وأثنى عليه كثير ممن عاصره، وشهدوا بصحة أحكامه ويُمْنِ أيامه، وفهمه وعلمه. وإذا كانت المعاصرة حجاباً كما يقال، إلا أنها لم تحجب صورة العالم الذي بسط إحسانه على أجيال تتابعت وأحقاب توالت. وحسب ابن جماعة شرفاً شهادة معاصريه من أقرانه وإخوانه، وأساتذته وتلاميذه"[٣٧١]

قال عنه ابن حجر في الدرر: " واجتمع له من الوجاهة وطول العمر ودوام العز ما لم يتفق لغيره، وصنف كثيرا في عدة فنون"[٣٧٢] وذكر ابن حجر عن الذهبي أنه وصفه فقال: "كان قوي المشاركة في الحديث، عارفا بالفقه وأصوله، ذكيا فطنا، مناظرا متقنا، ورعا، تام

---

[٣٧٠] المصدر السابق، http://uqu.edu.sa/page/ar/٩٥١٢٧ ، ٢٠١٠/٠٥/١٠.

[٣٧١] المصدر السابق، مجلة التراث العربي، دمشق العدد ٥٤

[٣٧٢] ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٥، ص٦.

الشكل، وافر العقل، حسن الهدى، متين الديانة، ذا تعبد وأوراد، وكان في ولايته الثانية قد كثرت أمواله، فترك الأخذ على القضاء عفة، ... وكان صاحب معارف، يضرب في كل فن بسهم، وله وقع في النفوس، وجلالة في الصدور، وكان مليح الهيئة، أبيض مسمتا، مستدير اللحية، نقي الشيبة، جميل البزة، دقيق الصوت، ساكنا وقورا، وحَجَّ مِرارا، وكان عارفا بطرائق الصوفية"[٣٧٣]

وصفه تلميذه السبكي في الطبقات قائلا: "حاكم الإقليمين مصرا وشاما، وناظم عقد الفخار الذي لا يُسَامَى، مُتَحَلٍّ بالعفاف، مُتَخَلٍّ إلا عن مقدار الكفاف، مُحَدِّث، فقيه، ذو عقل لا يقوم أساطين الحكماء بما جمع فيه"[٣٧٤].

وتعد مصنفات ابن جماعة الشاهد الأعظم على سعة علمه وتنوعه، فقد ذكر موفق بن عبد الله محقق مشيخة ابن جماعة ٣٧ مصنفا في شتى العلوم. أما مرزوق على إبراهيم محقق [كشف المعاني] فقد نسب إلى ابن جماعة ٤٦ مصنفا[٣٧٥]، لكنه لم يحقق نسبتها إليه.

وقد اجتهد محمد قيطاز في تتبع آثار ومصنفات ابن جماعة حتى أحصاها وتحقق من نسبتها إليه، فوقف على ٢٦ مصنفا. وكان لعبد الجواد خلف في تحقيقه لـ [كشف المعاني] اجتهاد أعظم في تتبع مصنفات ابن جماعة والتحقق من نسبتها إليه، وقد نظر الباحث في هذه التصانيف، فوجدها تكاد تشمل كل أصناف العلم، وقد ميز كل من عبد الجواد خلف ومحمد قيطاز بين مصنفات ابن جماعة، وجعلاها على أبواب العلوم[٣٧٦].

وقد رأى الباحث أن مصنفات ابن جماعة شملت ما يلي من العلوم: علوم القرآن[٣٧٧]، وعلوم الحديث[٣٧٨]، والنحو[٣٧٩]، والفقه وأحكامه[٣٨٠]، وعلوم الحرب والتربية الجهادية[٣٨١]،

---

[٣٧٣] المصدر السابق، ج٥، ص٦.

[٣٧٤] السبكي، تاج الدين بن علي بن عبد الكافي، ١٤١٣هـ، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق : محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو، ط٢، دار هجر للطباعة والنشر، ج٩، ص١٣٩.

[٣٧٥] ابن جماعة، بدر الدين محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم، كشف المعاني في المتشابه المثاني، تحقيق: مرزوق علي إبراهيم، دار الشريف، ص٢١-٢٤

[٣٧٦] ابن جماعة، كشف المعاني، تحقيق: محمد عبد الجواد، ص٣٥-٤٤ / وقيطاز، محمد عدنان، مجلة التراث العربي، دمشق العدد ٥٤

[٣٧٧] مثل: كشف المعاني في المتشابه من المثاني، وغرة التبيان لمن لم يسم بالقرآن ، وغرر البيان لمبهمات القرآن، والفوائد اللائحة من سورة الفاتحة.

[٣٧٨] مثل: المنهل الروي في مختصر علوم الحديث النبوي، والكلام على المتن وأقسامه وأنواعه، والكلام في السند وما يتعلق به، وتخريج أحاديث الوجيز.

[٣٧٩] مثل: شرح كافية ابن الحاجب، والضياء الكامل في شرح الشامل.

[٣٨٠] مثل: تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام، وكشف الغمة في أحكام أهل الذمة، والعمدة في الأحكام، والمسالك في علوم المناسك.

[٣٨١] مثل: تجنيد الأجناد وجهات الجهاد، ومستند الأجناد في آلات الجهاد.

وعلم الكلام[٣٨٢]، والسيرة والتاريخ[٣٨٣]، والأخلاق والرقائق[٣٨٤]، وعلوم التربية[٣٨٥]، والفلك[٣٨٦]، والشعر[٣٨٧].

وهذه المصنفات وكثرتها وتنوعها إن دلت فإنما تدل على أن ابن جماعة كان عالما موسوعيا .

**المطلب الثالث: التعريف بكتاب [كشف المعاني ]:**

إن كتاب [كشف المعاني في متشابه المثاني] أحد خمسة كتب للعلماء القدامى في باب [توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم] وترتيبه الزمني الرابع بين الكتب الخمسة بعد [درة التنزيل] للإسكافي، و[ البرهان ] للكرماني، و[ملاك التأويل] للغرناطي، أما الخامس فإنه كتاب [ فتح الرحمن ] للأنصاري.

**أولا : تحقيقات كتاب [كشف المعاني ]**

لقد وقف الباحث على أربعة تحقيقات لكتاب [كشف المعاني] تحت يده ثلاثة منها أما الرابع فلم يقف عليه، وقد اختلفت هذه التحقيقات اختلافا طفيفا فيما بينها في عنوان الكتاب، لكنها جميعا لابن جماعة، وهي كما يلي:

١- [كشف المعاني في المتشابه من المثاني] تحقيق: الدكتور عبد الجواد خلف، رئيس جامعة الدراسات الإسلامية بباكستان، وقد طبع هذا التحقيق طبعته الأولى سنة ١٤١٠هـ-١٩٩٠م ، في مصر، المنصورة، بدار الوفاء.

---

[٣٨٢] مثل: الرد على المشبهة، والتنزيه في إبطال حجج التشبيه، وإيضاح الدليل في قطع أهل التعطيل.

[٣٨٣] مثل: نَوْر الروض، وأشار إليه الزركلي باسم [مختصر السيرة النبوية]

[٣٨٤] مثل: الطاعة في فضيلة صلاة الجماعة، حجة السلوك في مهاداة الملوك، والمقتص في فوائد تكرار القصص.

[٣٨٥] مثل: تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم، وتنقيح المناظرة في تصحيح المخابرة.

[٣٨٦] مثل: رسالة الإسطرلاب.

[٣٨٧] مثل: أرجوزة في قضاة مصر ، وأرجوزة في قضاة دمشق، وأرجوزة في الخلفاء، كما وجدت له أبياتا متنوعة الأغراض ما بين النصائح والحكم، وقد ذكر عبد الجواد خلف بعض أشعاره في تحقيقه، ص٤٢-٤٤، كما وجدت له قصيدة كاملة في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم على النت في منتدى الأصلين [ أصول الدين وأصول الفقه ] http://www.aslein.net/showthread.php?t=٣٢٤٥ ٢٠١٠/٠٧/٠٤ ، ولم أجد سبيلا للتحقق من نسبتها إليه ومنها:

يا مُصْطَفَى بَشَّرَ الرُّسُلُ الْكِرَامُ بِهِ ... يا مُرْسَلا لِجَمِيعِ النَّاسِ كُلِّهِمِ

يا أَرْفَعَ الرُّسُلِ قَدْرًا فِي مَكَانَتِهِ ... حَقًّا وَأَوْصَلَهُمْ لِذِي رَحِمِ

يا سَيِّدًا قَدْ عَلَتْ فِي الرُّسْلِ رُتْبَتُهُ ... وَحَظُّهُ فِيهِمْ مِنْ أَوْفَرِ الْقَسَمِ

٢- [كشف المعاني في المتشابه المثاني] تحقيق: مرزوق على إبراهيم، وقد طبع طبعته الأولى سنة ١٤٢٠هـ بالرياض، بدار الشريف.

٣- [كشف المعاني في متشابه المثاني] تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، وقد طبع طبعته الأولى سنة ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م، ببيروت، بدار الكتب العلمية.

وهذه التحقيقات الثلاثة تحت يدي نسخة من كل منها، أما التحقيق الرابع فقد أشار إليها محمد عدنان قيطاز في مجلة التراث العربي، ويبدو أنه لم يقف على كتاب [كشف المعاني] مطبوعا، حيث ذكر التراجم التي أشارت إلى الكتاب وقال أن الزركلي ذكر أنه مازال مخطوطا، ثم قال:

٤- "وتذكر النشرة الإخبارية عن الأنشطة العلمية الإسلامية . العدد الخامس أن السيد عبد الغفار بدر الدين قد قام بتحقيق هذا الكتاب وحصل به على الماجستير من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة سنة ١٤٠١هـ"[٣٨٨].

**ثانيا : تأثر ابن جماعة بالكرماني :**

لفت نظر الباحث أن التحقيقات الثلاثة التي بين يديه لم ينوه أحد منها إلى تأثر ابن جماعة بمن سبقه من علماء توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، ولعل أثرهم لم يظهر في كتاب كشف المعاني لقلة نقل ابن جماعة عمن سبقه سواء من المفسرين أو علماء توجيه المتشابه اللفظي. إلا أن الباحث وقف على أدلة واضحة تبرز تأثر ابن جماعة بالكرماني في كتابه [البرهان في توجيه متشابه القرآن] وظهر ذلك في أربعة أمور بارزة:

**الأمر الأول**: اختار ابن جماعة منهج الكرماني في تقسيم الآيات المتشابهات إلى مقاطع قصيرة

يتناول في كل مقطع مسألة وحيدة.

**الأمر الثاني**: الإيجاز الشديد الذي التزمه ابن جماعه في تحليل مسائل كتابه في المتشابه اللفظي،

إذ أن ذلك الإيجاز كان عمدة الكرماني في تناول أسرار التشابه اللفظي بين الآيات.

---

[٣٨٨] قيطاز، محمد عدنان، مجلة التراث العربي، دمشق العدد ٥٤ - السنة ١٤ -كانون الثاني "يناير" ١٩٩٤ - شعبان ١٤١٤

**الأمر الثالث**: منهج ابن جماعة في تناول مسائل الآيات المتشابهات لفظا؛ إذ أنه يعرض المسألة

ثم يتناولها بالتوجيه، وهذا هو نفس منهج الكرماني، والذي اختلف عن منهج كل من الإسكافي والغرناطي اللذين اعتمدا على أسلوب المناقشة والحوار مع القارئ.

**الأمر الرابع**: بعض توجيهات ابن جماعة التي تتفق معانيها وألفاظها مع توجيهات الكرماني لنفس الآيات، أمثلة ذلك ما يلي:

- في إحدى مسائل ابن جماعة في سورة البقرة قال: "مسألة: قوله تعالى:﴿ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ﴾ (البقرة٦)، وفي يس: ﴿ وَسَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ﴾ (يس١٠)، بواو العطف. جوابه أنه هنا خبر جملة اسمية، وفي [يس] جملة مستقلة معطوفة على جمل؛ فجاءت بواو العطف"[٣٨٩] ، وبالنظر في توجيه الكرماني نجد أنه قال: " وقوله: ﴿ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ﴾ (البقرة٦)، وفي يس: ﴿ وَسَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ﴾ (يس١٠)، بزيادة واو؛ لأن ما في البقرة جملة هي خبر عن اسم [ إن ] وما في [ يس ]جملة عطفت بالواو على جملة"[٣٩٠].

- وفي مسألة أخرى من مسائل ابن جماعة قال: "مسألة: قوله تعالى: ﴿ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا ﴾ (البقرة١٢٦)، وفي إبراهيم: ﴿ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ ءَامِنًا ﴾ (إبراهيم٣٥). جوابه أن آية البقرة دعا بها عند ترك إسماعيل وهاجر في الوادي قبل بناء مكة وسكنى جُرْهُم[٣٩١] فيها، وآية إبراهيم بعد عودته إليها وبنائها"[٣٩٢]. أما الكرماني فقال في توجيه الآيتين: "لأن ﴿ هذا ﴾ إشارة إلى المذكورة في قوله ﴿ بِوَادٍ غَيۡرِ ذِى زَرۡعٍ ﴾ قبل بناء الكعبة وفي إبراهيم إشارة إلى البلد بعد الكعبة"[٣٩٣]

---

[٣٨٩] ابن جماعة، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٧م، كشف المعاني، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ص١٣.

[٣٩٠] الكرماني، البرهان في توجيه متشابه القرآن، تحقيق: السيد الجميلي، ص١٥.

[٣٩١] إحدى قبائل اليمن، هاجروا إلى الحجاز وسكنوا مكة زمن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام.

[٣٩٢] ابن جماعة، كشف المعاني، تحقيق: محمد حسن، ص٢٣.

[٣٩٣] الكرماني، البرهان في توجيه متشابه القرآن ، تحقيق السيد الجميلي، ص٢٤.

- وفي مسألة ثالثة لدى ابن جماعة قال: "مسألة قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (آل عمران١٨)، ما فائدة تكرير لفظ التوحيد؟ جوابه: أن الأول مشهود به، والثاني حكم بما تمت به الشهادة، فالأول بمنزلة قيام البينة، والثاني بمنزلة الحكم"[٣٩٤] ، أما الكرماني فقال: "كرر في هذه الآية فقال: ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ لأن الأول جرى مجرى الشهادة، وأعاده ليجري الثاني مجرى الحكم"[٣٩٥]

## المطلب الرابع: منهج ابن جماعة في [كشف المعاني ] وخصائص أسلوبه:

اتسم منهج وأسلوب ابن جماعة في كتابه بما يلي:

١- سلك مسلك من سبقه من المفسرين ورجال المتشابه اللفظي في تناولهم لسور القرآن حسب ترتيبها في المصحف، ثم تناول الآي آية آية حسب ورودها في السورة، فبدأ بالبقرة فتتبع الآيات التي لها نظائر مشابهة لها لفظا، فيعرض للآية الأم، ثم ينظر فيما شابهها في السورة ذاتها، ثم في السور الأخرى بحسب ترتيبها، حتى إذا ما انتهى من البقرة انتقل إلى آل عمران فما بعدها، وقد التزم ابن جماعة هذا المنهج في التناول.

٢- لم يعتمد ابن جماعة أسلوب الخطاب والمناقشة الذي اعتمده مؤسس هذا العلم الإسكافي ثم الغرناطي، لكنه اعتمد أسلوب عرض المسألة في أسلوب خبري – غالبا – ثم يتناول توجيهها، وذاك كان منهج الكرماني كما أشرنا سلفا.

٣- التزم ابن جماعة الإيجاز الشديد في توجيه مسائل المتشابه اللفظي، لكنه كان بارعا في إيجازه؛ فرغم شدة الإيجاز إلا أن المتأمل لكلامه القليل يجد أنه استوفى

---

[٣٩٤] ابن جماعة، كشف المعاني، تحقيق: محمد حسن، ص٣٤.

[٣٩٥] الكرماني، البرهان في توجيه متشابه القرآن، تحقيق السيد الجميلي، ص٣٣

القضية حقها دون أن يخل، كما أنه رغم إيجازه فإن أسلوبه واضح ، وأفكاره في متناول فهم القارئ العادي، وألفاظه لطيفة، وتعبيراته سلسة، فلا نجد التعقيد ولا الغموض اللذين وقع فيهما الكرماني بسبب لجوئه إلى الإيجاز.

٤- لم يتناول ابن جماعة الآية ونظيرتها المشابهة لها ككل متكامل، بل إن الغالب أنه تناولها مقطعا مقطعا، أو جزئية جزئية، فلم يعرض الآية الأم ثم يعرض مسائله ثم يوجهها مسألة مسألة، فذاك كان منهج الإسكافي والغرناطي ، فتركه واختار منهج الكرماني منهج تقطيع الآيات المتشابهات مقاطع قصيرة يتناول في كل مقطع مسألة وحيدة؛ لذلك كثرت مسائله، حتى عد له عبد الجواد خلف إحدى وثمانين وأربعمئة مسألة[٣٩٦].

٥- لم يتناول ابن جماعة الحروف المقطعة في أوائل السور، ولم يذكر سبب عدم تناوله لهذه الحروف، لكن من يقف على شخصية ابن جماعة يدرك أنه تركها تحرزا من الخوض فيها، إذ التزم مذهب جمهور أهل العلم في عدم الخوض في أسرار هذه الحروف إذ أنها من المتشابه الذي لا يعلم سره إلا الله عز وجل.

٦- قد يتناول ابن جماعة الآية مفردة – دون تشابه لفظي معها – يؤولها ويبين أسرارها، وللرد على تساؤل ما حولها، من ذلك مثلا: " مسألة قوله تعالى: ﴿ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ ﴾ (المائدة٢٩)، كيف يبوء بإثمه وقد قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰ ﴾ (الأنعام١٦٤). جوابه: بإثم قتلي وإثم معاصيك في نفسك"[٣٩٧]. والمسألة رقم (١٠٨)[٣٩٨].

٧- لم ينقل ابن جماعة عن غيره إلا قليلا، وإن نقل فإنه لا يعزو نقله إلى من نقل عنه، إلا أنه كان عمدته التأمل والنظر في الآيات بنفسه، ولم يجد الباحث في

---

[٣٩٦] أما مرزوق علي إبراهيم فقد عد له ثمانين وأربعمئة مسألة فقط، راجع فهرس الآيات والمسائل في تحقيق عبد الجواد خلف، ص٤٤٣، وفهرس الآيات في تحقيق مرزوق علي إبراهيم، ص٤٣٣.

[٣٩٧] ابن جماعة، كشف المعاني، تحقيق: محمد حسن، ص٤٦.

[٣٩٨] ابن جماعة، شف المعاني، تحقيق: عبد الجواد خلف، ص١٥٠.

كتاب [كشف المعاني] عزوفا إلى كتاب ما نقل ابن جماعة منه، أو ذكرا لعالم ما أخذ عنه، إلا ما نجده من بعض هوامش تحقيق مرزوق علي إبراهيم في رده بعض الأقوال إلى أصحابها من المفسرين.

٨- اعتمد ابن جماعة في تأويله وتوجيهه لآيات المتشابه اللفظي على اللغة والنحو والسياق والتدبر والنظر فيما ترمي إليه الآيات، يقول ابن جماعة في مقدمته: "وقد استخرت الله في ذكر أجوبة ما على الخاطر منه باختصار لا غنى لفهمه عنه وأسباب الاختلاف فيما بينها"[٣٩٩]. وقد رأى عبد الجواد خلف أن ابن جماعة قد أخضع منهج الجواب على مسائله إلى مصادر ثلاثة هي: "الأول النقل، والثاني اللغة، والثالث التدبر وإمعان النظر"[٤٠٠]، إلا أن الباحث يرى أن النقل المباشر في [كشف المعاني] محدود للغاية، أو لا يكاد يوجد.

٩- تَوَسَّع ابن جماعة في عدد مسائله وعدد الآيات التي تناولها بالتوجيه، وزاد على من سبقه من علماء توجيه المتشابه اللفظي، إلا أنه مازال هناك الكثير من آيات المتشابه اللفظي لم تُوَجَّه بعد، ولا يتفق الباحث مع المحققين عبد الجواد خلف و مرزوق علي إبراهيم فيما ذهب إليه من أن ابن جماعة قد تناول كل الآيات المتشابهات بالتوجيه، قال عبد الجواد خلف: "تدل مسائله الافتراضية التي تتبعها – أي ابن جماعة – في كل سور القرآن الكريم على استيفائه لكل الآيات المتشابهة، ولهذا جاء كتابه وافيا بمسائل هذا الفن"[٤٠١]، أما مرزوق إبراهيم فقد قال: "وتناول كل المتشابه المثاني الذي ذكر في موضعين أو أكثر من سور القرآن"[٤٠٢]، وكلامهما مردود، ومن أراد التأكد فلينظر في الكتب التي عُنِيَتْ بجمع المتشابه اللفظي للحَفَظَة والْقُرَّاء، حينئذ سيعلم أن مواطن المتشابه اللفظي

[٣٩٩] المصدر السابق، ص٦٤.

[٤٠٠] المصدر السابق، ص٦٤.

[٤٠١] المصدر السابق، ص٦٣.

[٤٠٢] ابن جماعة، كشف المعاني، تحقيق مرزوق علي إبراهيم، ص٦٠.

في القرآن مازال أكثرها لم يُوَجَّه بعد[٤٠٣]. "فإن هناك نحواً من ألفي آية فيها تشابه بوجه ما قد يصل أحياناً حد التطابق أو الاختلاف في حرف واحد، أو كلمة واحدة أو اثنتين أو أكثر "[٤٠٤].

١٠- أحيانا يقدم ابن جماعة للمسألة الواحدة أكثر من جواب، ففي المسألة رقم (١١٠) للآية (١٠٩) من سورة المائدة بعد أن انتهى من جوابه الأول قال: "جواب آخر"[٤٠٥] ثم أعطى تأويلا آخر للآية. وفي المسألة رقم (٨٢) للآية (١٢٦) من سورة آل عمران أعطى لها ثلاثة تأويلات في ثلاثة أجوبة متتابعة[٤٠٦].

١١- رغم أن ابن جماعة زاد زيادات عظيمة في مسائل وآيات المتشابه اللفظي إلا أنه ترك بعض الآيات التي تناولها بعض سابقيه من علماء توجيه المتشابه، وقد رصد الباحث أنه ترك الآية (٧٣) من آل عمران، والآيات (١٣ ، ٤٧ ، ١٧٦) من سورة النساء، والآيات (٣ ، ٧ ، ٢٧ ، ٤٢) من سورة المائدة، والآيات ( ٤٦ ، ٦٥ ، ٩٠ ، ٩٩ ، ١٤١) من سورة الأنعام، والآية (٦٤) من سورة الأعراف، فقد ترك تلك الآيات ونظائرها المشابهة دون توجيه، وقد تناولها الكرماني بالتوجيه في البرهان، ولم يُخْصِ الباحث ما تركه ابن جماعة، وإنما لفتَ نظره ذلك، وأراد التأكيد على أنه لم يتناول كل آيات المتشابه اللفظي ردا على مُحَقِّقَيْ كتاب كشف المعاني.

١٢- أحيانا يؤخر توجيه مسألة متقدمة إلى سورة متأخرة، ويشير إلى ذلك، كما نجده يشير إلى المسائل المتأخرة التي سبق تناولها في سورة متقدمة، ففي المسألة رقم

---

[٤٠٣] وليس أدل على أن ابن جماعة لم يحط بمواطن المتشابه اللفظي في القرآن ما ذكره في المسألة رقم (١٤) في قول الله تعالى: ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ ﴾ إذ قال: " وكذلك في جميع القرآن قدم السمع على البصر" فرد عليه عبد الجواد خلف في الهامش قائلا: " الأولى أن يقول: في غالب القرآن؛ لأن اجتماع السمع مع البصر جاء في تسعة عشر موضعا في كتاب الله تعالى قدم فيها السمع في أربعة عشر موضعا وأخره في خمسة مواضع". راجع: ابن جماعة، كشف المعاني، تحقيق: عبد الجواد خلف، ص٩٨-٩٩.

[٤٠٤] عبد الرحمن ابن عبد الخالق ، القواعد الذهبية في حفظ القرآن وتدبره ، ص١٥ ، ويمكن تصفحه في: http://bookstree.com/books/6/6.htm

[٤٠٥] ابن جماعة، كشف المعاني، تحقيق: عبد الجواد خلف، ص١٥١.

[٤٠٦] المصدر السابق، ص١٣٢

(٣٢) للآية (٦١) من سورة البقرة، جمع إليها الآية (٥١) من سورة غافر، ثم قال: "جوابه في سورة غافر"[٤٠٧]. وحين وصل إلى المسألة (٩٩) للآية (٨) من المائدة قال: "تقدم قريبا في النساء"[٤٠٨].

١٣- ترك ابن جماعة عددا كثيرا من السور لم يقف عندها لتوجيه ما تضمنته من آيات المتشابه اللفظي، وقد ترك سورا تناولها من سبقوه فقد أحصى الباحث ثلاثين سورة وقف عندها الكرماني، وتناول المتشابه اللفظي فيها، أما ابن جماعة فقد سكت عنها ولم يقف عندها، وهذه السور هي: الحجرات، والطور، والطلاق، والتحريم، والقلم، والجن، والمرسلات، والانفطار، والمطففين، والبروج، والطارق، والأعلى، والغاشية، والفجر، والبلد، والشمس، والضحى، والقدر، والبينة، والزلزلة، والقارعة، والعصر، والهمزة، الفيل، وقريش، والماعون، الكوثر، والنصر، والمسد، والإخلاص.

١٤- على الرغم من الإيجاز الشديد الذي التزمه ابن جماعة منهجا في كتابه إلا أننا نجده يتناول بعض القضايا الفقهية، من ذلك "المسألة رقم (٩١) قوله تعالى: ﴿ فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُمۡ ﴾ (النساء٤٣)، وقال في المائدة: ﴿ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُ ﴾ (المائدة٦). جوابه: لما تقدم في المائدة تفصيل الوضوء وتفصيل واجباته ناسب ذكر واجبات التيمم بقوله ﴿ مِّنۡه ﴾، وأن إيصال بعضه بالبدن شرط. وآية النساء جاءت تبعا للنهي عن قربان الصلاة مع شغل الذهن، فناسب حذفه"[٤٠٩]. كما نجده ينقد آراء بعض المفسرين – دون تحديد – قائلا: " والعجب كل العجب من عدة من المفسرين يذكرون هنا أن بني إسرائيل عادوا إلى مصر بعد غرق فرعون وهو غفلة عما دل عليه القرآن والأخبار والتواريخ من

[٤٠٧] المصدر السابق، ص٩٩.
[٤٠٨] المصدر السابق، ١٤٥.
[٤٠٩] المصدر السابق، ص١٣٨.

انتقالهم إلى الشام بعد تجاوز البحر، وأمر التيه، وموت هارون وموسى – عليهما السلام – في التيه"[٤١٠].

[٤١٠] المصدر السابق، ٣٣٦.

## المبحث الرابع:

## فتح الرحمن للأنصاري نقل وتجديد

**تمهيد:**

يعد الشيخ زكريا الأنصاري آخر حَبَّات عُقْد علماء توجيه المتشابه اللفظي القدامى، إذ توقف البحث في هذا العلم [توجيه المتشابه اللفظي في القرآن] حتى عصرنا الحديث، فلا نكاد نجد أو نسمع أحدا خصَّ هذا العلم بالبحث بعد الأنصاري، حتى جاء بعض أساتذة العصر الحديث، فأحيوا كتب المتقدمين في هذا العلم بطباعتها ونشرها، ومن ثَمَّ التفتَ إليه عددٌ – مازال قليلا– من علماء عصرنا، فنظروا في هذه الكتب، وأخذوا يرفعون البناء.

### المطلب الأول: السيرة الذاتية للأنصاري

لقد ترجم موسى مسعود لشخصية الأنصاري ترجمة وافية في بحثه [الماجستير] والذي كان تحقيقا لكتاب الأنصاري [إعراب القرآن العظيم][٤١١]، وقد ألمح موسى إلى أنه اعتمد في ترجمته للأنصاري على تحقيق الدكتور مازن المبارك لكتاب الأنصاري [الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة][٤١٢].

وسوف يعرض الباحث هنا سيرته في إيجاز من خلال كتب التراجم، ثم يُعَرِّج على كتاب الأنصاري [فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن] للوقوف على منهجه وخصائص أسلوبه.

#### أولا: نسبه[٤١٣]:

---

[٤١١] الأنصاري، زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م ، بحث ماجستير بعنوان : [ إعراب القرآن العظيم ، المنسوب للعلامة شيخ الإسلام زكريا الأنصاري، دراسة وتحقيق ] ، إعداد: موسى علي موسى مسعود، جامعة القاهرة ،كلية دار العلوم ، قسم النحو والصرف والعروض، ص٢-٢٦

[٤١٢] الأنصاري، زكريا بن محمد، ١٤١١هـ- ١٩٩١م، الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة، تحقيق: مازن المبارك، ط١، بيروت، در الفكر المعاصر، ص٩- ١٧

[٤١٣] اعتمد الباحث في الترجمة لنسب الأنصاري ومولده ونشأته ووفاته على المصادر الآتية: الأعلام ، للزركلي، ١٩٨٠م، ط٥، بيروت، دار العلم للملايين، ج ٣، ص٤٦ / الشوكاني، البدر الطالع، ج١، ص٢٣٩ / معجم المؤلفين، عمر كحالة، بيروت، مكتبة المثنى ، ودار إحياء التراث العربي، ج٤، ص١٨٢ / فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمسلسلات، ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م، الكتاني، عبد الحي بن عبد الكبير، تحقيق: إحسان عباس، ط٢، دار الغرب الإسلامي، ج١، ص٤٥٨ / النجم الغزي، الكواكب السائرة، ج١، ص١٥٢-١٥٣

هو شيخ الإسلام ، قاضي القضاة، زين الدين[٤١٤]، أبو يحيى[٤١٥] زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا بن رداد بن حميد بن أسامة بن عبد الولي الشافعي[٤١٦] الأنصاري[٤١٧].

**ثانيا: حياته [مولده ووفاته]**

ولد الأنصاري في قرية [سُنَيْكَة][٤١٨] في محافظة الشرقية بمصر، سنة [ثلاث[٤١٩] أو أربع[٤٢٠] أو ست[٤٢١]] وعشرين وثمانئة من الهجرة، وتوفي -رحمه الله- يوم الأربعاء الثالث من شهر ذي الحجة سنة خمس[٤٢٢] أو ست وعشرين وتسعمائة[٤٢٣]

**ثالثا مكانته العلمية:**

يمكننا الوقوف على مكانة الأنصاري العلمية من خلال ما يلي:

١- **دلالة ألقابه** : لعل الألقاب التي أسندت للأنصاري تشهد له شهادة بارزة على مكانته العلمية الرفيعة، فقد لقب بـ [شيخ الإسلام] ، وذاك لقب لا يطلق جزافا على أي أحد، كما أن هذا اللقب ليس وساما يمنحه الملك أو السلطان على من يختارونه، وإنما هو لقب ووسام لا يحوزه إلا من بلغ في العلم والخلق مبلغا رفيعا أَهَلَّه لأَنْ يُضْفِي عليه الناس خاصتهم وعامتهم هذا اللقب، فلقب شيخ الإسلام وسام

---

[٤١٤] اجتمع مثل هذه الألقاب الثلاثة لابن جماعة – رحمه الله – فقد عرف بشيخ الإسلام قاضي القضاة بدر الدين ابن جماعة.

[٤١٥] ويحيى أكبر أبنائه وكني به، وتوفي في حياة أبيه سنة ٨٩٧هـ

[٤١٦] نسبة إلى الإمام الشافعي، إذ أنه أحد أعمدة المذهب الشافعي.

[٤١٧] نسبة إلى الأنصار في المدينة النبوية، حيث ينتسب الشيخ زكريا إلى الخزرج.

[٤١٨] ذكر موسى مسعود في تحقيقه أن هذه القرية تسمى الآن [الحلمية] بمركز بلبيس وبها مسجد كبير باسم الشيخ، ومعهد أزهري باسمه ومقام له مشهور هناك. راجع: الأنصاري، إعراب القرآن العظيم، تحقيق موسى مسعود، ص٤.

[٤١٩] الأعلام، الزركلي، ج ٣، ص٤٦.

[٤٢٠] السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، ١٩٢٧م، نظم العقيان، تحرير: فيليب حتي، نيويورك ، المطبعة السورية الأمريكية، توزيع دار الكتب العلمية بيروت ص١١٣

[٤٢١] الشوكاني، البدر الطالع ج١، ص٢٣٩ / معجم المؤلفين، عمر كحالة، ج٤، ص١٨٢ / فهرس الفهارس، الكتاني، ج١، ص٤٥٨.

[٤٢٢] ابن العماد، شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي الدمشقي، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط ، ومحمود الأرناؤوط، ط١، بيروت، دار ابن كثير، ج١٠، ص١٨٦- ١٨٧.

[٤٢٣] الشوكاني، البدر الطالع ج١، ص٢٣٩ / معجم المؤلفين، عمر كحالة، ج٤، ص١٨٢ / فهرس الفهارس، الكتاني، ج١، ص٤٥٨، إلا أن الشوكاني قال: "وعمر حتى جاوز المائة أو قاربها، ومات في يوم الجمعة رابع ذي الحجة سنة ٩٢٦"، راجع البدر الطالع، ج١، ص٢٣٩/ وذهب ابن العماد في الشذرات إلى ما ذهب إليه الشوكاني، راجع الشذرات، ص١٨٦.

يضعه المجتمع على صدر من تحققت فيه الجدارة له، والباحث في كتب التراجم يأخذه العجب من كثرة العلوم التي برع فيها الأنصاري، وصفه عمر كحالة قائلا: "عالم مشارك في الفقه، والفرائض، والتفسير، والقراءات، والتجويد، والحديث، والتصوف، والنحو، والتصريف، والمنطق والجدل"[٤٢٤]. أما اللقب الثاني فهو [قاضي القضاة]، وتلك رتبة تعلو كل الرتب الشرفية والعلمية والعملية، فلا يمكن أن ينزل الأنصاري هذه الرتبة إلا وقد تحققت فيه شروطها العلم والفقه والخلق والفطنة وغير ذلك من الصفات الواجب توافرها في القاضي، بل قاضي القضاة.

٢- **المناصب التي تبوأها**: لقد كانت المكانة العلمية الرفيعة سببا في أن يتبوأ الأنصاري أرفع

المناصب وأشرفها، فتولى التدريس في العديد من المدارس وتولى مشيخة الصوفية، ونِظَارة الأوقاف، والخطابة، إذ تولى الخطابة في مسجد السلطان قايتباي الذي كان يصلي فيه السلطان وكان يصارحه في خطبته بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما تولى الإفتاء، كما رقي منصب قاضي القضاة لزمن طويل[٤٢٥].

٣- **ثناء العلماء عليه**: أثنى على الأنصاري العديد من العلماء الذين عاصروه، وطلابه، والذين ترجموا له فمن ذلك:

أ- قال عنه الشوكاني في ترجمته: "وقرأ في جميع الفنون وأذن له شيوخه بالإفتاء والتدريس وتصدر وأفتى وأقرأ وصنف التصانيف ... وله شروح ومختصرات في كل فن من الفنون انتفع الناس بها وتنافسوا فيها ... واشتهرت مصنفاته وكثرت تلامذته وألحق الأحفاد بالأجداد"[٤٢٦].

---

[٤٢٤] عمر كحالة، معجم المؤلفين، ج٤، ص١٨٢.

[٤٢٥] أشار الشوكاني وابن العماد إلى الأعمال التي قام عليها الأنصاري في ثنايا ترجمتهم له راجع: البدر الطالع، ج١، ص ٢٣٩ / وشذرات الذهب، ج١٠، ص١٨٦.

[٤٢٦] الشوكاني، البدر الطالع، ج١، ص٢٩٣.

ب- قال عنه السيوطي: "وبرع وتفنن، وسلك طريق التصوف ولزم الجد والاجتهاد في القلم والعلم والعمل. وأقبل على نفع الناس إقراء وإفتاء وتصنيفاً مع الدين المتين، وترك ما لا يعنيه، وشدة التواضع، ولين الجانب، وضبط اللسان والسكوت"[٤٢٧]

ت- وصفه تلميذه ابن حجر الهيتمي قائلا: " أَجَلُّ من وقع عليه بصري من العلماء العاملين، والأئمة الوارثين، وأعلى من عنه رَوَيْتُ ودَرَيْت، من الفقهاء، الحكماء، المهندسين، فهو عمدة العلماء الأعلام، وحجة الله على الأنام، حامل لواء المذهب الشافعي على كاهله، ومحرر مشكلاته، وكاشف عويصاته في بِكْره وأصائله، ملحق الأحفاد بالأجداد المتفرد في زمنه بعلو الإسناد، كيف ولم يوجد في عصره إلا من أخذ عنه مشافهة أو بواسطة أو بوسائط متعددة"[٤٢٨].

ث- قال عنه تلميذه الشعراني[٤٢٩]: "وقد خدمته عشرين سنة فما رأيته قط في غفلة ولا اشتغال بما لا يعنى لا ليلا ولا نهاراً، وكان ﷺ مع كبر سنه يصلي سنن الفرائض قائماً، ويقول لا أعود نفسي الكسل"[٤٣٠]

ج- وصفه صاحب الكواكب السائرة: " الشيخ الإمام، شيخ مشايخ الإسلام، علامة المحققين، وفهامة المدققين، ولسان المتكلمين، وسيد الفقهاء والمحدثين، الحافظ المخصوص بعلو الإسناد، والملحق للأحفاد بالأجداد، العالم، العامل، والولي الكامل، الجامع بين الشريعة والحقيقة، والسالك إلى الله تعالى أقوم مسالك الطريقة"[٤٣١]

---

[٤٢٧] السيوطي، نظم العقيان، ص٣١١.

[٤٢٨] ابن العماد، شذرات الذهب، ج١٠، ص١٨٧ / وفهرس الفهارس، ج١، ص٤٥٨.

[٤٢٩] يجد الباحث في طبقات الشعراني شيئا كثيرا من أساطير المتصوفة، ومن ذلك ما ذكره على لسان شيخه زكريا الأنصاري: " وقال لي: كان أخي الشيخ علي النبتيتي يجتمع بالخضر عليه السلام، فباسطه يوماً في الكلام فقال: للخضر عليه السلام ما تقول في الشيخ يحيى المناوي فقال: لا بأس به فقال: ما تقول: في فلان ما، تقول في فلان، ما تقول في الشيخ زكريا فقال: لا بأس به إلا أن عنده نفيسة، فلما أرسل لي أخي الشيخ علي الضرير بذلك ضاقت على نفسي، وما عرفت الذي أشار إليه بالنفيسة، فأرسلت إلى سيدي علي البتيتي الضرير، فقلت له: إن اجتمعت بالخضر، فاسأله من فضلك على ما أشار إليه بالنفيسة فلم يجتمع به مدة تسع شهور فلما اجتمع به سأله، فقال له إذا أرسل تلميذه أو قاصده إلى أحد من الأمراء يقول له: قال: الشيخ زكريا كيت، وكيت فيلقب بالشيخ فلما أرسل لي الشيخ بذلك فكأنه حط عن ظهري جبلا، وصرت أقول للقاصد إذا أرسلته إلى أحد من الأمراء، والوزراء قل: للأمير أو الوزير يقول لك: زكريا خادم الفقراء كذا، وكذا" وغير ذلك مما لا يتسع المقام. راجع: الشعراني، الطبقات الكبرى، ج١، ص٣٥١- ٣٥٢.

[٤٣٠] الشعراني، الطبقات الكبرى، ج١، ص٣٥٠.

[٤٣١] النجم الغزي، الكواكب السائرة، ج١، ص١٥٢- ١٥٣.

٤- **مصنفاته:** تعد مصنفات الأنصاري أعظم ما يشهد له على تفرده وعلو كعبه فوق أقرانه

جميعا، فقد أحصى له مازن المبارك ٧٤ مصنفا[٤٣٢]، بينما أحصى له موسى مسعود ٨٣ مصنفا[٤٣٣]، وبالنظر في هذه المصنفات، نكاد لا نجد فنا من الفنون إلا وصنف فيه الأنصاري، ويعلق الشوكاني على مصنفاته قائلا: "وله شروح ومختصرات فى كل فن من الفنون انتفع الناس بها وتنافسوا فيها"[٤٣٤]، فنجد له يدا طولى في شتى العلوم، فصنف في التفسير[٤٣٥]، وفي الحديث[٤٣٦]، والفقه[٤٣٧]، وأصول الفقه[٤٣٨]، القراءات والتجويد[٤٣٩]، والعقيدة[٤٤٠]، والفرائض[٤٤١]، والمنطق[٤٤٢]، والتصوف[٤٤٣]، والأدب والبلاغة[٤٤٤]، والنحو[٤٤٥]، والصرف[٤٤٦]، والشعر[٤٤٧]، وأصول الآداب والتعلم[٤٤٨]، والحساب والجبر[٤٤٩]. وقد حقق مازن المبارك وموسى مسعود من كتب التراجم نسبة الكتب التي صنفها الأنصاري، وكانا هما - مازن المبارك، وموسى مسعود- عمدة الباحث في المصنفات التي أشار إليها سابقا أسفل الهامش.

## المطلب الثاني: التعريف بكتاب [ فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن ]:

### أولا : الدراسات التي عُقِدَت حول الكتاب:

---

[٤٣٢] الأنصاري، زكريا، الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة، تحقيق: مازن المبارك، ص١٩-٤٦.

[٤٣٣] الأنصاري، زكريا، إعراب القرآن العظيم، تحقيق: موسى مسعود، ص١٤-٢٣.

[٤٣٤] الشوكاني، البدر الطالع، ج١، ص٢٣٩.

[٤٣٥] كإعراب القرآن العظيم، وفتح الرحمن بكشف ما يلتبس من القرآن ، وفتح الجليل ببيان خفي أنوار التنزيل.

[٤٣٦] كتحفة الباري بشرح صحيح البخاري، وشرح الأربعين النووية، وشرح صحيح مسلم، فتح الباقي بشرح ألفية العراقي.

[٤٣٧] كالفتاوى [ مجموع فتاوى في فقه الشافعي]، والغرر البهية في شرح البهجة الوردية، فتح الوهاب بشرح منهج الطلاب، منهج الطلاب في الفقه الشافعي.

[٤٣٨] كشرح منهاج الوصول إلى علم الأصول، والحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة، حاشية على شرح جمع الجوامع في أصول الفقه.

[٤٣٩] كتلخيص تقريب النشر في القراءات العشر، والدقائق المحكمة في شرح المقدمة، وتحفة نجباء العصر في أحكام النون الساكنة والتنوين والمد والقصر.

[٤٤٠] كفتح الإله الماجد بإيضاح شرح العقائد، ولوامع الأفكار في شرح طوالع الأنوار، وفتح الرحمن بشرح رسالة المولى أرسلان.

[٤٤١] كغاية الوصول في شرح علم الفصول في الفرائض، الفتحة الأنسية لغلق التحفة القدسية، منهج الوصول إلى علم الفصول.

[٤٤٢] كشرح إيساغوجي في المنطق، شرح الشمسية (منظومة في المنطق).

[٤٤٣] كرسالة في اصطلاحات الصوفية، وحاشية على التلويح في كشف حقائق التنقيح، والفتوحات الإلهية في نفع أرواح الذوات الإنسانية.

[٤٤٤] كأقصى الأماني في علم البيان والبديع والمعاني، الزبدة الرائقة في شرح البردة الفائقة ( بردة البوصيري)

[٤٤٥] كبلوغ الأرب بشرح شذور الذهب، والدرر السنية على شرح الألفية.

[٤٤٦] كالمناهج الكافية في شرح الشافية ( شافية ابن الحاجب في علم الصرف).

[٤٤٧] له ديوان شعر أورد منه المترجمون بعض قصائده.

[٤٤٨] كفتح الوهاب بشرح الآداب، واللؤلؤ النظيم في روم التعلم والتعليم، مختصر أدب القضاء للغزي.

[٤٤٩] كفتح المبدع في شرح المقنع (كتاب في الحساب والرياضيات والجبر).

١- نشر كتاب [فتح الرحمن] قديما دون تحقيق على هامش تفسير [السراج المنير] للخطيب الشربيني، ولم يقف الباحث على هذه الطبعة لكن يوجد إشارات إليها في أكثر من موضع على النت[٤٥٠]

٢- تحقيق: محمد علي الصابوني، طبع طبعته الأولى بدار القرآن الكريم في بيروت لبنان سنة ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م، وذكر عبد الرحمن الشهري المشرف العام على [ملتقى أهل التفسير] على شبكة النت أنه طبع بدار القرآن بالرياض سنة ١٤٠٣هـ ، لكن الطبعة التي بين يدي الباحث لدار القرآن ببيروت وفي نفس السنة، ولا أعلم أهما طبعتان في مكانين مختلفين في سنة واحدة أم أنه سهو من الشهري[٤٥١].

٣- تحقيق: عبد السميع محمد أحمد حسنين ، وكان هذا التحقيق موضوع أطروحته للماجستير في كلية أصول الدين بجامعة الأزهر، وقد طبع طبعته الأولى عام ١٤٠٤هـ بمكتبة الرياض الحديثة. وقال الشهري عنه: وقد قدم المحقق لتحقيقه بمقدمة دراسية قيمة عن المؤلف والكتاب، بلغت صفحات هذه الدراسة ١٣٤ صفحة، وقد اشتملت هذه الدراسة على تعريف وافٍ بالمؤلف، وسيرته، ومؤلفاته، وشيوخه، وتلاميذه، ثم تعريف بالكتاب، ومنهجه، وقيمته العلمية، ومصادره التي اعتمد عليها. ولم يقف الباحث على هذا التحقيق[٤٥٢].

٤- تحقيق قام عليه كل من: الدكتور: السيد الجميلي والدكتور: أحمد السايح، وقد طبع هذا التحقيق طبعته الأولى في مركز الكتاب للنشر بالقاهرة سنة ١٩٩٩م. وتحت يد الباحث نسخة مطبوعة منه.

## ثانيا : أثر السابقين في كتاب [فتح الرحمن]:

[٤٥٠] الشهري، عبد الرحمن، المشرف العام على ملتقى أهل التفسير، على هذا الرابط: http://www.tafsir.net/vb/showthread.php?p=٥٤٩٨٧ ٢٠١٠/٠٥/١٥

[٤٥١] راجع الرابط السابق.

[٤٥٢] راجع الرابط السابق.

لعل التأثر بالسابقين من علماء توجيه المتشابه اللفظي في القرآن هو أبرز ملامح كتاب [فتح الرحمن] وقد صرح الأنصاري بذلك في مقدمة كتابه قال: "جمعتُه من كلام العلماء المحققين، ما فَتح اللَّهُ به من فيضِ فضلِه المتين، وسميته بـ : "فتحُ الرحمن بكشف ما يَلْتبسُ في القرآن"[٤٥٣]، وقد أفاد الأنصاري إفادة كبيرة من كتب السابقين في باب المتشابه اللفظي.

"ولعل أهم الكتب التي عوَّل عليها الإمام الأنصاري في تصنيف هذا الكتاب: كتاب [درة التنزيل وغرة التأويل] للإسكافي، ثم كتاب [البرهان في توجيه متشابه القرآن] لتاج القراء الكرماني، ولعل أكثر هذه الكتب اعتمادا عليها في تزويد هذا السفر الممتع هو كتاب [البرهان] للكرماني"[٤٥٤]، إلا أنه إذا كان الأنصاري قد نقل عن السابقين وأكثر من النقل، فإنه قد أضاف إضافات كثيرة، وتوسع في المسائل توسعا كبيرا، وزادت مسائله عمن سبقه زيادات كثيرة، وأتى بما لم يأت به من سبق في هذا الباب.

## المطلب الثالث: منهج [فتح الرحمن] وخصائص أسلوبه:

لقد رمى الأنصاري بكتابه [فتح الرحمن] إلى ما رمى إليه السابقون، ألا وهو بيان أسرار المتشابه اللفظي، وكشف غموضه، قال: "فهذا مختصرٌ في ذكر آيات القرآن المتشابهات، المختلفةِ بزيادةٍ، أو تقديمٍ، أو إبدال حرفٍ بآخر، أو غيرِ ذلك مع بيان سبب تكراره"[٤٥٥]

وبالبحث في كتاب [فتح الرحمن] والنظر في منهجه وأسلوبه وقف الباحث على ما يلي:

١- تابع الأنصاري منهج السابقين في عدة أمور:

**الأول**: التزام منهج المفسرين في تناولهم لسور القرآن حسب ترتيبها في المصحف، ثم تناول الآي آية آية حسب ورودها في السورة، فبدأ بالبقرة فتتبع الآيات التي لها نظائر مشابهة لها لفظا، فيعرض للآية الأم، ثم ينظر فيما شابهها في السورة ذاتها، ثم في السور الأخرى بحسب ترتيبها، حتى إذا ما انتهى من البقرة انتقل إلى آل عمران فما بعدها، وسار الأنصاري على درب السابقين في هذا المنهج.

---

[٤٥٣] الأنصاري، زكريا، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م ، فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، تحقيق: محمد علي الصابوني، ط١، بيروت، دار القرآن الكريم، ص٨

[٤٥٤] الأنصاري، زكريا، ١٩٩٩م، فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، تحقيق: سيد السيد الجميلي و أحمد السايح، ط١، مصر، مركز الكتاب للنشر، ص٩

[٤٥٥] الأنصاري، زكريا، فتح الرحمن، تحقيق: محمد علي الصابوني، ص٨

**الثاني**: انتهج الأنصاري أسلوب المناقشة والحوار مع القارئ، وذاك المنهج ابتكره الإسكافي وتبعه الغرناطي، ومن ذلك المسألة رقم (١٨) في قول الله تعالى: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ﴾ (البقرة٢٤)، قال: "إن قلتَ : كيف عرَّف النَّار هنا، ونكَّرها في التحريم؟
قلتُ : لأن الخطاب في هذه مع المنافقين ، وهم في أسفل النَّار المحيطة بهم ، فعُرِّفت بلام الاستغراق، أو العهد الذهني، وفي تلك مع المؤمنين، والذي يُعذَّب من عصاتهم بالنَّار، يكون في جزءٍ من أعلاها، فناسب تنكيرها لتقليلها"[٤٥٦]، وهذا هو الأسلوب الذي التزمه الأنصاري في كل مسائل كتابه بداية من الفاتحة وحتى الناس.

**الثالث**: اختار الأنصاري منهج الكرماني في تقسيم الآيات المتشابهات إلى مقاطع قصيرة وإثارة
مسألة وحيدة – غالبا – في كل مقطع، ويتميز هذا المنهج بسرعة إلمام القارئ بالمسألة موضع التوجيه، إذا لن ينشغل ذهنه بغيرها من المسائل.

٢- الإيجاز الشديد، حيث لم يَبْسُط الأنصاري الكلام في توجيه الآيات، وقد تابع في ذلك الكرماني في كتابه البرهان، إلا أن الأنصاري لم يقع في الغموض والإخلال الذي وقع في بعض توجيهات الكرماني، إذ أن أسلوب الأنصاري رغم الإيجاز الشديد إلا أنه قريب المعاني، سهل، يسير الفهم.

٣- يرى عدم الخوض في الحروف المقطعة أوائل السور إذ إنها من المتشابه ففي المسألة رقم (٥) – وهي الأولى في سورة البقرة – بعد أن ذكر بعض الحروف المقطعة في أوائل بعض السور قال: "واعلم أن حرف الهجاء في أوائل السور من المتشابه الذي استأثر اللهُ بعلمه ، وهي سِرُّ القرآن، وفائدة ذكرها طلبُ الإيمان بها"[٤٥٧].

٤- اعتمد الأنصاري في توجيهه لآيات المتشابه اللفظي على أربعة أسس هي: اللغة والنحو والبلاغة والسياق، وقد نجده أحيانا يوجه الآية توجيها نحويا فقط، مثال

[٤٥٦] الأنصاري، زكريا، فتح الرحمن، تحقيق السيد الجميلي ، وأحمد السايح، ص١٨
[٤٥٧] المصدر السابق، ص١٥.

ذلك: " قول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤۡمِنَّ ﴾ (البقرة٢٢١)، بفتح التَّاء هنا، وبضمها في قوله: ﴿ وَلَا تُنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ (البقرة٢٢١)؛ لأن الأول من [نَكَحَ] وهو يتعدَّى إلى مفعول واحد، والثاني من [أَنْكَحَ] وهو يتعدَّى إلى اثنين، الأول في الآية [المشركين]، والثاني محذوفٌ وهو [المؤمنات]"[٤٥٨]، فإنه وإن اعتمد على النحو فقط في توجيه هذه المسألة إلا أنه اعتمد الأسس الأربعة اللغة والنحو والبلاغة والسياق في توجيه أكثر مسائله.

٥- الكتاب لم يقتصر على توجيه الآيات المتشابهات لفظا، بل إن يؤول آيات أخرى كثيرة يبين أسرارها دون أن يعرض نظيرا مشابها لها، وذلك كثير في [فتح الرحمن] فقد أحصى الباحث ١٢٦ مسألة في سورة البقرة، نصفها - ٦٣ مسألة - توجيه وتأويل لآيات ليست من المتشابه اللفظي[٤٥٩]، وفي الأنفال ١٩ مسألة، اثنتان فقط من المتشابه اللفظي، والباقي آيات ليست منه[٤٦٠]، وتلك سمة عامة غالبة، وهذا لا يعنى أن آيات المتشابه اللفظي قليلة، بل على العكس من ذلك فإنها كثيرة، بل إن مسائل المتشابه اللفظي التي تناولها ووجهها الأنصاري زادت على كل من سبقه من علماء توجيه المتشابه اللفظي، ففي البقرة وجّه الأنصاري ٦٣ موضعا من مواضع المتشابه اللفظي في السورة ، في حين أن الكرماني قد وجّه ٤٦ موضعا منها[٤٦١]، والغرناطي وجّه ٤٠ موضعا[٤٦٢]، والإسكافي وجّه ٢٣ موضعا[٤٦٣].

٦- قد يؤول ويوجه الآية ذات النظائر والمتشابهات لفظا، لكنه لا يلتفت إلى أخواتها، مثال ذلك في المسألة (١١٦): قول الله تعالى: " ﴿ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن

[٤٥٨] المصدر السابق، ص٣٧

[٤٥٩] المصدر السابق، ص١٥- ٤٥

[٤٦٠] المصدر السابق، ص١١٧ - ١٢١

[٤٦١] الكرماني، البرهان، تحقيق: السيد الجميلي، ص١٥٥- ٣٢

[٤٦٢] الغرناطي، ملاك التأويل، تحقيق: عبد الغني الفاسي، ص٢٢- ٧٥

[٤٦٣] الإسكافي، درة التنزيل، ص٥- ٣٠

سَيِّـَٔاتِكُمۡ ﴾ (البقرة٢٧١)، ذكر ﴿من﴾ هنا خاصة موافقة لما بعدها في ثلاث آيات، ولأن الصدقات لا تكفر جميع السيئات"[٤٦٤]، فقد وجَّه إثبات [من] في آية البقرة ولم يوجه عدم إثباتها في الآيات المشابهة في [النساء ٣١، والأنفال ٢٩، والتحريم ٨].

٧- يقدم الأنصاري أحيانا أكثر من تأويل للآية الواحدة، مثال ذلك المسألة رقم (٤١٨): " قول الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ (التوبة٣٤)، أفرد الضمير مع تقدم اثنين ﴿ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ ﴾ نظرا إلى عودة الضمير إلى الفضة لقربها، ولأنها أكثر من الذهب. أو إلى عودة إلى المعنى، لأن المذكور دراهم ودنانير، ونظيره قوله: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ ﴾ "[٤٦٥] وفي المسألة التالية رقم (٤١٩) قدم أيضا توجيهين للآية (٣٦) من التوبة[٤٦٦].

٨- رغم توسع وإضافات الأنصاري في مسائل المتشابه اللفظي، إلا أن هذا لا يعني أنه قد أحاط بكل مواطن المتشابه اللفظي في القرآن، فمازال أكثر مواطن المتشابه اللفظي لم توجه بعد، وكتب المتشابه اللفظي التي صُنِّفَت للحفظة والْقُرَّاء أعظم شاهد على ذلك، كما لاحظ الباحث أن الأنصاري أغفل بعض مواطن المتشابه اللفظي التي تناولها بعض السابقين بالتوجيه، ومن أمثلة ذلك: ترك آية النساء (١٣٥) ونظيرتها المشابهة في المائدة (٨)، وترك آية النساء (١٢٧) ونظيرتها في النساء (١٧٦)، وترك توجيه التشابه في آيتي الأنعام (١٢) و (٢٠) ، وترك توجيه فاصلتي آيتي الأنعام المتتابعتين (٩٧) و (٩٨)، وترك آية الأنعام (١٠٢) ونظيرتها المشابهة في غافر (٦٢)، وفي سورة القمر لم يوجّه الأنصاري

[٤٦٤] الأنصاري، زكريا، فتح الرحمن، تحقيق السيد الجميلي ، وأحمد السايح، ص٣٩

[٤٦٥] المصدر السابق، ص١٢٣

[٤٦٦] المصدر السابق، ص١٢٤

الآيات التي تكررت فيها مرارا، وتلك بعض نماذج وأمثلة، فلم يحص الباحث كل ما تركه الأنصاري مما تناوله السابقون.

٩- نقل الأنصاري كثيرا عمن سبقوا، لكنه لم يعزُ أكثر ما نقل إلى المصادر التي أخذ عنها، فنجده قد نقل مقاطع كثيرة بنصها من كتاب [البرهان] للكرماني دون الإشارة، ومن ذلك مثلا توجيه المسألة رقم (٢٩) في سورة البقرة "قول الله تعالى: ﴿ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴾ (البقرة٥٧)، وفي الأعراف (١٦٠) وقال في آل عمران: ﴿ وَلَٰكِنۡ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴾ (آل عمران١١٧)؛ لأن ما في السورتين إخبار عن قوم ماتوا وانقرضوا، وما في آل عمران مَثَلٌ"[٤٦٧] هذا لفظ الكرماني، وفي [فتح الرحمن] وجه الأنصاري هذه الآيات قائلا: "لأن ما في السورتين إخبار عن قوم ماتوا وانقرضوا، فناسب ذكرها، وما في آل عمران مَثَلٌ"[٤٦٨] وتلك كانت عادة القدامى، إذ لا بأسبه عندهم، وقد أشار الأنصاري في مقدمة كتابه أنه جمع [فتح الرحمن] عمن سبقوه، ويعلق محققا كتاب الأنصاري على ذلك قائلين: "فقد نقل الإمام الأنصاري ما ينيف على ثلاثة أرباع مسائل الكرماني بأعيانها وضمنها كتابه بنفس السياق والأسلوب من غير إشارة أو ذكر لسبق الكرماني في ذلك – وهكذا كانت عادتهم قديما – لكن مما هو جدير بالذكر أن الأنصاري توسع في الكثير منها وأضاف إليها إضافات كثيرة من وحي خاطره"[٤٦٩]

١٠- استعان الأنصاري بالكثير من العلوم في توجيه الآيات فنجده يتناول قضايا نحوية[٤٧٠]، وفقهية[٤٧١]، لكن دون إسهاب، كما نجده يعتمد في تأويله على أسباب النزول[٤٧٢]، والناسخ والمنسوخ[٤٧٣]، والقراءات[٤٧٤]، والفرائض[٤٧٥]، والسيرة[٤٧٦].

---

[٤٦٧] الكرماني، البرهان، تحقيق: السيد الجميلي، ص٢٠

[٤٦٨] الأنصاري، زكريا، فتح الرحمن، تحقيق: السيد الجميلي، وأحمد السايح، ص٢١

[٤٦٩] المصدر السابق، ص١٠.

[٤٧٠] راجع: المصدر السابق المسألة رقم (٦٤) ص٢٩.

[٤٧١] راجع: المصدر السابق، المسألة رقم (١٩٨)، ص٦٤.

[٤٧٢] راجع: المصدر السابق، المسألة رقم (٥٢) ، ص٢٦.

[٤٧٣] راجع: المصدر السابق، المسألة رقم (٨٥)، ص٣٣.

١١- استدل الأنصاري بشيء من الأقوال المأثورة والشعر في بيان توجيهاته، من ذلك ما جاء في المسألة رقم (١٣١) في بيان الفرق بين حرفي الجر [اللام] و [على] قال: "وقولهم: الدهر يومان يوم لك ويوم عليك"[٤٧٧]. أما الشعر فقد توارد في بعض المواطن من كتابه ومنه: ما نسبه للشافعي:

ما في زمانك من نرجو مودته ولا صديق إذا جاز الزمان وفى

فعش فريدا ولا تركن إلى أحد ها قد نصحتك فيما قلته وكفى[٤٧٨]

١٢- استشهد الأنصاري ببعض الأحاديث الموضوعة والضعيفة، فمن الموضوع ما ذكره قائلا: "ورُوِيَ : [لولاك يا محمد ما خلقت الكائنات]"[٤٧٩]، ومن الضعيف ما أورده قائلا: "ولذلك روي عن عمر وابن عباس وابن مسعود عن النبي ﷺ "لن يغلب عسر يسرين"[٤٨٠].

١٣- وقف الأنصاري عند كل سور القرآن فلم يدع سورة من سور القرآن إلا ووقف عندها يوجَّه بعض آياتها، وقد يقف عند السورة يوجِّه فيها عددا من الآيات ليس بينها آية لها ما يشبهها لفظا، مثل: الأحقاف، والفتح، والقمر، الجمعة، والتحريم، والجن، والمزمل، والنازعات، والبروج، والطارق، والفجر، والشمس، والليل، وغيرها.

---

[٤٧٤] راجع: المصدر السابق، المسألة رقم (١٠٣١)، ص٣٢٨.

[٤٧٥] راجع: المصدر السابق، المسألة رقم (١٨٩)، ص٦١.

[٤٧٦] راجع: المصدر السابق، المسألة رقم (٦٧١)، ص٢٠٥.

[٤٧٧] المصدر السابق، ص ٤٥.

[٤٧٨] المصدر السابق، ص٢٢٦.

[٤٧٩] المصدر السابق، ص٢١٩. وقد خرج الألباني هذا الحديث في السلسلة الضعيفة وقال عنه موضوع، وقد ورد بلفظ " لولاك يا محمد ما خلقت الأفلاك " راجع السلسلة الضعيفة، رقم ٢٨٢، ج١، ص٤٥٠.

[٤٨٠] المصدر السابق، ص٣٧١، وقد خرجه الألباني -رحمه الله- حاكما عليه بالضعف، راجع السلسلة الضعيفة، رقم ٤٣٤٢، ج٩، ص٣٢٧.

**المبحث الخامس:**

**السمات والخصائص العامة لمنهج القدامى في توجيه المتشابه اللفظي:**

بعد أن تناولنا بالبحث وأعلام [توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم] ومصنفاتهم كلا على حدة، ووقفنا على منهج وخصائص كل منهم، كُلٌّ على حدة، جدير بنا أن نستخلص السمات والخصائص العامة لمنهج القدامى، وهي كما يلي:

١- التزام منهج المفسرين في تناول سور القرآن حسب ترتيبها في المصحف، ثم تناول الآي آية آية حسب ورودها في السورة، فتكون البداية بالبقرة فيتتبع الباحث الآيات التي لها نظائر مشابهة لها لفظا، فيعرض للآية الأم، ثم ينظر فيما شابهها في السورة ذاتها، ثم في السور الأخرى بحسب ترتيبها، حتى إذا ما انتهى من البقرة انتقل إلى آل عمران فما بعدها، وسار على هذا الدرب سائر علماء [توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم].

٢- اعتماد منهجي التحليل والمقارنة في تناول الآيات المتشابهات لفظا، حيث عمد أساتذة هذا العلم إلى تحليل ألفاظ الآيتين أو الآيات المتشابهات موضع البحث بنظرة فاحصة معجميا، وصرفيا، ونحويا، وبلاغيا، ثم يعقدون مقارنة بين هاتين الآيتين أو الآيات كل منها في سياقها، ومنزلها من الآية التي نزلت فيها، ومن الآيات السابقة واللاحقة بها، وأحيانا منزلها من السورة ككل، وهو حين يعقد هذه المقارنة، لا يقصد بها الحكم لصالح آية دون أخرى، وإنما يرمي إلى بيان أسرار كل آية في منزلها، والتأكيد على أنه لا يليق أن تحل إحداها محل أختها.

٣- الاعتماد على عمدتين أساسيتين في توجيه آيات المتشابه اللفظي، وهما: الأولى: اللغة. والثانية: السياق. إلا أن الجانب اللغوي كان له الغلبة عند أكثر القدامى.

٤- الاستعانة بالعديد من العلوم الأخرى لتوضيح وتوجيه آيات المتشابه اللفظي، فقد كان العلماء السابقون بحورا، حَوَوْا العلوم الأخرى في صدورهم، فكانت عونا لهم في بيان بعض أسرار الآيات المتشابهات، فاستعانوا بالحديث فنجد آثاره كثيرة

لـدى القـدماء، واسـتعانوا بالتفسـير، والقـراءات، والناسـخ والمنسـوخ، وأسـباب النزول، وبالفقه وأصوله، وعلم الكلام، والشعر، وأقوال العرب المأثورة، أما النحو والصرف والبلاغة فإنها كانت عمدة لهم في توجيه آيات المتشابه اللفظي.

٥- من الواضح أن القدامى - رحمهم الله - لم يرموا ولم يسعَوا إلى الإحاطة بكل مواطن التشابه اللفظي في القرآن؛ إذ أن هناك مواضع تشابه لفظي كثيرة بارزة لم يتناولوها، ومن غير المعقول أنهم غفلوا عنها، إذ إنهم قد التفتوا إلى ما دونها في التشابه، فلا يعقل أن نقول أنهم لم يروها أو أنهم غفلوا عنها، وإنما يمكننا القول: إن كلا منهم اجتهد وبذل قصارى جهده -وحسبه فضلا وسبقا- في آيات بعينها اختارها لبيان أسرارها، ولرد طعن الطاعنين، ودفعِ شُبَه الْمُلَبِّسِين، لم يرم إلى الإحاطة بها، إذ لم يَدَّع أحد منهم أنه قد أحاط بكل آيات المتشابه اللفظي، أو أنه وجهها جميعا.

٦- اعتماد المتأخر على المتقدم، فنجد الكرماني والغرناطي قد اعتمدا على كتاب [الدرة] للإسكافي، أما ابن جماعة فكان عمدته [برهان] الكرماني، ثم الأنصاري الذي نقل نقلا عن الكرماني أيضا.

٧- نمو [علم توجيه المتشابه اللفظي] أفقيا ورأسيا، على يد المتأخرين من القدامى، والمقصود بالنمو الأفقي اتساع دائرة توجيه الآيات التي سبق توجيهها على يد المتأخر منهم، إما بتوجيه جديد، أو زيادة عدد المسائل في هذه الآيات، أو توضيح التوجيه السابق. والمقصود بالنمو الرأسي زيادة عدد الآيات التي وجهها متأخرو القدامى، بتوجيههم مواضع تشابه جديدة لم يقف عندها سابقوهم.

٨- ابتكر القدامى منهجين لتوجيه مسائل الآيات المتشابهات:

**المنهج الأول**: ابتكره أستاذ هذا العلم ومؤسسه الأول الخطيب الإسكافي -رحمه الله-

ويقوم على عرض موطن المتشابه فيعرض الآية الأم وما شابهها من الآيات ثم يعرض المسائل التي رآها في ذلك الموطن، ثم يتناولها بالتوجيه مسألة مسألة.

**المنهج الثاني**: ابتكره الكرماني -رحمه الله- ويقوم على تقسيم موطن التشابه إلى مقاطع قصيرة،

ويثير مسألة وحيدة في هذا المقطع ثم يتناوله بالتوجيه.

٩- التنوع ما بين البسط والإيجاز، فنجد البسط عند رائدي هذا العلم الإسكافي والغرناطي، في حين نجد الإيجاز لدى الكرماني وابن جماعة والأنصاري.

١٠- نجد من القدامى خاصة المتأخرين منهم - الكرماني، ابن جماعة، الأنصاري- يعمدون إلى توجيه آيات ليست من المتشابه اللفظي، يقفون عندها ويوضحون أسرارها.

١١- عمد أكثر القدامى إلى إشراك القارئ في الحوار والمناقشة باستعمال أسلوب الحوار والمناقشة، فيطرحون الأسئلة ويناقشونها ثم يتولون الإجابة عنها، ونجد ذلك واضحا بارزا لدى الإسكافي، والغرناطي، والأنصاري. أما الكرماني فاعتمد السرد في توجيهه لمسائله، وتابعه في ذلك ابن جماعة، لكنه جمع أحيانا ما بين السرد والمناقشة.

## الفصل الثاني:

# المحدثون تجديد وإثراء

**مقدمة :**

يمكننا القول أن البحث في [توجيه المتشابه اللفظي في القرآن] قد توقف بعد الأنصاري (ت٩٢٦هـ) حتى عصرنا الحالي، اللهم إلا ما بدا في ثنايا بعض كتب علوم القرآن[٤٨١] من فصول ومباحث قصيرة، بل يمكن القول إن علم [توجيه المتشابه اللفظي] لم يؤلف فيه مصنف خاص له قبل عام ٢٠٠٠م ، وإن كان كتاب عبد العظيم المطعني [ خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية ] قد طبع سنة ١٩٩٢م ، فإنه لم يُصَنَّف في توجيه المتشابه اللفظي خاصة، بل إنه شمل جوانب أخرى كثيرة غير توجيه المتشابه اللفظي، كما سيأتي.

ومع مطلع السنوات العشر الأخيرة بدأت كتب فاضل السامرائي تخرج إلى النور تباعا، ثم كتاب ياسين المجيد [المبنى والمعنى في الآيات المتشابهات في القرآن]، ثم كتاب محمد الصامل [من بلاغة المتشابه اللفظي في القرآن الكريم] ، ثم كتاب الدكتور محمد القاضي [المتشابه اللفظي في القرآن الكريم رؤية في التفسير من خلال اللغة والسياق]

وفي هذا الفصل يتناول الباحث أربعة علماء من خمسة برزوا – بحسب ما أرى – بمصنفاتهم التي صنفوها في علم [توجيه المتشابه اللفظي في القرآن].

أما الأربعة فهم: الدكتور العلامة عبد العظيم المطعني، والدكتور ياسين المجيد، والدكتور محمد الصامل، والدكتور محمد القاضي، وأما الخامس فهو الدكتور العلامة فاضل صالح السامرائي، وسوف يُفْرَد له فصل خاص في الباب الثالث من هذا البحث مع الغرناطي، إذ أنهما أحد أهم عناصر البحث، فكان لابد من دراسة موسعة لهاتين الشخصيتين ومصنفاتهما في توجيه المتشابه اللفظي وسوف تأتي إن شاء الله.

[٤٨١] كالإتقان في علوم القرآن للسيوطي. والبرهان في علوم القرآن للزركشي.

## المبحث الأول:

## المطعني وكتابه [خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية]

### المطلب الأول: نسبه ومولده ونشأته[٤٨٢]

هو: عبد العظيم بن إبراهيم بن محمد المطعنى[٤٨٣]، ولد في مايو سنة ١٩٣١م، فى قرية المنصورية مركز كوم أمبو بأسوان.

نشأ مع إخوته يفلحون الأرض مع أبيهم حتى مطلع الشباب، وتعلم بالكتّاب مبادئ القراءة والكتابة قبل فتح التعليم النظامي في أواخر العهد الملكي، ثم التحق بالمدرسة التي أنشئت في قريته، فقضى فيها سنتين، كان خلالهما كثير الاطلاع والقراءة من مكتبة أخيه أحمد، حيث كان مهتما بالثقافة الإسلامية، وضمت مكتبته بعض كتب الفقه والتفسير ومجلات أسبوعية، انكبّ عبد العظيم المطعني على قراءتها، فأحب المعارف الإسلامية من خلالها.

وفى تلك الأثناء كان وعاظ الأزهر يفدون إلى القرية بانتظام، وكان عبد العظيم شديد الحرص على متابعتهم والسماع لهم ومنهم، فاهتموا به وأحبوه كثيرا، وأشار عليه أحدهم[٤٨٤] بأن يلتحق بمعاهد الأزهر الابتدائية ليروي غليله من فيضه الدَّفَّاق. وأحضر له

---

[٤٨٢] المعلومات المعروضة في هذا المطلب هي موجز رتبه ونسقه الباحث مما وقعت عليه يده في عدة مواقع على النت وهي: الأول: ملتقى أهل التفسير:
http://www.tafsir.net/vb/showthread.php?t=12535&highlight=%E1 ٢٠١٠/٠٧/١٤،
والثاني: موقع إسلام أون لاين:
http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA_C&cid=١٢١٦٢٠٨٢٠٦٣٨٦:
والثالث: موقع إخوان أون لاين ورابطه:
http://www.ikhwanonline.com/Article.asp?ArtID=39423&SecID=290 / ٢٠٠٩/٠٥/١٦ ،
والرابع: مدونة رمضان علي رمضان:
http://romiofayoum.jeeran.com/archive/٦٥٣٨٦٠/٨/٢٠٠٨.html / ٢٠١٠/٠٧/١٤ ،
والخامس: موقع الموسوعة الحرة ويكيبديا الشهير:
http://ar.wikipedia.org/wiki/%D%٨B%٩D%٨A%٨D%٨AF_%D%٨A%٧D%٨٤%٩D%٨B%٩D%٨B%٨D%٩A%D٨٥%٩_%D%٨A%٧D%٨٤%٩D%٨٥%٩D%٨B%٧D%٨B%٩D%٨٦%٩D٨%٩A ٢٠١٠/٠٧/١٨ ،

[٤٨٣] جاء في مدونة رمضان علي رمضان أن عبد العظيم المطعني: "ولد لأبوين مصريين، وهما من عرب شبه الجزيرة العربية، من العرب الذين هاجروا إلى مصر عام الفتح الإسلامي سنة ١٩ هجرية، ويتصل نسبه بقبيلة الخزرج العربية من أنصار المدينة المنورة" ولم أجدها عند غيره.
http://romiofayoum.jeeran.com/archive/٦٥٣٨٦٠/٨/٢٠٠٨.html ، ٢٠١٠/٠٧/١٤

[٤٨٤] جاء في مشاركة ملتقى أهل التفسير، ومدونة رمضان علي رمضان أنه الشيخ نعمان رجب شطة، أما في موقع إخوان أون لاين ، وموقع ويكيبيدا فقد ذكروا أنه الشيخ عطا محمد عطا.

استمارة التحاق بالأزهر، فهاجر إلى القاهرة، والتحق بالسنة الأولى بمعهد القاهرة الابتدائي عام ١٩٥٢م.

وأتَمَّ دراسته الابتدائية والثانوية بتفوق ملحوظ على أقرانه، ثم التحق في عام ١٩٦٢م بكلية اللغة العربية في جامعة الأزهر شعبة اللغويات، وتخرج عام ١٩٦٦م بتقدير جيد في اللغة العربية وآدابها.

والتحق بالدراسات العليا في كلية اللغة العربية، قسم البلاغة والنقد، قدم فيها بحثا للحصول على درجة الماجستير، وكان بعنوان: [سحر البيان في مجازات القرآن] وحصل على الماجستير بتقدير ممتاز. ثم التحق بقسم العالمية ليحصل على درجة الدكتوراه يوم الإثنين، ١٩٧٤/٤/٢٥م، وكان موضوعها [خصائص التعبير في القرآن الكريم وسماته البلاغية] وقد حصل على تقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى[٤٨٥].

وفي يوم الأربعاء ٢٧ من شهر رجب، الموافق ٣٠ من يوليو ٢٠٠٨م، توفي –رحمه الله– وشيع من مسجد النور في حي العباسية بوسط العاصمة المصرية القاهرة في جنازة مهيبة، وأمّ الناس في الصلاة عليه د. محمد مختار المهدي رئيس الجمعية الشرعية لتعاون العاملين بالكتاب والسنة، بحضور لفيف من أساتذة الأزهر، وامتلأ المسجد بالمصلين على الفقيد حتى صار أشبه بصلاة الجمعة.

**المطلب الثاني: خصاله وجهاده**

لقد جمع الله تعالى على عبد العظيم المطعني كريم الخصال، إلى جانب الصدق في هذه الخصال –كما نحسبه ولا نزكي على الله أحد – إذ أن أضواء الإعلام في العصر الحديث تجرف الكثير من الناس، ولكأننا به يقول: "يا دنيا غري غيري... فقد بتتك[٤٨٦] ثلاثا"[٤٨٧] ،

---

[٤٨٥] عبد العظيم المطعني، خصائص التعبير القرآني، ج١، ص٣.

[٤٨٦] أي: طلقتك

[٤٨٧] هذه مقولة لعلي بن أبي طالب – رضي الله عنه – تتردد في شتى الكتب التي تترجم لعلي أو تتناول سيرته، وقد جاءت في وصف ضرار الصدائي أحد أصحاب علي حين : "طلب معاوية ﷺ من ضرار الصُدائي أن يصف له علياً ، فقال: ".وأشهد أني قد رأيته في بعض مواقفه، وقد أرخى الليل سُدُولَه، وغارت نجومه، قابضاً على لحيته، يتململ تململ السليم، ويبكي بكاء الحزين، ويقول: يا دنيا غُرّي غيري، إليّ تعرّضت أم إلى تشوَّفتِ، هيهات هيهات، قد باينتك ثلاثاً لا رجع فيها، فعمرك قصير، وخطرك قليل، آه من قلة الزاد وبُعد السفر، ووحشة الطريق، فبكى معاوية وقال: رحم الله أبا الحسن، كان والله كذلك، فكيف حزنك عليه يا ضرار؟ قال حزن من ذبح ولدها وهو في حجرها" راجع : علي محمد الصلابي، الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، مصدر الكتاب : موقع المؤلف على الإنترنت:

إذ كان عمله يُصَدِّقُ قوله، بل إننا يمكننا القول أن كلامه كان عملا ، فكان – رحمه الله – يعمل ويبذل نفسه للعمل في سبيل الدعوة والدفاع عن الإسلام أصوله وفروعه دون كلل أو ملل.

يؤكد تلك الخصال الدكتور جابر قميحة[٤٨٨] قائلا: " كان مثالا للتواضع الأصيل والزهد النبيل؛ فما رأيته يزدهي مرة واحدة بما يعلم، وكان كذلك في مظهره وملبسه، حتى يخيَّل لمن لا يعرفه أنه يجالس رجلاً من عامة الناس .. عاش للدين والدعوة والأمة، وكانت حياته لله، فلم ينحني لطاغية، ولم يقبل علي الدنيا، ولم تبهره الأضواء، وهذا سر إغفال وسائل الإعلام له"[٤٨٩]

وقد "كان كاتبا مجاهدا، ولسانا صادقا، وداعيةً مثابرًا، وجنديًّا من جنود الدعوة الإسلامية في هذا العصر، جعل قلمه وقفًا لله تعالى، يضرب به يمنة ويسرة، فيأتي بما يشرح صدور المؤمنين، ويكبت ويكسر كل شرير متربص بالدين، لقد نذر نفسه لله تعالي، وعاش يمثِّل حصنًا حصينًا تتكسر عليه كل السهام الموجهة إلى الإسلام الحنيف كتابًا وسنة وتراثًا دينيًّا وأدبيًّا، فنقض الشبهات التي صبها المستشرقون علي الإسلام، وفند الاتهامات الغليظة المجحفة التي يقذف بها المرجفون، وكان صاعقة مدوية في وجه كل من يريد تحطيم التراث العربي الإسلامي، وقد كان – رحمه الله – يملك استشعارا قويا، وحساسية مرهفة لكل ما يمس المقدسات، كأنه موكل بأعداء الإسلام يصدهم وينقض دعاواهم وافتراءاتهم"[٤٩٠]

---

http://www.alsallaby.com/ ، ٢٠١٠/٠٧/١٥

[٤٨٨] الدكتور جابر المتولي قميحة شاعر وأديب مصري. ولد عام ١٩٣٤ في مدينة المنزلة، بمحافظة الدقهلية، مصر، حصل على ليسانس دار العلوم جامعة القاهرة عام ١٩٥٧، وماجستير في الأدب من جامعة الكويت عام ١٩٧٤، ودكتوراه في الأدب العربي الحديث من جامعة القاهرة عام ١٩٧٩، كما حصل على ليسانس في القانون من كلية الحقوق جامعة القاهرة ١٩٦٥، ودبلوم عالٍ في الشريعة الإسلامية ١٩٦٧، عُرِف بالشعر الجهادي، له ديوانا شعر، الأول: لجهاد الأفغان أغني، والثاني: الزحف المدنس، كما أنه له مؤلفات عديدة في الأدب والنقد والدراسات الإسلامية، ويعمل حاليّاً أستاذاً مشاركاً بجامعة الملك فهد بالظهران. راجع الموسوعة الحرة:

http://ar.wikipedia.org/wiki/%D٨AC%D٨A%vD٨A%٨D٨B١_%D٨٢%٩D٨٥%٩D٨%٩A%D٨AD%D٨A٩.٢٠١٠/٠٧/١٨ ،

[٤٨٩] ملتقى أهل التفسير:

http://www.tafsir.net/vb/showthread.php?t=١٢٥٣٥ ، ٢٠١٠/٠٧/١٨

[٤٩٠] راجع موقع ملتقى أهل التفسير:

http://www.tafsir.net/vb/showthread.php?t=12535&highlight=%E1 ، ٢٠١٠/٠٧/١٤

وكان رحمه الله لا يخشى في الحق لومة لائم، بل إنه خاض غمار معارك شديدة من أجل الحق والدفاع عنه، فلقد خاض معارك كثيرة مع العلمانيين والشيوعيين، ومن معاركه الفكرية ما يأتي:

- تَصَدَّى لفتوى مفتي مصر سيد طنطاوي[٤٩١] بحل ربا البنوك وله توقيع في قائمة من مائة عالم من علماء المسلمين لدفع هذه الفتوى ودحضها، واسمه في القائمة رقم (٢٧) ولهذه القائمة صورة ضوئية ملحقة بآخر كتاب [فوائد البنوك هي الربا الحرام] ليوسف القرضاوي[٤٩٢].

- تصدَّى لمشروع سوزان مبارك[٤٩٣] للمرأة وقوانين الطفل، وفندها بقوة، وهاجمها بضراوة في أكثر من صحيفة، وأكثر من موقع[٤٩٤]، كما ألَّف ردا على هذا المشروع كتابين، الأول: حقوق المرأة والطفل بين الإسلام والوثائق الدولية.
والثاني: المرأة في عصر الرسالة بين واقعية الإسلام وأوهام المرجفين.

- تصدَّى لرواية [أولاد حارتنا] التي أَلَّفَها الروائي نجيب محفوظ[٤٩٥] الحائز على جائزة نوبل للآداب، وكشف رموزها التي تفضي إلى الكفر، ورد على كاتبها في كتاب [جوانيات الرموز المستعارة لكبار أولاد حارتنا]، طبعته مكتبة وهبة طبعته الأولى سنة ١٤١٦هـ[٤٩٦]، والذي خلص فيه إلى أن: "هذه الرواية تترجم في وضوح أن كاتبها ساعة كتبها كان زاهدا في الدين كل الزهد، معرضا عنه كل الإعراض، ضائقا به

---

[٤٩١] الدكتور سيد طنطاوي شيخ الأزهر، ولد بقرية سليم الشرقية في محافظة سوهاج بمصر في ٢٨ أكتوبر ١٩٢٨، ، عين مفتيًا للديار المصرية في ٢٨ أكتوبر ١٩٨٦، وفي ٢٧ مارس ١٩٩٦ عين شيخًا للأزهر، وظل شيخا للأزهر حتى وفاته ٢٤ ربيع الأول ١٤٣١ هـ – ١٠ مارس ٢٠١٠. وكانت فترة شياخته للأزهر بلاء شديدا على الأزهر والمسلمين.

[٤٩٢] القرضاوي، يوسف، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م فوائد البنك هي الربا الحرام، القاهرة، دار الصحوة، والمنصورة، دار الوفاء، ص ١٨٨

[٤٩٣] سوزان صالح ثابت، زوجة الطاغية محمد حسني مبارك رئيس جمهورية مصر العربية الذي خلعته ثورة ٢٥ يناير المجيدة.

[٤٩٤] وقد رد مع عدد علماء مصر على هذا لقانون وفندوه حتى أبطلوه، راجع هذه الروابط:

http://www.almesryoon.com/ShowDetails.asp?NewID=٤٩٠٠٦&Page=١ / ٢٠١٠/٠٧/١٥،

http://www.ikhwanonline.com/Article.asp?ArtID=٣٧٤٨٥&SecID=٢٩٥. ٢٠١٠/٠٧/١٥،

[٤٩٥] نجيب محفوظ روائي مصري حائز على جائزة نوبل في الأدب. وُلد في ١١ ديسمبر ١٩١١، وتوفي في ٣٠ أغسطس ٢٠٠٦. راجع الموسوعة الحرة، ويكيبديا:
http://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%86%D8%AC%D9%8A%D8%A8_%D9%85%D8%AD%D9%81%D9%88%D8%B8

[٤٩٦] على هذا الرابط لموقع [ صيد الفوائد ] عرض وتحليل موجز لهذا الكتاب:

http://www.saaid.net/Doat/hasn/٨١.htm٢٠١٠/٠٧/١٤،

صدره، أعجميا به لسانه، فراح يشفي نفسه الثائرة، ويعبر عن آرائه في وحي الله الأمين، بهذه الأساليب الرمزية الماكرة، والحيل التعبيرية الغادرة، رافعا من شأن العلم الحديث إلى مكان الثريا، واثقا فيه كل الثقة، ...مناصرا للعلمانية الجاهلة، على دين الله القيم، ورسالاته السامية، فالرواية – وهذا واقعها – رواية آثمة مُجَرّمَة بكل المقاييس وطنيا وقوميا ودينيا، والتماس البراءة لها مستحيل، مستحيل، مستحيل"[٤٩٧]

- تصدَّى لكتاب عبد الصبور شاهين[٤٩٨] [أبي آدم] والذي أثار ضجة كبرى حوله، والذي أنكر فيه أبوة آدم للبشر، وادعى وجود بشر قبل آدم ﷺ ، وآدم من نسلهم، ومخالفا بذلك الكتاب والسنة وإجماع المسلمين[٤٩٩]، كما رد عليه بكتاب [أبى آدم ، قصة الخليقة بين الخيال الجامح و التأويل المرفوض].

- تصدَّى للدكتور مصطفى محمود[٥٠٠] – رحمه الله – في مقالاته التي أنكر فيها الشفاعة – شفاعة محمد ﷺ – والذي أثارت زوبعة شديدة حول مصطفى محمود، وتكاثرت عليه الردود، حتى صدرت عشرة كتب سريعا في وقت قصير للرد عليه، لكن مصطفى محمود اعترف بأن " أفضل الردود هو رد الدكتور عبد العظيم المطعني الأستاذ بجامعة الأزهر، هذا الرد الذي أزال شبهته، وأوجد له مخرجا مأمونا من هذه القضية الشائكة، وأكد له أن الشفاعة حقيقة قرآنية ثابتة، لا شك فيها، ولكنها مشروطة، وليست مطلقة بدون ضوابط"[٥٠١]، وقد صنَّف المطعني ذلك في كتاب: [الشفاعة حق لا ريب فيه].

---

[٤٩٧] راجع الرابط السابق.

[٤٩٨] الدكتور عبد الصبور شاهين، أستاذ متفرغ في كلية دار العلوم من أشهر الدعاة بمصر والعالم الإسلامي، له ٦٥ كتابا ما بين مؤلفات وتراجم. راجع رابط الموسوعة الحرة ، ويكيبيديا:

http://ar.wikipedia.org/wiki/%D%٨B%٩D%٨A%٨D%٨AF_%D%٨A%٧D%٨٤%٩D%٨B%٥D%٨A%٨D%٨٨%٩D%٨B١_%D%٨B%٤D%٨A%٧D%٨٧%٩D٨%٩A%D٨٦%٩ .٢٠١٠/٠٧/١٦

[٤٩٩] راجع رد عبد العظيم المطعني وفتواه في هذا الصدد على رابط الإسلام اليوم:

http://islamtoday.net/fatawa/quesshow-٦٠-٤٩٥٩٠.htm / ٢٠١٠/٠٧/١٥

[٥٠٠] الدكتور مصطفى محمود، صاحب البرنامج التلفزيوني الشهير [العلم والإيمان]، طبيب، ومُفكر، وكاتب، وأديب، ولد عام ٢٧ من ديسمبر ١٩٢١، وتوفي ٣١أكتوبر ٢٠٠٩.

[٥٠١] صحيفة الشرق في عددها الصادر الأحد ١٥ صفر ١٤٢٠ هـ الموافق ٣٠ مايو ١٩٩٩م .

- تصدَّى لمخططات [البابا شنودة[٥٠٢]] لتنصير مصر وتفتيتها، قال في ذلك الصحفي المعروف محمود القاعود[٥٠٣]: "كان -رحمه الله- يحذر من مخطط البابا [شنودة الثالث] لتفتيت مصر ومحاولته إعادة سيناريو[٥٠٤] جنوب السودان في مصر .. يتساءل في أسى وحيرة عن صمت المسئولين في مصر عما أحدثه هذا الشخص في البلاد والعباد ونشره للفتنة الطائفية ...أخبرني - رحمه الله - أنه طلب من شنودة الثالث أن يناظره حول عصمة الكتاب المقدس، وهل هو وحى من الله أم من تأليف البشر .. لكن شنودة الرعديد أبى واستكبر .. فأخبره الدكتور المطعني أن ذنب النصارى في رقبته لأنه أضلهم وهو يعرف الحق"[٥٠٥]

- تصدَّى لافتراءات المستشرقين ودعاويهم في القرآن والسنة، وقد صنَّف في ذلك عدة مصنفات منها: كتاب [افتراءات المستشرقين علي الإسلام عرض ونقد]، ويعرض فيه أربعين طعناً من طعون المستشرقين في الإسلام ويرد عليهم رداً واضحا جليا وكتاب [الشبهات الثلاثون المثارة ضد السنة النبوية، عرض وتفنيد ونقض]، وكتاب [أوروبا في مواجهة الإسلام، الوسائل والأهداف]، وكتاب [الإسلام في مواجهة الاستشراق العالمي]، وكتاب [محمد صلى الله عليه وسلم في كتابات المستشرقين]، وغيرها.

- تصدى للتنصير، وحركات التنصير في مصر والخارج بعدة كتب منها: كتاب [التبشير العالمي ضد الإسلام. مخاطره و طرق مقاومته]، وكتاب [حقائق القرآن وأباطيل خصومه]، وكتاب [المسيحيون و المسلمون في تلمود اليهود عجائب و غرائب].

---

[٥٠٢] البابا شنودة الثالث، اسمه الحقيقى [ نظير جيد ] ولد٣ أغسطس ١٩٢٣م، وتوفي ١٧مارس ٢٠١٢ وهو بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية وسائر بلاد المهجر .

راجع رابط ويكيبديا:

http://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D8%B5%D8%B7%D9%81%D9%89_%D9%85%D8%AD%D9%85%D9%88%D8%AF٢٠١٠/٠٧/١٦

[٥٠٣] كاتب إسلامي مصري شهير، يكتب في عدة صحف، وله موقع على النت يحوي إنتاجه ورابطه:

http://alqaoud.wordpress.com/٢٠١٠/٠٧/١٦ ،

[٥٠٤] كلمة غير عربية ويقصد بها: قصة أو حكاية أو تجربة.

[٥٠٥] موقع الصحفي محمود القاعود على النت:

http://alqaoud.wordpress.com/category/%D٢٠١٠/٠٧/١٦ ،

- خاض الشيخ معارك كثيرة مع العلمانيين والشيوعيين، وكان  جريئا يصدع بالحق، ويحطم الأغلال، ولا يبالي على مَن يقع معولُه، صنف عدة كتب في دفع أباطيلهم منها: [الإسلام في مواجهة الأيدولوجيات المعاصرة]، موضوع هذا الكتاب بيان موقف الإسلام من المذاهب المادية المعاصرة – العلمانية والشيوعية – وإبطال مبادئها ودعاويها، وكتاب: [العلمانية، حقيقتها وموقفها من العقيدة والشريعة]، وكتاب: [قراءات في كتاب أحمر، لينين زعلان من الشيوعيين]، وكتاب: [لماذا لابد من دين الله لدنيا الناس]، يرد فيه على دعاة هجر الدين وقيمه و إحلال مفاهيم الحضارة الغربية المادية محلها.

**المطلب الثالث: مكانته العلمية:**

لقد وجدنا علماء الأمة القدامى يحيطون بعلوم شتى، يُلِمُّون بها جميعا، ويصنفون فيها جميعا، فقد كان الكثير منهم لا يتخصص في باب واحد من أبواب العلم، بل كانوا يدركون أن العلوم جميعا كل متكامل، يقوم بعضه ببعض، فلذلك وجدناهم بحورا زاخرة من العلوم، أما في العصر الحديث فلم نعد نجد هذه النماذج إلا نادرا، حيث غلب التخصص على الباحثين وطالبي العلم، فمع تراكم الكم الثقافي والمعرفي، أصبح يشق على الباحثين التبحر في أكثر من باب، فَعَمَدَ الباحثون إلى التبحر في باب واحد من أبواب العلم، مع الإلمام بشيء من كل شيء ما استطاعوا.

إلا أن عبد العظيم المطعني – رحمه الله –كان من العينة الأولى، من عينة العلماء القدامى، العلماء الموسوعيين؛ إذا أنه لم يقف عند باب واحد من العلم، فبالنظر في مؤلفات المطعني نجد أنفسنا أمام عالم موسوعي، على هيئة علماء سلف الأمة الذين كانوا لا يشبع نهمهم من العلم، وقد جمعت مكتبة جامعة أم القرى على موقعها على النت[٥٠٦] مصنفات هذا العلامة، والتي بلغت تسعا وخمسين مصنفا في شتى العلوم، وبتأمل هذه المصنفات نجد

[٥٠٦] موقع جامعة أم القرى، رابط مكتبة الدكتور عبد العظيم المطعني، http://uqu.edu.sa/page/ar/٢٢٢٢٦ ، ٢٠١٠/٠٧/١٨

أن المطعني قد صنف في علوم اللغة – البلاغة والنقد والنحو[٥٠٧]– والتفسير[٥٠٨] والحديث[٥٠٩]، والفقه[٥١٠]، والتاريخ[٥١١]، والتربية وعلم الاجتماع[٥١٢]، والسياسة[٥١٣].

ولقد خص المطعني المرأة بعدة مصنفات قَيِّمَة منها: [المرأة في عصر الرسالة]، و[محاسن الإسلام ومزاياه في تشريعات المرأة]، و[ملاحظات موضوعية علي فتوى: إسلام المرأة دون زوجها وبقاؤها في عصمته].

أضف إلى ما تقدم إجادته للغتين الإنجليزية والعبرية؛ إذ يخبرنا تلميذه في جامعة أم القرى الدكتور ظافر العمري[٥١٤] عنه أنه :" كان مجيدا للغتين الإنجليزية والعبرية، ولكنه كان يأنف أن يكتب في علوم الإسلام بغير لغة الإسلام فجعل سلوكه النبيل منهجا لتلاميذه ومن يأخذ عنه"[٥١٥]، كما شارك المطعني في تأليف الموسوعات العلمية التي قام عليها "المجلس الأعلى للشئون الإسلامية فقد شارك في:

١– موسوعة المفاهيم الإسلامية.

٢– الموسوعة القرآنية.

٣– حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين[٥١٦].

ولم يقف عبد العظيم المطعني عند التأليف في العلوم الشرعية، بل إنه كتب في شتى الاتجاهات، يقول الدكتور حامد أبو أحمد[٥١٧]: "إن الدكتور المطعني تميز بين أساتذة كلية اللغة

---

[٥٠٧] مثل: خصائص التعبير في القرآن الكريم و سماته البلاغية / البديع من المعاني والألفاظ / والمجاز في اللغة و في القرآن الكريم بين الإجازة و المنع،جزءان / ودراسات جديدة في إعجاز القرآن ،مناهج تطبيقية في توظيف اللغة / وعلم الأسلوب في الدراسات الأدبية و النقدية/ ومن قضايا البلاغة و النقد. وغيرها.

[٥٠٨] مثل: التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم / وحقائق القرآن وأباطيل خصومه، ٣ أجزاء.

[٥٠٩] مثل: الشبهات الثلاثون المثارة ضد السنة النبوية عرض وتفنيد ونقض / والرسالة المطعنية في الدفاع عن السنة النبوية / والشفاعة حق لا ريب فيه.

[٥١٠] مثل: الجائز و الممنوع في الصيام / و مناسك الحج و العمرة في ضوء المذاهب الأربعة / والفقه الاجتهادي الإسلامي ، بين عبقرية السلف و مآخذ ناقديه / و عقوبة الارتداد عن الدين بين أدلتها الشرعية و أوهام المرجفين / ونقل الأعضاء البشرية بين الجواز والمنع / وغيرها.

[٥١١] مثل: المسيحيون و المسلمون في تلمود اليهود عجائب و غرائب / وجريمة العصر، قضية احتلال المسجد الحرام عام ١٤٠٠ هجرية رواية شاهد عيان.

[٥١٢] مثل: الفراغ و أزمة التدين عند الشباب المعاصر الداء و الدواء / ومبادئ التعايش السلمي العالمي في الإسلام منهجا و سيرة / أسباب تراجع الأزهر / وسماحة الإسلام في الدعوة إلى الله و العلاقات الإنسانية.

[٥١٣] مثل: أدب الإسلام في الرياسة و السياسة / وتدابير الأمن في الإسلام.

[٥١٤] الدكتور: ظافر غرمان غارم العمري، وكيل كلية اللغة العربية الحالي، جامعة أم القرى، والمشرف على تحرير موقع الجامعة على النت، وعضو اللجنة العلمية السعودية للأدب العربي، راجع هذا الرابط على النت:

http://uqu.edu.sa/page/ar/١٩٩٠٧ ،٢٠١٠/٠٧/١٨

[٥١٥] الدكتور ظافر العمري، مقال بعنوان: [علامة البلاغة الشيخ الأستاذ: عبد العظيم المطعني]، موقع ملتقى البلاغيين والنقاد العرب، رابط:

http://www.bn-arab.com/vb/showthread.php?t=٤٩٠ ،٢٠١٠/٠٧/١٤

[٥١٦] راجع الرابط السابق.

العربية بحضوره على الساحة الثقافية من خلال الكتابة في عدد من الصحف والمجلات في كثير من الموضوعات، ولم يقتصر كغيره على الأمور الدينية فحسب، وكانت له نظرات مهمة، وآراء جيدة في الثقافة بشكل عام، ودخل معارك فكرية رائعة، خاضها بقوة ويقين؛ فهو مفكر إسلامي، وليس مجرد كاتب، أو أستاذ في الجامعة، وكانت أحاديثه الإذاعية على الرغم من كونها غالبًا في بلاغة القرآن والسنة، إلا أنها تدل على موسوعية ثقافته وعمقها"[٥١٨].

ويؤكد جمال سلطان على موسوعيته قائلا: " المطعني من ذلك الجيل الذي كان موسوعيا بمعنى الكلمة في معرفته بتراث الإسلام، واللغة، والأدب، والفقه، والتفسير، والتاريخ، ولذلك أتت كتاباته شديدة التنوع. ولقد جعله حضوره، وقوة حجته، وسلاسة بيانه، وبلاغته، وجاذبية منطقه، مقصدا للعديد من الصحف والمجلات لاستكتابه في مصر والعالم العربي، وكذلك لإذاعة القرآن الكريم، حيث كانت له أحاديث غاية في الروعة، واليسر، والعمق معا ...كان مشغولا بالإنتاج الفكري، والكتابة، والعطاء، والاشتباك مع قضايا الواقع بهمة وحماسة من يرى أنه في ميدان، وأنه يجاهد بالفعل"[٥١٩].

## المطلب الرابع: التعريف بكتاب المطعني [خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية]

### أولا: أصل الكتاب ومحتواه وأهدافه:

لما أردتُ أن أُعَرِّفَ بهذا الكتاب، وجدتُ أنه سيطول بي الكلام، بما ينسي أولَه آخرُه، فرأيتُ أن أقف بكم على جوانب هذا الكتاب في نقاط موجزة محددة، كما يلي:

١- **أصل الكتاب**: هذا الكتاب – في أصله – البحث الذي أعده عبد العظيم المطعني لنيل درجة الدكتوراه في كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، في البلاغة والنقد، وكان مسماه [خصائص التعبير في القرآن الكريم وسماته البلاغية]، وتم

---

[٥١٧] الدكتور حامد أبو أحمد عميد كلية اللغات والترجمة بجامعة الأزهر.

[٥١٨] مجد عبد الفتاح، مقال بعنوان [د. عبد العظيم المطعني في عيون معاصريه]، موقع إخوان أون لاين، http://www.ikhwanonline.com/Article.asp?ArtID=39423&SecID=290، ٢٠٠٩/٠٥/١٦

[٥١٩] جمال سلطان، مجلة العصر، نقلا عن صحيفة المصريون الالكترونية، http://www.alasr.ws/index.cfm?method=home.con&contentID=10239، ٢٠٠٩/٠٧/٠٤

تغييره إلى [خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية] باقتراح من صاحب مكتبة وهبة[٥٢٠] ، وراق للمطعني هذا التغيير؛ لما فيه من الإيجاز، كما رأى أنه لا فرق بين الأول والثاني[٥٢١]، وطبعته مكتبة وهبة طبعته الأولى سنة ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م.

٢- **مقدمة الكتاب:** قد قدم المطعني للكتاب بمقدمة طويلة مستفيضة وافية – تسع عشرة صفحة[٥٢٢] – فصل فيها المطعني لمادة كتابه ومحتوياته، حيث أعطى توضيحا موجزا عن الكتاب بابا بابا، وفصلا فصلا، فتكاد المقدمة تعطيك صورة مصغرة من الكتاب، يقول المطعني عن مقدمته: " وسَيُلِمُّ القارئ عند مطالعته للمقدمة التالية بأصول المنهج"[٥٢٣].

٣- **موضوع الكتاب** : حدده المطعني تحديدا في مقدمته قائلا: "إن موضوع هذا البحث يدور حول تَجْلِيَة كثير من خصائص النظم القرآني، وسمات بلاغته المعجزة"[٥٢٤]، فهذا الكتاب يسير على غرار كتب الإعجاز في القرآن، لكن بتوسع كبير، ومع التدليل بأمثلة تؤيد ما ذهب إليه الكاتب؛ اسمع إلى المطعني يقول: "إن عنوان هذا البحث وإن لم يشر إلى أية إشارة إلى قضية الإعجاز، فإنه – أعني البحث – تطبيق عملي موضوعي للكشف عن سر الإعجاز في القرآن الكريم"[٥٢٥].

٤- **أهداف الكتاب:** رمى المطعني في كتابه إلى هدف رئيس وهو: جلاء معجزة كتاب الله، وتقريبها إلى العقول بتيسيرها للفهم؛ فبعد أنْ بَيَّنَ أنّ لكل باحث في القرآن أهدافا وطريقة ومنهجا، سواء كانوا فقهاء، أو أصوليين، أو مشرعين، أو لغويين، أو فلاسفة، أو متكلمة، قال: "ولما كان القرآن هو معجزة الإسلام، وإعجازه راجع إلى بيانه وأدبه، وبلاغته وفصاحته، وأسلوبه ونظمه، فإن الحاجة

---

[٥٢٠] الأستاذ وهبة حسن وهبة، صاحب مكتبة وهبة للنشر، ١٤شارع الجمهورية، عابدين،القاهرة، تلفون ٣٩١٧٤٧٠.

[٥٢١] عبد العظيم المطعني، خصائص التعبير القرآني، ج١، ص٣- ٥. بتصرف.

[٥٢٢] المصدر السابق، ج١، ص٣- ٢١.

[٥٢٣] المصدر السابق، ج١، ص٦.

[٥٢٤] المصدر السابق، ج١، ص٦.

[٥٢٥] المصدر السابق، ج١، ص٥

في هذا العصر الذي يتسم بالتنكر لحقائق الإيمان، والتمرد على سلطان الدين، تصبح ماسة إلى ما يساعد على جلاء تلك المعجزة، وتقريبها إلى الأفهام[٥٢٦]، ومن هنا كانت اختياري لهذا الموضوع [خصائص التعبير في القرآن الكريم وسماته البلاغية]"[٥٢٧].

٥- **محتوى الكتاب أبوابه وفصوله:** يكفي الباحث في كتاب المطعني النظر في عناوين أبواب الكتاب وفصوله فيدرك أن الكتاب عبارة عن دراسة لغوية، بلاغية، تفسيرية للوقوف على جانب الإعجاز البياني في القرآن الكريم، فقد جاء الكتاب في جزأين، من خمسة أبواب، مُتَضَمِّنَةً ثلاثة عشر فصلا، جعل بابه الأول مدخلا للبحث درس في فصله الأول وظيفة التعبير اللغوي، والفصل الثاني دراسة تاريخية للبلاغة الفنية في العصور الأولى: الجاهلي والإسلامي والأموي والعباسي. أما الباب الثاني وعنوانه: [خصائص التعبير في القرآن الكريم]، فقد فَنَّد في فصله الأول شبهة الصرفة ورد على القائلين بها، وفي الفصل الثاني ناقش آراء بعض مصنفي علم الإعجاز في القرآن قدامى ومحدثين، وفي الثالث تناول بعض خصائص التعبير القرآني التي يغلب عليها الجانب اللفظي منها: الحروف المقطعة أوائل السور، والنغم الصوتي، والتكرار، وفي الفصل الرابع تناول الخصائص التي يغلب عليها جانب المعنى منها: ثراء المعاني، واختلاف الأغراض، والتصوير ، وغيرها. وخص الباب الثالث بعلم المعاني في القرآن، فدرس في فصوله الحذف في القرآن بأنواعه وأسراره، والتقديم والتأخير. وخص الباب الرابع بعلم البيان في القرآن، ودرس في فصوله التشبيه والتمثيل، والمجاز في القرآن. وفي الباب الخامس والأخير تناول علم البديع في القرآن.

**ثانيا: حظ المتشابه اللفظي في القرآن من كتاب [خصائص التعبير القرآني]:**

كما نلحظ من عنوان الكتاب، فإنه ليس خاصا بالمتشابه اللفظي في القرآن، مقتصرا عليه؛ لكن المطعني درس فيه بعض مواطن المتشابه اللفظي كخِصِّيصَة من خصائص التعبير القرآني،

---

[٥٢٦] أي العقول.

[٥٢٧] المطعني، خصائص التعبير القرآني، ج١، ص٨

ولم تأت دراسة المطعني للمتشابه اللفظي في القرآن على أنه علم قد أُسِّسَ له، ووضعت قواعده، بل إن لفظ [المتشابه اللفظي في القرآن] لم أجد له أثرا في كتابه، رغم أنه تناول المتشابه اللفظي في كتابه على ثلاث صور مختلفة:

**الصورة الأولى**: فصل قائم بذاته – الفصل الثالث من الباب الثالث — وجه فيه عشرين موضعا من مواضع المتشابه اللفظي في القرآن، سَمَّاه: [التقديم غير الاصطلاحي، أو اختلاف النظم في العبارات ذات المعنى الواحد]، وهذا المسمى أول دليل على أن المطعني لم يقف على هذا العلم، ولا على كتب شيوخ المتشابه اللفظي في القرآن. أما سبب تسميته [التقديم غير الاصطلاحي] ذلك لأن المطعني في الفصل السابق لهذا الفصل بحث نوعين من التقديم: تقديم ما حقه التأخير ، وتقديم ما ليس له رتبة، ثم وجد نوعا ثالثا من التقديم، لا يدخل تحت أيٍّ من النوعين السابقين، فابتكر له اسم [التقديم غير الاصطلاحي] إذ لم أجد أحدا قبل المطعني استعمل هذا الاصطلاح، وقد بين هذا النوع قائلا: "إذا قارنت العبارة بموضع آخر اتحد معها في أصل المعنى ظهر لك أن الكلمة قدمت في موضع وأخرت في آخر"[٥٢٨]

**الصورة الثانية**: قضية التكرار– التكرار اللفظي، وتكرار القصص– وجاء في الفصل الثالث من

الباب الثاني، ووجه فيه تكرار الآيات في سور [القمر، والرحمن، والمرسلات] وجاء في ثلاث عشرة صفحة[٥٢٩]، كما ناقش بعض قصص القرآن، وبيان أسرار التكرار، وتحليل القصة في كل منازلها، وإثبات أن كل مرة تنزل فيها القصة تحمل معنى وخبرا جديدا، واستغرق ذلك أربعا وثلاثين صفحة[٥٣٠].

---

[٥٢٨] المصدر السابق، ج٢، ص١٤٧.

[٥٢٩] المصدر السابق، ج١، ص٣٢١ — ٣٣٢.

[٥٣٠] المصدر السابق، ج١، ص٣٣٣ — ٣٦٦.

**الصورة الثالثة:** تناول حوالي خمسة عشر موطنا أخرى من مواطن المتشابه اللفظي في القرآن في

أماكن متناثرة في كتابه من أوله لآخره[٥٣١]. والحق أنه حين تناول هذه المواطن بالتوجيه، كان يوجه فيها جانبا واحدا، أو مسألة وحيدة، هي موضوع الْمَبْحث الذي نزلت فيه آيتا المتشابه اللفظي في كتابه.

[٥٣١] مواضع هذه الآيات في الكتاب كما يلي: (١) وجه اختلاف الفاصلة في آيتي إبراهيم٣٤، والنحل١٨، [ج١، ص٢٢٨] (٢) وجه اتفاق الفاصلة في آيتي النور ٥٨ ، ٥٩ [ج١، ص٢٢٩] (٣) وجه اختلاف الحكم الإعرابي في آيتي النساء ٢٤ ، ٢٦ [ج١، ص٢٣٧] (٤) وجه ثلاث فواصل متحدة في آيات غافر ٦٤- ٦٦ [ج١، ص٣٠٨-٣٠٩] (٥) وجه تكرار فاصلة في ثلاث آيات متتابعات في البقرة ١٠١ – ١٠٣ [ج١، ص٣١٠ – ٣١١] (٦) وجه تكرار الأداة في كل من آيتي النحل ١١٠ و ١١٩ [ج١، ص٣٢٢- ٣٢٣] (٧) وجه تكرار الكلمة في كل من آيتي الرعد ٥، النمل ٥ [ج١، ص٣٢٤] (٨) وجه تكرار الفاصلة في السورة ككل مثل تكرار آية الرحمن ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ ، وآية القمر ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴾ ، وآية القمر ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ ، وآية المرسلات ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ [ج١، ص٣٢٤ -٣٣٢] (٩) وجه حذف الواو وذكره في آيتي الزمر ٧١، ٧٣ [ج٢ ، ص١١] (١٠) وجه حذف الواو في آية الكهف ٢٢ [ج٢ ، ص١٣] (١١) وجه حذف الواو في آيتي الحجر٤ ، وآية الشعراء٢٠٨ [ج٢، ص١٦] (١٢) وجه حذف حرف الجر الباء في آية آل عمران١٨٤، وإثباته في فاطر٢٥ [ج٢، ص١٧ -١٨] (١٣) وجه حذف حرف من بنية الكلمة في آيتي البقرة٣٨، وطه١٢٣ [ج٢ ، ص١٩- ٢٠] (١٤) وجه تشبيه التمثيل في آيتي إبراهيم١٨، والنور٣٩ [ج٢ ، ص٢٢٦] (١٥) وجه آيتي الحج٨ ، ولقمان٢٠ [ج٢ ، ص٣٩١].

**المطلب الخامس: خصائص منهج وأسلوب المطعني في توجيه المتشابه اللفظي في كتابه:**

١- اعتمد المطعني على نفسه في النظر والتأمل والاجتهاد للوقوف على أسرار الاختلاف اللفظي بين آيات المتشابه اللفظي، وهذا لا يمنع أنه رجع إلى كتب التفسير، وكتب اللغة، والبلاغة، لكنه نادرا ما يجد في [توجيه المتشابه اللفظي] شيئا في هذه الكتب، وهذا صحيح، إذ لم يلتفت علماء التفسير إلى هذا العلم [المتشابه اللفظي في القرآن] إلا نادرا، قال المطعني يبين ذلك: "وقد أحصيت من هذا النوع واحدا وعشرين موضعا في القرآن الكريم، فَرُحْتُ أبتغي لها توجيها عند المفسرين، فلم أجد إلا عبارات مقتضبة في مواضع قليلة جدا، لم تشف غليل باحث. وبدهي أن البلاغيين لم يعالجوا هذا النوع لا من قريب ولا من بعيد"[٥٣٢].

٢- رغم إشارته إليهم بأسمائهم في كتابه[٥٣٣]، لم يقف المطعني على مصنفات شيوخ المتشابه اللفظي في القرآن [الكرماني، والغرناطي، وابن جماعة، والأنصاري]، وقد وقف على مصنف وحيد [درة التنزيل للإسكافي] بعد أن انتهى من توجيهاته جميعا، قال في ذلك: "وبعد الفراغ من توجيهاتها كلها، واستفراغ كل جهدي في دراستها، بعد هذا كله عثرت على كتاب [درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز] للشيخ أبي عبد الله محمد بن الخطيب الإسكافي المتوفي ٤٢١هـ ... وعلى التَّوِّ قمتُ بمراجعة فاحصة لما كتبته في توجيهها، مقارنا بما جاء في كتاب الخطيب الإسكافي، وللحق أقول: إنني لم أغير كثيرا فيما انتهيت إليه من نتائج بعد اطلاعي على هذا الكتاب، وسوف أشير إلى رأيه ملخصا فيما يأتي عند توجيه كل موضع"[٥٣٤].

٣- لم يوجه المطعني آيات المتشابه اللفظي التي وقف عليها توجيها كاملا، ولم يتناول فيها إلا جانبا واحدا، ومسألةً وحيدة، هي موضع بحثه، ففي الفصل الذي وقفه على المتشابه اللفظي لم يبحث في آياته سوى تقديم لفظ ما في آية ما، وتأخيره

---

[٥٣٢] عبد العظيم المطعني، خصائص التعبير القرآني، ج٢، ص١٤٨

[٥٣٣] المصدر السابق، ج٢، ص٢٠. فقد وجدت في كتابه نقلا غير مباشر عن ابن جماعة والأنصاري والغرناطي [ج٢، ص٢٠] فقد نقل عنهم عن عبد الغني الراجحي في كتابه [ المناهج الجديدة في تفسير آيات الله المجيدة ] ، وهذا يؤكد أن المطعني قد علم بهذه الكتب ولم يقف عليها.

[٥٣٤] المصدر السابق، ج٢، ص١٤٩.

في أخرى تشابهت معها لفظا، ويؤكد ذلك العنوان الذي اختاره للفصل [التقديم غير الاصطلاحي]، فقد يكون في موطن التشابه الذي يوجهه مسائل عدة، لكنه ينصرف إلى مسألة وحيدة ألا وهي تقديم لفظ ما وتأخيره.

ففي الموضع الأول من المواضع العشرين التي تناولها بالتوجيه تناول التقديم والتأخير في:

قول الله تعالى: ﴿ وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا وَقُولُواْ حِطَّةٞ ﴾ (البقرة٥٨).

وقوله تعالى: ﴿ وَقُولُواْ حِطَّةٞ وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا ﴾ (الأعراف١٦١).

حيث عرض في إيجاز رأي الزمخشري، وأبي السعود، ثم الخطيب الإسكافي، والسيوطي، وانتقل قائلا: "رأينا في الموضوع: إن الذي ذكروه وإن كان صحيحا في نفسه فغير كاف لإقناع الباحث في كتاب الله، فهو أقرب للتوجيه العام من التحليل الموضوعي الدقيق .."[٥٣٥] ثم أخذ يوجه الآيتين توجيها – يراه جديدا – إلا أن توجيهه الذي أتى به – وهو بديع – ليس كله بجديد؛ فإنه وإن كان في توجيهه لمحات جديدة، إلا أن الغرناطي قد سبق إليه، بل إن الغرناطي قد أتى بما هو أبعد وأعمق مما وقف عليه المطعني، ولعل السبب أن المطعني يبحث في قضية ومسألة وحيدة، أما الغرناطي فينظر للآيات نظرة شاملة، وفي هاتين الآيتين كان أكثر إحاطة بدقائق الفروق بين الآيتين، فأَوَّلَ الآيتين ووجههما في المحيط الكلي الذي نزلتا فيه، فجمع آيتي البقرة:

﴿ وَإِذۡ قُلۡنَا ٱدۡخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ فَكُلُواْ مِنۡهَا حَيۡثُ شِئۡتُمۡ رَغَدٗا وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا وَقُولُواْ حِطَّةٞ نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطَٰيَٰكُمۡۚ وَسَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝٥٨ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوۡلٗا غَيۡرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمۡ فَأَنزَلۡنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ۝٥٩ ﴾ (البقرة٥٨-٥٩).

وآيتي الأعراف:

[٥٣٥] عبد العظيم المطعني، خصائص التعبير القرآني، ج٢، ص١٥٠-١٥١

﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُواْ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُواْ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٔـٰتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ قَوْلاً غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَظْلِمُونَ ﴾ (الأعراف١٦١-١٦٢).

وناقش فيهما عشر مسائل[٥٣٦]، وتناول هذه المسائل مسألة مسألة، فكان توجيه المتأخر منها ينبني على المتقدم، في تأويل وتوجيه متكامل بديع للآيات[٥٣٧].

٤- بنى المطعني توجيهاته على ثلاثة أسس؛ قال: "اضطررت إلى استئناف البحث في هذه المواضع جميعا معتمدا في توجيه السر فيها على ما يأتي:

الأول: شروح المفسرين، وما قاله بعضهم من عبارات مقتضبة لم تشف غليلا.

الثاني: ما كتبه الزركشي في البرهان عن بعض المواضع.

الثالث: وهو المعتمد الأهم، هو القرآن نفسه، أُوَازِن وأستنتج وأقف في كل موضع أدرسه ما اشتمل عليه من دقائق اللفظ والمعنى، وقرائن الأحوال واختلاف

---

[٥٣٦] الأولى: قوله جل وتعالى في سورة البقرة: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ ﴾ ، وفي الأعراف: ﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُواْ ﴾.

الثانية: قوله في البقرة: ﴿ فَكُلُوا ﴾ ، وفي الأعراف: ﴿ وَكُلُوا ﴾.

الثالثة: قوله في البقرة: ﴿ رَغَدًا ﴾ ، ولم يأت ذلك في الأعراف.

الرابعة: قوله في البقرة: ﴿ وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ ﴾ ، وفي الأعراف: ﴿ وَقُولُواْ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا ﴾

الخامسة: قوله في البقرة: ﴿ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَـٰيَـٰكُمْ ﴾ ، وفي الأعراف قراءة الجماعة غير أبي عمرو وابن عامر: ﴿ خَطِيٓـَٔـٰتِكُم ﴾ مجموعا جمع السلامة.

السادسة: قوله في البقرة: ﴿ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ ، وفي الأعراف: ﴿ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ .

السابعة: زيادة: ﴿ مِنْهُم ﴾ في الأعراف وسقوط ذلك في البقرة .

الثامنة: قوله في البقرة: ﴿ فَأَنزَلْنَا ﴾ ، وفي الأعراف: ﴿ فَأَرْسَلْنَا ﴾.

التاسعة: قوله في البقرة: ﴿ عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾ ، وفي الأعراف: ﴿ عَلَيْهِم ﴾.

العاشرة: قوله في البقرة: ﴿ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴾ ، وفي الأعراف: ﴿ بِمَا كَانُواْ يَظْلِمُونَ ﴾

[٥٣٧] راجع الغرناطي، ملاك التأويل، تحقيق عبد الغني الفاسي، ج١، ص٣٦-٤٠

المقامات والسابق واللاحق نزولا، وكان لهذا فضل توجيهي في كل المواضع التي تناولتها بالدراسة هنا"[٥٣٨].

٥- كان السياق أهم آلات المطعني - بل هو عمدته - في توجيه آيات المتشابه اللفظي التي تناولها، كما اعتمد على اللغة والبلاغة اعتمادا كبيرا في توجيهاته، وهذا واضح جلي في كل توجيهاته.

٦- السمة الغالبة لأسلوب المطعني هي البسط في توجيه المسألة التي يتناولها، حيث يعرض آراء المفسرين، ثم يفاضل بينها، ثم يعرض توجيهه الخاص، فنجده يبسط توجيه مسألة واحدة حتى تزيد على ست صفحات[٥٣٩]، إلا أننا نجده أحيانا يوجز التوجيه في بضعة أسطر[٥٤٠].

٧- استعمال أسلوب المناقشة وافتراض الأسئلة ثم الإجابة عنها. فتجده يتساءل قائلا: "لماذا قدمت شهادة الأمة على شهادة الرسول في البقرة، وعكس الأمر في الحج؟"[٥٤١] ثم يمضي يجيب عن سؤاله.

٨- على الرغم من قلة مواضع المتشابه اللفظي التي وجهها المطعني، إلا أننا نجد من بينها مواضع جديدة، لم يتناولها أحد من علماء توجيه المتشابه اللفظي السابقين، فقد وجه في الموضع الثالث مسألتين، في آيتين، لم أجدهما في أيٍّ من مصنفات علماء المتشابه اللفظي السابقين، فقد وجه تقديم شهادة الأمة على شهادة الرسول في قول الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗا ﴿١٤٣﴾ ﴾ (البقرة١٤٣)، وعكس ذلك في قوله تعالى: ﴿ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴿٧٨﴾ ﴾

---

[٥٣٨] المطعني، خصائص التعبير القرآني، ج٢، ص١٤٨

[٥٣٩] راجع توجيه الموضعين التاسع عشر، والعشرين: المصدر السابق: [ج١، ص١٨٩- ١٩٤] ، [ج٢، ص١٩٤ – ٢٠١].

[٥٤٠] راجع توجيه الموضع الرابع ، المصدر السابق، ج٢، ص١٥٨.

[٥٤١] المصدر السابق، ج٢، ص١٥٦.

(الحج٧٨)، كما وجه تقديم ﴿ عَلَيۡكُم ﴾ على ﴿ شَهِيدًا ﴾ في الأولى، وعكس في الثانية[٥٤٢].

٩- قد يُعْجَب برأي أحد العلماء في توجيه الآية، فيأخذ به، وينقل عنه، مسجلا إعجابه به، مكتفيا به[٥٤٣].

١٠- قد يقدم توجيهين لمسألة واحدة، فيقول: "فهم آخر"[٥٤٤]، أو يقول: "سبب آخر"[٥٤٥]، ثم يمضي يعرض توجيها آخر غير التوجيه الأول.

١١- رغم عدم اطلاع المطعني على مصنفات شيوخ المتشابه اللفظي إلا أن كثيرا من توجيهاته وافقت توجيهاتهم، حيث سبقوه إليها، وفي بعض الآيات التي وجهها المطعني نجده أتى بتوجيه جديد، إذ وجهها بعض العلماء السابقين، إلا أن توجيه المطعني أضاف جديدا لتوجيه السابقين. ومثال ما سُبِقَ إليه: توجيه المطعني للموضع السادس: حيث وجّه تقديم ﴿ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ ﴾ على ﴿ بِهِۦ ﴾ في قول الله تعالى: ﴿ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ﴾ (المائدة٣ ، الأنعام١٤٥، النحل١١٤)، وتأخيره في قول الله تعالى: ﴿ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ ﴾[٥٤٦] ( البقرة١٧٣)، قال المطعني: " إن ما قدم فيه ﴿ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ ﴾ على ﴿ بِهِۦ ﴾ خطاب لأهل مكة مسارعة إلى نفي الشرك وإبطالا لاتخاذ الأصنام آلهة تعبد ويذبح وينحر باسمها.... أما ما قدم فيه ﴿ بِهِۦ

---

[٥٤٢] المصدر السابق، ج٢، ص١٥٥ – ١٥٧.

[٥٤٣] المصدر السابق، ج٢، ص١٨٦ – ١٨٨.

[٥٤٤] المصدر السابق، ج٢، ص١٧٤.

[٥٤٥] المصدر السابق، ج٢، ص١٧٨.

[٥٤٦] كأن المطعني قد سها ونسخ آية البقرة(١٧٣) خطأ؛ إذ هي في كتابه: [وما أهل لغير الله به]، حتى أثناء توجيهه للآية لم ينتبه إلى ذلك الخطأ، وقال: "وجاءت العبارة على الأصل [وما أهل لغير الله به] في موضع واحد هو سورة البقرة". والصحيح: ﴿ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ ﴾، وهو الأساس – تقديم [به] على [لغير الله] – الذي بنى عليه توجيهه. راجع المصدر السباق، ج٢، ص١٦٢ – ١٦٣

﴾ على ﴿ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ ﴾ فهو خطاب لأهل المدينة، وهم ليسوا عباد أصنام ولا كافرين حتى يسارع معهم إلى نفي الشرك"[٥٤٧].

وفي توجيه هذه الآيات قال ابن جماعة: "وأيضا فآية النحل والأنعام نزلتا بمكة؛ فكان تقديم ذكر الله بترك ذكر الأصنام على ذبائحهم لما يجب من توحيده وإفراده بالتسمية على الذبائح، وآية البقرة نزلت بالمدينة على المؤمنين لبيان ما يحل وما يحرم فقدم الأهم، والله أعلم"[٥٤٨].

هذا وقد رصد الباحث مواضع أُخَر عديدة وافق فيها توجيه المطعني لعلماء المتشابه القدامى؛ حيث سبقوه إلى هذه التأويلات، منها: الموضع الخامس عشر: قول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُم مِّنۡ إِمۡلَٰقٖ ﴾ (الأنعام١٥١)، وقوله تعال: ﴿ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ خَشۡيَةَ إِمۡلَٰقٖ ﴾ (الإسراء٣١)، قال المطعني: "إن الخطاب في الأنعام مع قوم فقراء، يهمهم رزقهم أولا... وفي الإسراء الخطاب مع غير فقراء لكنهم يخشون وقوع الفقر في المستقبل"[٥٤٩]، فقد سبقه إلى مثل ذلك الإسكافي[٥٥٠]، والغرناطي[٥٥١]، والكرماني[٥٥٢]، وابن جماعة[٥٥٣]، والأنصاري[٥٥٤]؛ حيث لم يخرج توجيه المطعني عن توجيههم للآيتين، بل إن توجيه الغرناطي يعد أَجَلَّ التوجيهات؛ إذ زاد على ما وقف عليه الجميع قوله: " فقدم رزقه تعالى لهم لحصول فقرهم في الحال ليكون أمنع لهم، وكأن السياق يُشْعِرُ بتشفيع الأولاد في رفع فقر الآباء القاتلين، فكأن قد قيل لهم: إنما ترزقون بهم فلا تقتلوهم"[٥٥٥]، وكان توجيه كل من الكرماني وابن جماعة – على إيجازه الشديد – بديع

---

[٥٤٧] المصدر السابق، ج٢، ص١٦٣

[٥٤٨] ابن جماعة، كشف المعاني، ص٣٥-٣٦

[٥٤٩] المطعني، خصائص التعبير القرآني، ج٢، ص١٨٣.

[٥٥٠] راجع: الإسكافي، درة التنزيل، ص٧٤.

[٥٥١] راجع: الغرناطي، ملاك التأويل، ج١، ص١٧٢-١٧٣.

[٥٥٢] راجع: الكرماني، البرهان في توجيه متشابه القرآن، ص٥٥.

[٥٥٣] راجع: ابن جماعة، كشف المعاني، ص٥٦

[٥٥٤] راجع: الأنصاري، فتح الرحمن، ص٩٩

[٥٥٥] الغرناطي، ملاك التأويل، ج١، ص١٧٣

الأسلوب مع استيفاء المعنى حقه، فقد وجه الكرماني الآيتين قائلا: "لأن التقدير: من إملاق بكم، نحن نرزقكم وإياهم، وفي الإسراء خشية إملاق يقع بهم[٥٥٦]، نحن نرزقهم وإياكم"[٥٥٧].

[٥٥٦] وكان الأولى أن يقول: بكم؛ إذ الخطاب للآباء.

[٥٥٧] الكرماني، البرهان في توجيه متشابه القرآن، ص٥٥

**المبحث الثاني :**

## ياسين المجيد وكتاب [المبنى والمعنى في الآيات المتشابهات]

**تمهيد:**

يعد كتاب [المبنى والمعنى في الآيات المتشابهات في القرآن الكريم]، إضافة كبيرة لعلم المتشابه اللفظي في القرآن، وذلك لأن الدكتور ياسين وجّه فيه عددا كثيرا من الآيات المتشابهات الجديدة، والتي لم يوجهها أحد قبله، ولم يقف الكتاب على توجيه الجديد من آيات المتشابه اللفظي فقط، بل إنه أتى بتوجيهات جديدة لآيات متشابهات وجهها علماء المتشابه السابقون. ومن هنا فإن هذا الكتاب رفع بناء علم المتشابه اللفظي، وقفز به قفزة واسعة المدى، ذلك لأن الدكتور ياسين المجيد رغم رهبته من الموضوع، فقد خاض غمار هذا العلم بقوة، يقول ياسين المجيد: "وعلى الرغم من رهبتي من الموضوع – كونه يتعلق بأقدس المقدسات القرآن الكريم – وتوجسي وحذري وخوفي الشديد من الوقوع في الخطأ والزلل، إلا أن إيماني المطلق بالله، وثقتي بأنه سيعينني، ويوفقني، ويأخذ بيدي، وحبي الكبير لقرآني، وللغتي العربية، ولأمتي، ورغبتي الشديدة في عمل شيء يرضي الله، ويرضي الناس، ويكون عونا لي في دنياي وآخرتي، كان ذلك خير عزاء، وخير دافع"[٥٥٨]

فحين عزم لم يتردد، وفتح الله عليه بفضل واسع، وبصيرة نافذة ، فأمكنه من التجديد والإثراء.

### المطلب الأول: شخصية الدكتور عبد المجيد ياسين المجيد من خلال كتابه

مما يؤسف له أنه لم يتوافر للباحث عن شخصية الدكتور عبد المجيد ياسين المجيد إلا اسمه هذا الذي نجده على صدر كتابه، وتلك إحدى الصعوبات التي تواجه الباحثين إذا أردوا الوقوف على الأعلام المحدثين، وودت لو أن كل مصنف من المحدثين وضع موجزا لسيرته الذاتية في صدر أو آخر مصنفه.

وسوف نحاول هنا الوقوف على بعض ملامح شخصية الكاتب من كتابه:

[٥٥٨] ياسين المجيد، عبد المجيد، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م ، المبنى والمعنى في الآيات المتشابهات في القرآن الكريم، ط١، بيروت، دار ابن حزم، ص٩

١- من كلمات ياسين المجيد القليلة عن نفسه في المقدمة نقف على أنه قد دَرَسَ القرآن ودَرَّسَه؛ إذ يقول عن نفسه حين هم بتأليف هذا الكتاب: "فقد عقدت العزم على أن أحقق ما كنت أحلم به منذ زمن بعيد، أن أتعلم القرآن، وأعلم القرآن"[٥٥٩] ثم يدعو لنفسه في آخر المقدمة قائلا: " وأسأله سبحانه وتعالى أن يجعل القرآن رفيقي في الدنيا، وأنيسي في قبري، وشفيعي عنده يوم القيامة"[٥٦٠].

٢- سعة اطلاع ياسين المجيد وتنوع ثقافته، حيث نجد ذلك في كثرة وتنوع المصادر التي رجع إليها في تأليف كتابه والتي زادت على مائة وثلاثين مصدرا، وقد تنوعت مصادر كتابه حتى شملت سائر علوم اللغة، وعلوم القرآن، كما نجد ياسين المجيد يستعين بالعديد من الأحاديث في توجيه الآيات، ولا يخلو الكتاب من لمحات تدل على توسعه في الفقه.

٣- الكاتب نَقَّادَة بارع، ويظهر ذلك في رده على آراء السابقين بحجج وبراهين دامغة كما سيأتي.

٤- ياسين المجيد مجدد مبتكر، ويبرز ذلك في التوجيهات الجديدة لكثير من الآيات التي تناولها قدامى علماء المتشابه اللفظي، كما يتجلى أكثر في الآيات الجديدة التي وجهها ولم يسبقه إلى توجيهها أحد من القدامى أو المحدثين.

٥- تأثر الكاتب تأثرا واضحا بعدد من علماء توجيه المتشابه اللفظي قديما وحديثا، فمن القدامى يبرز تأثره بالإسكافي مؤسس هذا العلم وتقديمه على من سواه، اسمع إليه يقول: "ومع أن المؤلف [الغرناطي] قد حاول أن يجتهد في بعض المسائل، وأن يعارض بعض آراء الإسكافي، أو يضيف إليها آراء أخرى تظهر شخصية متميزة مستقلة، إلا أن كتاب [الدرة] هو أفضل وأشمل الكتب القديمة المستقلة التي كتبت في المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، كما أرى والله

[٥٥٩] المصدر السابق، ص٩

[٥٦٠] المصدر السابق، ص١٠

أعلم"[٥٦١]، ومن المحدثين يتجلى تأثره الشديد بالعلامة فاضل السامرائي في كثير من توجيهاته وآرائه والقواعد السامرائية[٥٦٢] في توجيه المتشابه اللفظي في القرآن.

## المطلب الثاني: التعريف بكتاب [المبنى والمعنى في الآيات المتشابهات في القرآن الكريم]

١- **موضوع الكتاب**: كما نرى من اسمه، الكتاب صُنِّفَ في علم المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، وقد التزم ياسين في كتابه هذا الباب من العلوم، فلم يخرج عنه إلى دراسة غيره من العلوم.

٢- **نوع الدراسة وقيمة الكتاب**: الكتاب دراسة جديدة وتوجيه للعديد من الآيات التي وجهها علماء المتشابه السابقين، كما أنه دراسة للعديد من آيات المتشابه اللفظي التي لم يقف عندها السابقون، ومن هنا فالكتاب يعد صرحا جديدا من صروح علم المتشابه اللفظي، بل إنه من أعظم صروحه.

٣- **سبب تأليف للكتاب**: يعبر ياسين المجيد عن سبب تأليفه لكتابه هذا قائلا: "وعندما حانت الفرصة، وتهيأت الأسباب، بدأت البحث في الموضوع الذي استهواني كثيرا، وشد انتباهي كثيرا، وأثار اهتمامي كثيرا" إذ نرى من كلماته أنه انشغل بهذا الموضوع طويلا ، وتعلق به تعلقا شديدا.

٤- **المسائل التي درسها الكتاب**: قد أحصيتُ المسائل التي درسها ياسين المجيد في كتابه، فوجدته وَجَّه [مائتين وثمان وخمسين مسألة]، كما اجتهدتُ في الوقوف على المسائل الجديدة التي وجهها ياسين المجيد، والتي لم يوجهها السابقون، ذلك بالنظر والرجوع إلى مصنفات توجيه المتشابه اللفظي السابقة، فوجدت أن من بين مسائله التي وجهها [مائة وتسعا وسبعين مسألة]، لم يقف عندها علماء

---

[٥٦١] المصدر السابق، ص٧٧، لكني لا أتفق مع ياسين المجيد في ذلك، إذ أني لا أنكر فضل وسبق وريادة الإسكافي لعلم المتشابه اللفظي في القرآن، لكن كتاب الغرناطي [ملاك التأويل] أوسع وأشمل وأكثر إحاطة وأقوى حجة وبرهانا.

[٥٦٢] هذا التركيب [القواعد السامرائية في توجيه المتشابه اللفظي] موضوع أحد مباحث الفصل الثاني من الباب الثالث.

توجيه المتشابه اللفظي السابقون، وهذا العدد الجديد من مسائل المتشابه اللفظي يعطي الكتاب قيمة علمية عظيمة.

٥- **محتوى الكتاب وخطته:** جاء الكتاب في أربعمائة وأربع وخمسين صفحة، وقد عرض ياسين المجيد في مقدمة كتابه خطة موجزة لمحتوى الكتاب، إذ جاء الكتاب في مقدمة موجزة، وتمهيد طويل زاد على خمس عشرة صفحة، وستة فصول، أما التمهيد فقد تحدث فيه عن المبنى والمعنى في اللغة والاصطلاح ، وفي القرآن الكريم، وعند علماء اللغة والعلاقة بينهما. ودرس في الفصل الأول المحكم والمتشابه، وأنواع المتشابه اللفظي وكتبه. أما الفصل الثاني فقد درس فيه الآيات المتشابهات بالحروف فقط. وفي الفصل الثالث درس الآيات المتشابهات بالأفعال فقط. وفي الرابع درس الآيات المتشابهات بالأسماء فقط. وفي الخامس درس الآيات المتشابهات بالتقديم والتأخير، والذكر والحذف. وفي السادس درس الآيات المتشابهات في الظروف، والإظهار والإضمار، والتعريف والتنكير، والتذكير والتأنيث، والإفراد والجمع والتثنية ، والشبه العام في اللفظ والمعنى[٥٦٣].

٦- **أثر السابقين في كتاب [المبنى والمعنى]:** برز أثر عدة كتب من مصنفات المتشابه اللفظي في كتاب ياسين المجيد، ولعل أبرزها [درة التنزيل] للإسكافي، و[البرهان] للكرماني، و[ملاك التأويل] للغرناطي، ثم يأتي كتاب [التعبير القرآني] لفاضل السامرائي فيأخذ حظا وافرا من التأثير، إذ أننا كثيرا ما نجد هذه الكتب الأربعة قد اجتمعت في مسألة واحدة يستعرض فيها ياسين المجيد رأي كل منها في المسألة قبل أن يعرض رأيه، كما يبرز بروزا جليا تأثر ياسين المجيد في كتابه بثلاثة تفاسير: الرازي، والزمخشري، والشعراوي، كما يلحظ الناظر في كتاب [المبنى والمعنى] يد الأصفهاني بارزة بكتابه [المفردات].

٧- **لا أثر لابن جماعة ولا للأنصاري** : يبدو أن ياسين المجيد لم يقف على كتاب ابن جماعة [كشف المعاني] ولا على كتاب [فتح الرحمن] للأنصاري، رغم أنهما

[٥٦٣] راجع مقدمة الكتاب، ص٩-١١

من أهم وأشهر كتب توجيه المتشابه اللفظي، حيث لا نجد أثرا لهذين الكتابين في كتاب ياسين المجيد.

**المطلب الثالث: خصائص منهج وأسلوب ياسين المجيد:**

١- لم يَرْتَضِ ياسين المجيد منهج القدامى في تناولهم لآيات المتشابه اللفظي، والذي وصفه بالمنهج السردي[٥٦٤]، واختار المنهج الذي استحدثه فاضل السامرائي، وقسم المتشابه اللفظي أقساما وأنواعا، فجعل للآيات المتشابهات في الحروف قسما، وأفرده بفصل من كتابه، وللآيات المتشابهات في الأفعال قسما آخر، وأفرده بفصل، وللآيات المتشابهات بالأسماء قسما ثالثا، وأفرده بفصل، وهكذا حتى بلغت أقسام المتشابه اللفظي في كتابه أحد عشر قسما، ويمكن أن نجده يجعل القسم أنواعا، كما في الآيات المتشابهات بالحروف، فجعله نوعين: حروف المعاني ، وحروف المباني.

٢- دراسة مسألة واحدة في موضع التشابه، وقد التزم ياسين المجيد ذلك في كتابه، فنادرا إن وجدناه يدرس أكثر من مسألة في موضع واحد، وذاك دأب المحدثين، فقد سبقه إلى ذلك المطعني، والسامرائي، وأول من سلك هذا النهج هو الكرماني -رحمه الله- وسار ابن جماعة والأنصاري على منواله، وسلك كل المحدثين منهج الكرماني عدا محمد الصامل.

٣- يتلخص منهج تناول ودراسة مسائل المتشابه اللفظي في كتاب [المبنى والمعنى] في طريقين:

**الأول**: وخطواته كما يلي:

- بيان القاعدة النحوية في إيجاز[٥٦٥].
- ثم يعرض آراء السابقين – إن وجد – بادئا بالإسكافي فالكرماني فالغرناطي ثم فاضل السامرائي.
- ثم يعرج على كتب التفسير خاصة تفاسير الرازي والزمخشري والشعراوي – إن وجد.

---

[٥٦٤] ياسين المجيد، عبد المجيد، المبنى والمعنى، ص٧٧

[٥٦٥] مثل: بيانه لعمل [ لن ] و [ لا ] النافية، المصدر السابق، ص٨٨، وكذلك بيانه للفرق بين النفي بـ [ لا ] و [ ما ]، ص٩٠

- ثم يعرض رؤيته هو ونتائج التحليل لموضع التشابه، وقد التزم ذلك في أكثر مسائل الفصل الثاني [الآيات المتشابهات بالحروف].

**الثاني**: وخطواته كما يلي:

- يبدأ فيه ببيان المعاني اللغوية لبعض مفردات الآيتين موضع المسألة، وعمدته في ذلك [المفردات] للأصفهاني، و[اللسان] لابن منظور.
- ثم يعرض آراء السابقين – إن وجد – قدامى ومحدثين من علماء المتشابه اللفظي والمفسرين.
- ثم يعرض رأيه الخاص والنتائج التي وقف عليها. ونلاحظ أن حظ النحو في الطريق الثاني قليل، وقد التزم هذا الطريق في باقي كتابه، بداية من الفصل الثالث وحتى الأخير.

٤- اعتمد ياسين المجيد أسلوب شَيْخَيْ المتشابه اللفظي [الإسكافي ، الغرناطي] في طريقة توجيه مسائل المتشابه اللفظي، إذ أنه يعرض الآيتين أو الآيات موضع التشابه، ثم يعرض سؤالا وحيدا، ثم يهم بالجواب عن هذا السؤال، وذلك كان منهج كل من الإسكافي والغرناطي إلا أنهما كانا يناقشان مسائل عدة في الموطن الواحد.

٥- جاء توجيه ياسين المجيد لمسائله توسطا بين البسط والإيجاز، وذلك في أكثر المسائل، إلا أننا نجده أحيانا يزيد ويبسط حتى أنه ليوجه مسألة وحيدة في أربع صفحات[٥٦٦]، ونجده في أحايين أُخَر يوجز إيجازا شديدا حتى لا يتجاوز توجيهه للمسألة سطرين[٥٦٧] أو ثلاثة[٥٦٨]، إلا أن الكثير الغالب هو التوسط بين البسط والإيجاز.

٦- السياق عمدة لدى ياسين المجيد في توجيهه لمسائل المتشابه اللفظي، إذ أنه يوجه الآيات في المحيط والسياق التي نزلت فيه، اسمع إليه يقول: "ومن خلال سياق

[٥٦٦] المصدر السابق، ص٢٩٧- ٤٠١

[٥٦٧] المصدر السابق، ص٤٣٦، ص٤٣٨

[٥٦٨] المصدر السابق، ص٤٣٧، ص٤٣٨

الآيتين يظهر لنا..."[٥٦٩]، ويقول: "ولو عدنا إلى سياق الآيتين لوجدنا..."[٥٧٠]، كثيرا ما نجده يرجع إلى أول السورة، ويستعرض القضية والموضوع العام لها[٥٧١]، كما نجده أحيانا يستعرض السورة باحثا عن عدد مرات ورود لفظ ما فيها اسمع إليه يقول: "فإن لفظ [العبادة] ومشتقاتها قد وردت في سورة الأنبياء ثماني مرات، ووردت في المؤمنين[٥٧٢] مرتين فقط.."[٥٧٣].

٧- كان لياسين المجيد شخصية بارزة في كتابه، وذلك بالرد على أساتذة وشيوخ علم المتشابه، والإتيان بآراء جديدة لها وجاهتها، فنكاد لا نجد مسألة في كتابه وقف عليها علماء المتشابه بالتوجيه إلا وأضاف ياسين المجيد إلى توجيهاتهم رأيا جديدا، فمن ميزاته أنه لم يسلم تسليما لكلام السابقين، إنما يأخذ منه ويرد، وحين يرد لا يرد عن هوى ولا اعتباطا إنما عن حجة وبيان، ومن ذلك توجيهه لآيتي:

- ﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴾ (التكوير١٤).
- ﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴾ (الانفطار٥).

بعد أن عرض في إيجاز رأي كل من الإسكافي والكرماني والغرناطي والرازي قال: "وما أضيفه إلى ما تقدم: إن الآية الأولى فيها إجمال دون تفصيل؛ لأن السورة تتحدث عن خراب الكون وقيام الساعة دون الحديث عن الحساب وما ينتج عنه إما إلى نار أو إلى جنة فجاء الكلام مجملا، أما آية الانفطار: ففيها تفصيل بعد إجمال؛ فالحديث عن قيام الساعة وما بعد قيام الساعة، كذلك فيها ثنائية واضحة ... [تكذبون ويعلمون] ، و[أبرار وفجار] ، و[نعيم وجحيم] ، و[ حاضرين وغائبين ] .."[٥٧٤]، وفي إضافة أخرى بديعة في توجيه تعاور ﴿

[٥٦٩] المصدر السابق، ص١١٣

[٥٧٠] المصدر السابق، ص١١٤

[٥٧١] المصدر السابق، ص٢٠٢- ٢٠٣

[٥٧٢] الصحيح: [المؤمنون] إذ أن اسم السورة هنا علم يعرب على الحكاية، فلا يوجد في القرآن سورة اسمها [المؤمنين].

[٥٧٣] ياسين المجيد، عبد المجيد، المبنى والمعنى، ص٢١٣

[٥٧٤] المصدر السابق، ص٢٣١- ٢٣٢

﴿ فَأَصَابَهُم ﴾ و ﴿ وَبَدَا لَهُمْ ﴾ قال: "وما أضيفه إلى ما قاله علماؤنا في هذه المسألة لا يتعلق بما قالوه فيها، فقد خرجوها تخريجا مناسبا، ولكن أضيف ما أغفلوه من تفريق بين ﴿ فَأَصَابَهُم ﴾ و ﴿ وَبَدَا لَهُمْ ﴾ فقد استخدم القرآن ﴿ فَأَصَابَهُم ﴾ في موضع (النحل ٣٤، والزمر٥)، واستخدم ﴿ وَبَدَا لَهُمْ ﴾ في موضع آخر ( الزمر٤٨، والجاثية٣٣) فمتى يكون ذلك؟ عندما يتحدث القرآن عن الماضي والمستقبل يستخدم ﴿ فَأَصَابَهُم ﴾"[٥٧٥] ثم يسوق الآيات التي تؤيد كلامه، ثم يقول: " أما عندما يتحدث عن المواجهة وعن اللحظة الحاضرة يستخدم ﴿ وَبَدَا لَهُمْ ﴾"[٥٧٦] ثم يسوق الآيات التي تؤيد ذلك.

٨- تبرز خاصية النقد في أسلوب ياسين المجيد واضحة، ففي توجيهه لآيتي:

- ﴿ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾ (الكهف٧٨).
- ﴿ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾ (الكهف٨٢).

ذكر صاحب البرهان وعلل هذه المسألة بقوله: جاء في الأولى [تستطع] على الأصل، وفي الثانية [تسطع] على التخفيف لأنه فرع. ورد عليه ياسين المجيد تعجبا: "قد يكون ذلك صحيحا، ولكن لماذا خفف ولم يجر على الأصل أيضا؟ أليس هناك من سبب؟ ما هذا السبب يا ترى؟"[٥٧٧] ثم مضى يعرض السبب.

وفي توجيهه آيتي:

- ﴿ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴾ (التكوير٦).
- ﴿ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴾ (الانفطار٣).

قال: "وردت هذه المسألة في الدرة والبرهان والملاك، كما وردت في التفاسير ومنها تفسير الرازي، واللافت للنظر في هذه المسألة اتفاق العلماء جميعهم على

[٥٧٥] المصدر السابق، ص٢٠٥- ٢٠٦

[٥٧٦] المصدر السابق، ص٢٠٦

[٥٧٧] المصدر السابق، ص١٥١

أن ﴿ سُجِّرَت ﴾ معناها أضرمت نارا ... وجاءوا بتفسيرات بعضها مألوف ومنطقي ويقترب من الحقيقة، وبعضها الآخر يبتعد كثيرا ليصبح غير معقول، أو مقبول في عصرنا الحاضر، عصر التطور العلمي، كقولهم مثلا : إن الشمس والقمر يقعان في قاع البحر فيشتعلان نارا ملتهبة، وأن فجرت معناها اختلطت المياه العذبة بالمياه المالحة وغير ذلك من تفسيرات، والحقيقة العلمية التي أصبحت معروفة هي..."[٥٧٨] ثم مضى يعرض التأويل العلمي للآيتين.

٩- اعتمد ياسين المجيد التفسير العلمي للقرآن الكريم، وكان لذلك الفضل في توجيه بعض الآيات التي غمضت على علماء توجيه وتفسير القرآن، وقد استعان بالتفسير العلمي في مواطن كثيرة من كتابه، فقد نقض ما ذهب إليه علماء توجيه المتشابه وعلماء التفسير في تأويل آيتي:

- ﴿ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ سُجِّرَتۡ ﴾ (التكوير٦).
- ﴿ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ فُجِّرَتۡ ﴾ (الانفطار٣).

قال: "والحقيقة العلمية التي أصبحت معروفة هي أن البحار مُتَوَضِّعة على فوهات بركانية عظيمة وقديمة ومغلقة تنتظر ساعتها، وكلنا شاهد عبر وسائل الإعلام المرئية كيف تثور البراكين، حيث تبدأ بإطلاق القذائف البركانية من الصخور والحمم التي تحرق الأخضر واليابس وتحول الأرض إلى سيل من النار الملتهبة المتحركة، وهذا ما أشار إليه القرآن بقوله: [فُجِّرَت ، وسُجِّرَت] فالتفجر أولا، ثم السجور ثانيا، لأننا نعرف أن النار الملتهبة إذا صببت عليها الماء تزداد اشتعالا[٥٧٩]، لذلك قال سجرت"[٥٨٠]. وفي توجيهه لآيتي:

- ﴿ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ﴾ (الشمس٣).
- ﴿ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴾ (الليل٢).

---

[٥٧٨] المصدر السابق، ص٢٢٩- ٢٣٠

[٥٧٩] من المعلوم أن البترول إذا اختلط بالماء فإنه يطفو على السطح، كما أن تحلل الماء إلى عنصريه [الأكسجين ، والهيدروجين] يزيد المواد السائلة على سطحه اشتعالا.

[٥٨٠] ياسين المجيد، عبد المجيد، المبنى والمعنى، ص٢٣٠

قال: "الاختلاف هنا في عودة الضمير، فالضمير في الآية الأولى يعود إلى الشمس، وفي الآية الثانية يعود إلى النهار، وفي الحالتين فإن النهار هو صاحب الفعل، والقائم به، وهذه إشارة واضحة إلى أن الشمس ثابتة، والنهار والليل هما المتحركان، وهذه الإشارة التي غابت عن كثير من المفسرين، وإن كان بعضهم قد تنبه وأشار إشارات لا تخلو من ذكاء وعلمية"[٥٨١].

١٠- قد يوجه ياسين المجيد موضع تشابه ما، سبقه إليه بعض علماء توجيه المتشابه اللفظي ولا يشير إلى ذلك، وقد تكرر منه ذلك، فمن ذلك آيتا [المائدة١ ، والحج ٣٠][٥٨٢]، وآيتا [هود٧٧، والعنكبوت٣٣][٥٨٣]، وآيتا [النحل٧٠، والحج٥][٥٨٤]، وآيات [الكهف ٦٧، و٧٢، و٧٥][٥٨٥]، وآيتا [الحج٦٢، ولقمان٣٠][٥٨٦]، وآيات [الذاريات١٩، والمعارج٢٥،٢٤][٥٨٧]. وأصل منهجه أن يبدأ بعرض آراء الإسكافي، والكرماني، والغرناطي، إلا أننا نجده – وهذا نادر – يؤخر ذلك ويشير إليه إشارة عابرة قائلا: "وقد وردت هذه المسألة في الدرة والبرهان والملاك"[٥٨٨].

١١- اجتهد ياسين المجيد في استدراك الآيات التي لم يقف عليها السابقون في كثير من المسائل، ففي حين وجه الغرناطي اختلاف صيغة الفعل ما بين [نَجَّى] و [أَنْجَى] في آيتي [البقرة٤٩ ، والأعراف١٤١]، فقد وجه ياسين المجيد هذا الاختلاف في أربع آيات [البقرة٤٩، ٥٠، والنمل٥٣، وفصلت١٨]، لكننا – وللأسف – نلاحظ أنه أغفل آية الأعراف١٤١.

---

[٥٨١] المصدر السابق، ص٢٣٣.

[٥٨٢] المصدر السابق، ص٣٣٤ / والغرناطي، تحقيق: الفاسي، ج١، ص١١٦.

[٥٨٣] المصدر السابق، ص٣٤٥ / والغرناطي، تحقيق: الفاسي، ج٢، ص٢٦١.

[٥٨٤] المصدر السابق، ص٣٥٠ / والغرناطي، تحقيق: الفاسي، ج٢، ص٣٠٢.

[٥٨٥] المصدر السابق، ص٣٥١ / والغرناطي، تحقيق: الفاسي، ج٢، ص٣٢٢.

[٥٨٦] المصدر السابق، ص٣٦٠ / والغرناطي، تحقيق: الفاسي، ج٢، ص٣٦٢.

[٥٨٧] المصدر السابق، ص٣٦٢ / والغرناطي، تحقيق: الفاسي، ج٢، ص٤٥٠.

[٥٨٨] المصدر السابق، ص٣٢٦.

١٢- ترك ياسين المجيد – أو غفل عن – بعض الآيات التي تشابهت لفظا مع بعض مواضع المتشابه التي وجهها، من ذلك مثلا أنه وجَّه آيتي:

- ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۘ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ ﴾ (الأعراف٧٣)

- ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ ﴾ (النمل٤٥)[٥٨٩]

- وترك آية هود: ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ ﴾ (هود٦١)، ولا أدري أتركها عمدا لأنها تطابقت في لفظها تماما مع آية الأعراف فهما لديه سواء، أم أنه غفل عنها؟

ومن ذلك أيضا أنه وجه آيتي:

- ﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴾ (الأعراف١٨٥).

- ﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴾ (الجاثية٦)[٥٩٠].

وترك آية المرسلات:

- ﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ (المرسلات٥٠).

وأقول هنا: إن كان تركها سهوا وغفلة فلا بأس، وإن كان تركها عمدا لعدم وقوفه على أسرارها فلا بأس أيضا، أما إن كان تركها عمدا باعتبار أن تلك الآيتين المتطابقتين لفظا لا فرق بينهما، وهما سواء، فذاك ما نرفضه، ولا نقبله، فكل لفظة نزلت في منزلها في كتاب الله لحكمة من الله، أما أن نقول إنه تكرار لفظي لا جديد فيه، فأولى بنا أن نرد العجز إلى أنفسنا، ونتهمها بعدم القدرة على الوقوف على خبايا وأسرار تلك الآية.

١٣- أحيانا نجد ياسين المجيد يوجه آيات ليست من المتشابه اللفظي، يجتهد في بيان أسرارها، من ذلك توجيهه لآيتي:

---

[٥٨٩] المصدر السابق، ص٣٣٩.

[٥٩٠] المصدر السابق، ٣٨٩.

- ﴿ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ (النساء٧٧).
- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ (التوبة٣٨)، حيث سأل في هاتين الآيتين سؤالا: "ما الفرق بين الأسلوبين؟ ولماذا استخدم القرآن الكريم كل أسلوب في موضعه؟"[٥٩١].

١٤- كثيرا ما ختم ياسين المجيد توجيهه لآيات المتشابه اللفظي بكلمة موجزة عن أثر وقيمة وبلاغة المتشابه اللفظي، وله في ذلك العديد من التعليقات البديعة، منها قوله: "وهكذا فإن أهم ميزة من ميزات المتشابه اللفظي أنه يكمل بعضه بعضا"[٥٩٢]، وقوله: "وهذا هو المتشابه اللفظي في القرآن الكريم لقطات متناثرة بين السور، كل واحدة تركز على جانب من جوانب الحدث أو الأحداث وتبرزه، فإذا جمعت إلى بعضها ورتبت بشكل صحيح ظهرت لنا القصة كاملة متكاملة، بكل شخوصها، وأحداثها، وزمانها، ومكانها، وأبطالها، ومقوماتها، ونهايتها، دون تكرار، أو استطراد، أو خلل، أو زيادة، أو نقص، وبأسلوب قرآني متميز ومتمكن ورصين"[٥٩٣]، واسمع إلى قوله: "فالتشابه اللفظي إحاطة بالصورة من جميع جوانبها، والقرآن كله متشابه من هذه الناحية، ولكن الاختلاف في زاوية النظر إلى الصورة، ونقطة التركيز في الصورة، فإذا وقف على لقطة منها أو على

[٥٩١] المصدر السابق، ص٣٣٣.
[٥٩٢] المصدر السابق، ص١٨١.
[٥٩٣] المصدر السابق، ص٣٤٧.

جزء منها فهذا لا يعني غياب بقية أجزاء الصورة، بل حاضرة في الذهن وحاضرة على الورق، ولكنها موزعة بين السور والآيات، والجمال والإبداع والكمال يكون عند التقاط هذه الأجزاء وضمها إلى بعضها، وترتيبها بما يظهر جمال الصورة، وعظمة المصور"[٥٩٤]، وحقيقةً إن لياسين المجيد العديد من التعبيرات البديعة التي تؤصل روعة المتشابه اللفظي وأثره وفوائده وأغراضه وبلاغته[٥٩٥].

**المطلب الرابع: مآخذ على ياسين المجيد في كتابه**

إن كتاب [المبنى والمعنى] في جملته قيمة علمية عظيمة، ولبنة كبيرة ارتفع بها صرح علم المتشابه اللفظي، لكن ذلك لا يمنع من وجود هنات وزلات، فلا أحد معصوم بعد محمد ﷺ، ولولا أني وجدتها – على وهنها – كثيرة وملفتة، ما أشرت إليها، وإني حين ألفتُ النظر إليها هنا، لا أقصد بذلك النيل من الكتاب، بل إن تلك الهنات والزلات تذوب وتتلاشى أمام فضل الكتاب وأهميته، ولكني قصدت استدراكها في المستقبل من الكاتب فلعله يطلع على ذلك البحث، وكذلك للباحثين والدارسين الذي قد ينتفعون بهذا الكتاب مستقبلا، فمن خلال دراستي لكتاب [المبنى والمعنى] وجدت ما يلي:

١- عرَّف ياسين المجيد [المتشابه اللفظي في القرآن] تعريفا عجيبا غريبا، فقد عرَّفه قائلا: "من خلال العرض الذي سبق ... نستطيع أن نضيف تعريفا جديدا ومستنبطا ... فنقول: المتشابه اللفظي في القرآن الكريم هو الحرف يشبه الحرف، والكلمة تشبه الكلمة، والجملة تشبه الجملة، والتركيب يشبه التركيب، والعبارة تشبه العبارة، والآية تشبه الآية، أي اللفظ يشبه اللفظ، والمعنى يشبه المعنى"[٥٩٦] وهذا تعريف مردود، منقوض، بل إنه نقض نفسه بنفسه، فإذا كان اللفظ يشبه اللفظ، والمعنى يشبه المعنى، فلماذا أجهد نفسه؟ ولماذا أجهد العلماء السابقون أنفسهم في توجيه الآيات المتشابهات لفظا؟!

---

[٥٩٤] المصدر السابق، ص٣٣٨.

[٥٩٥] من أراد المزيد فليراجع هذه الصفحات : ١٩٠، ٢٢٩، ٣٤١، ٣٧٤، ٣٩٢، ٤٣٢، كما يوجد في ثنايا الكتاب العديد من هذه اللفتات الجميلة عن المتشابه اللفظي.

[٥٩٦] المصدر السابق، ص٧٩.

٢- نقل ياسين المجيد عن المعجم الوسيط في بيان معنى المحكم نقلا خطأ، ففهم بسبب الخطأ في النقل عكس مقصود المعنى، فرده ونقضه، حيث قال: "ونختتم تعريفنا للمحكم بما جاء في المعجم الوسيط: فالمحكم هو المتقن من القرآن، والمحكم بالظاهر الذي لا شبهة فيه، ولا يحتاج إلى تأويل"، ويتابع قائلا: "أما قوله: المحكم هو المتقن من القرآن، فالقرآن كله متقن، وليس فيه متقن وغير متقن كما تعبر عن ذلك [من] التبعيضية، والأصح أن نقول: هو إتقان القرآن وإحكامه"[٥٩٧].

وقد تأكد للباحث أن ياسين المجيد نقل خطأ عن المعجم الوسيط، والصحيح الذي ورد في المعجم الوسيط هو: "المحكم: المتقن، ومن القرآن: الظاهر الذي لا شبهة فيه ولا يحتاج إلى تأويل، وفي التنزيل العزيز: ﴿ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ ﴾"[٥٩٨]، فقد فسر المعجم [ المحكم ] لغةً بالمتقن، ثم قال: ومن القرآن، أي: والمحكم من القرآن: هو الظاهر الذي لا شبهة فيه ولا يحتاج إلى تأويل. فهذا هو النقل الصحيح والفهم الصحيح لما جاء في المعجم الوسيط[٥٩٩].

٣- ذكر ياسين المجيد أنه سيتحدث عما يزيد عن ألفي آية في بحثه لكن كتابه لم يتجاوز مائتين وثمان وخمسين آية، قال: "أحصيت فيما تكرر من الآيات أكثر من [٣٠٠] آية وضعتها جانبا؛ لأنها ليست مدار بحثي ... أما ما تشابه من الآيات فإن عددها قد زاد على ألفي آية، سأتحدث عنها في أثناء هذا البحث بمشيئة الله"[٦٠٠]، ولعله قصد أنه سيفعل ذلك في إصدارات وأجزاء متتابعة، والله أعلم.

---

[٥٩٧] المصدر السابق، ص٣٩- ٤٠.

[٥٩٨] المعجم الوسيط، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م، مجمع اللغة العربية مصر، ط٤، مصر، مكتبة الشروق الدولية، ج١، ص١٩٠، مادة حكم.

[٥٩٩] وكان أولى بياسين المجيد أن يدرك أن الأساتذة الأجلاء الذين وضعوا المعجم الوسيط ما كانوا ليغيب عنهم أن القرآن كله متقن، وما كانوا ليزلوا فيصفوا بعض القرآن بغير المتقن، وما كان لمجمع اللغة العربية أن يضع كتابا يحمل مثل هذه الزلة.

[٦٠٠] ياسين المجيد، عبد المجيد، المبنى والمعنى، ص٧٨.

٤- ذكر ياسين المجيد أن فرعون وقومه قد أغرقوا في نهر النيل على غير الراجح، حيث قال إن سورة "الشعراء تتحدث عن قوم فرعون وما حل بهم من إغراقهم في نهر النيل"[٦٠١]، فإن العديد من المفسرين يرون أن البحر الذي انشق لموسى في قول الله تعالى: " ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ ﴾ إنما هو بحر القلزم على الصحيح"[٦٠٢] كما أن الصورة التي عرضها القرآن لمشهد انفلاق البحر تدل دلالة واضحة على أنه البحر[٦٠٣] وليس النهر، قال الله تعالى: ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ (الشعراء٦٣)، فقد أجمع المفسرون على أن الطود العظيم هو الجبل العظيم الضخم، وهذا الوصف لا يصلح لماء النهر؛ لأن عمق النهر أدنى بكثير من عمق البحر، لذا فإن الوصف في الآية أليق بالبحر، والله أعلم.

٥- سها ياسين المجيد مراتٍ في ذكر الآيات القرآنية، وإليكم أمثلة لذلك:

**المثال الأول:** ساق هاتين الآيتين:

- ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ ﴾ [ (البقـــــــــرة ٢٣٣، و٢٣٦)، (الأنعام١٥٢، و٢٣٣، و٢٨٦).
- ﴿ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ الأعراف٤٢، والمؤمنون٦٢[٦٠٤]

وسها فيهما في ثلاثة أمور هي:

**الأول:** نسب الآية الأولى لغير موضعها الصحيح في القرآن، فإنها لم ترد إلا في البقرة الآية

---

[٦٠١] المصدر السابق، ص٢١٥.

[٦٠٢] الألوسي، محمود أبو الفضل، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، بيروت، دار إحياء التراث، ج ١٩، ص ٨٩ / البقاعي، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تحقيق: عبد الرازق غالب، بيروت، دار الكتب العلمية، ج٥، ص٣٦٥ / سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، ١٤١٢هـ، في ظلال القرآن، ط١٧، بيروت، والقاهرة، ج٥، ص٢٥٩٧ / الطنطاوي، محمد سيد، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ط١، الفجالة، القاهرة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ج ١٠، ص ٢٥٢.

[٦٠٣] والراجح أنه البحر الأحمر، الذراع اليسرى منه المسمى اليوم خليج السويس، والله أعلم.

[٦٠٤] ياسين المجيد، المبنى والمعنى، ص٢٤١- ٢٤٢

٢٨٦، أما الآية الثانية فإنها وردت في [الأنعام ١٥٢] إلى جانب [ الأعراف٤٢، والمؤمنون٦٢]

**الثاني**: بالنظر في تأويله وتوجيهه للآيات، نجد أنه قصد آية أخرى ثالثة، لم يذكرها، وهي:

﴿ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ (البقرة٢٣٣).

**الثالث**: سها وترك آية رابعة هي موضع توجيهه، إذ يقارن وجه الاختلاف بينها وبين الثلاث الأخرى، وهي قول الله تعالى:

﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ﴾ (الطلاق٧)[٦٠٥].

**المثال الثاني**: نقل إحدى الآيات نقلا خطأ، وزاد فيها ما ليس منها، حيث زاد:

﴿ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ ﴾ في الآية الثانية من الآيتين الآتيتين:

- ﴿ وَمَن يُؤْمِنْ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾ (التغابن٩).
- ﴿ وَمَن يُؤْمِنْ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا [ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ] يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾ (الطلاق١١)[٦٠٦].

**المثال الثالث**: في أحد مواضع توجيهاته، بدلا من أن يذكر الآية موضع التوجيه، ذكر الآية التي تليها، ونجد ذلك في:

- ﴿ وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ﴾ (الأعراف٤).
- ﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴾ (الأعراف٩٧).

---

[٦٠٥] راجع: ياسين المجيد، المبنى والمعنى، ص٢٤١- ٢٤٢

[٦٠٦] المصدر السابق، ص٣٦٦

- ﴿ أَفَأَمِنُواْ مَكۡرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾ (الأعراف٩٩).

وبالنظر في توجيهه لهذا الموضع، نجد أنه وجه آية ﴿ أَوَأَمِنَ أَهۡلُ ٱلۡقُرَىٰٓ أَن يَأۡتِيَهُم بَأۡسُنَا ضُحٗى وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ ﴾ (الأعراف٩٨)، مع الآيتين الأولى والثانية، ولم يوجه الآية الثالثة.

٦- لم يكن ياسين المجيد في بعض توجيهات - فيما أرى- مُوَفَّقًا؛ وأسوق على ذلك مثالين:

**المثال الأول:** توجيهه للفرق بين [ضلوا] و [أضل] في آيتي:

- ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدۡ ضَلُّواْ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴾ (النساء١٦٧).

- ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴾ (محمد١).

حيث نجده انصرف تماما عن كتب التفسير، ونظر في كتابين لغويين اثنين[٦٠٧] بحث فيهما عن معاني الفعلين والفرق بينهما، وبعد أن عرض معاني الفعلين، قال: "في الآية الأولى حديث عن الرسل والرسالات، ونداء للإيمان بهؤلاء الرسل والكتب، ودعوة لاتباع طريقهم الذي سيوصل إلى الغاية، وغيره يضل ويبعد عن الهدى، ولا يوصل إلا إلى جهنم فليس الحديث عمن أضلهم ولا كيفية ضلالهم. وهذا ما يتوضح في سورة محمد"[٦٠٨]، ثم ساق بعض الآيات التي تؤيد ما ذهب إليه، ولو نظر في كتب التفسير لكفى نفسه مؤونة بحث طويل، إذ أن تفسير هذين الفعلين واضح جلي، وتكاد تجمع كتب التفسير على تأويل هاتين الآيتين دون خلاف، إلا أن ياسين المجيد اجتهد في التفريق بين الفعلين، ثم أعطى توجيها للفعل [ضلوا] فقط، ثم إن توجيهه لم يضف جديدا عما ذهب إليه المفسرون، بل إن آراء المفسرين كانت أكثر

[٦٠٧] الأول: المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها، ١٩٣٥هـ- ١٩٧٥م، لمحمد الأنطاكي، ط٢، دار الشروق، بيروت / والثاني: أوزان الفعل ومعانيها، ١٨٧١، للدكتور هاشم طه شلاش، مطبعة الآداب، بغداد.

[٦٠٨] ياسين المجيد، عبد المجيد، المبنى والمعنى، ص١٨٩-١٩٠

وضوحا، وأقوى حجة، إذ اعتمدت على الأدلة وأسباب النزول. وتتلخص آراء المفسرين في هذين الفعلين فيما يلي:

أما الفعل [أضل] من آية محمد فلم أجد فيه اختلافا بين المفسرين قدامى ومحدثين، وقالوا فيه: ﴿ أَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴾ أي: أبطل وأحبط أعمالهم الخيرية فلا ثواب لها على اختلاف في اللفظ فيما بينهم[٦٠٩]،

أما الفعل [ضلوا] في ﴿ ضَلُّواْ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴾ (النساء١٦٧)، فلهم في تأويله ثلاثة آراء لا تختلف فيما بينها كثيرا:

**الأول** : خرجوا عن [الحق، والهدى، والرشد] وبعدوا عنه بعدا عظيما[٦١٠].

**الثاني**: جمعوا بين الضلال والإضلال، أي ضلوا وأضلوا[٦١١].

**الثالث**: فسره بعضهم بالكفر، أي أنهم ضلوا لأنهم كفروا[٦١٢].

---

[٦٠٩] وقد نظرت في أكثر من أربعين تفسيرا فلم يخرج أحدهم عن هذا المعنى، وإن أضاف بعضهم ، قوله: أحبط كيده لمحمد.

[٦١٠] الطبري،محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، جامع البيان في تأويل القرآن، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط١، مؤسسة الرسالة، ج٩، ص٤١٠ – ٤١١ / ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط٢، دار طيبة للنشر والتوزيع، ج٢، ص٤٧٦ / الشوكاني، ج١، ص٨٥٠/ السمرقندي، ابو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي، بحر العلوم، تحقيق: محمود مطرحي، بيروت، دار الفكر، ج١، ص١٨٣ / النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، تفسير النسفي [مدارك التنزيل وحقائق التأويل] ، تحقيق: يوسف علي البدوي، ط١، بيروت، دار الكلم، ج١، ص٤١٧ / الخازن، علاء الجين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن المعروف بالخازن، ١٤١٥هـ، تفسير الخازن [لباب التأويل في معاني التنزيل]، تحقيق: محمد علي شاهين، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ج١، ص٤٥١/ الجلالان، المحلي ،جلال الدين محمد بن أحمد، والسيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، تفسير الجلالين، ط١، القاهرة ، دار الحديث، ص١٣٢ / / نخبة من أساتذة التفسير، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م، التفسير الميسر، ط٢ مزيدة ومنقحة، السعودية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، ص١٠٤ / مقاتل، أبو الحسن مقاتل سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م، تفسير مقاتل، تحقيق: أحمد فريد ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ج١، ص٢٧٢.

[٦١١] الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني، ١٤١٥هـ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ج٣، ص١٩٦ / الرازي، أبو عبد الله بن عمر بن الحسن بن الحسين اليمي الرازي، ١٤٢٠هـ، مفاتيح الغيب أو [التفسير الكبير] ط٣، بيروت، دار إحياء التراث، ج١١، ص٢٦٩ / البقاعي، نظم الدرر، ج ٢، ص٢٧٣ / ابن عادل، أبو حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي، اللباب في علوم الكتاب، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموود، والشيخ علي محمد معوض، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ج٧، ص١٤٠ / البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله عمر بن محمد الشيرازي، ١٤١٨هـ، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط١، بيروت، دار إحياء التراث، ج٢، ص١١٠ / النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي، ١٤١٦هـ، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، ط١، بيروت، دار الكتب العمية، ج٢، ص٥٣١ / أبو السعود بن محمد العمادي الحنفي، تفسير أبي السعود [إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الحكيم] ، تحقيق: عبد القادر عطا، الرياض، مكتبة الرياض الحديثة، ج١، ص٨١٨ / ابن عجيبة، أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الإدريسي الشاذلي الفاسي أبو العباس، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م، البحر المديد، بيروت، دار الكتب العلمية، ج٢، ص١٨٨ / الصابوني، محمد علي، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م، صفوة التفاسير، ط١، القاهرة، دار الصابوني للطباعة والنشر، ج١، ص٢٩٥ / السيد محمد رشيد رضا، ١٣٦٦هـ- ١٩٤٧م، تفسير القرآن الحكيم المشهور بـ [تفسير:المنار] ، ط٢، القاهرة، دار المنار، ج٦، ص٧٧ / سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، ١٤١٢هـ، في ظلال القرآن، ط١٧، بيروت ، والقاهرة، دار الشروق، ج٢، ص٨١٣ / أبو زهرة، محمد، زهرة التفاسير، مصر دار افكر العربي، ج٤، ص١٩٧٠ / الزحيلي، وهبة بن مصطفى، ١٤٢٢هـ، التفسير الوسيط، ط١، دمشق، دار الفكر، جج١، ص٤١٦ / الزحيلي، وهبة بن مصطفى، ١٤١٨هـ، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ط٢، دمشق، دار الفكر المعاصر، ج٦، ص٤٠./ الطنطاوي، محمد سيد، ١٩٩٧م، التفسير الوسيط للقرآن الحكيم، ط١، القاهرة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، ج٣، ٣٩٧ / السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م، تفسير السعدي [تيسير الكريم الرحمن في نفسير كلام المنان] تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط١، مؤسسة الرسالة، ص٢١٥.

**المثال الثاني**: توجيهه للفرق بين [ذوقوا] و [اصلوها] في:

- ﴿ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ﴾ (الأنفال٣٥).
- ﴿ ٱصۡلَوۡهَا ٱلۡيَوۡمَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ﴾ (يس٦٤).

حيث عرض المعنى اللغوي لكلا الفعلين، مُبَيِّنا أن [الذوق]: وجود الطعم بالفم، وأصله فيما يقل تناوله دون ما يكثر، أما أصل [الصَلْي] فإيقاد النار ويقال صَلِيَ بالنار أي بَلِيَ بها واصطلى. ثم أخذ ينظر في سياق الآيتين ويجتهد في التمييز بين الفعلين[٦١٣].

ويبدو أنه لم يقف على التفسير العلمي الذي دلنا على الحكمة من استعمال [ذوقوا] في العذاب بالنار، وقد فَطِنَ الشعراوي – رحمه الله – إلى الحقيقة العلمية التي ساعدت في الوقوف على تلك الحكمة، قال: "ونظرية [الحسّ] –كما نعرف – شغلت العلماء الماديين، وأرادوا أن يعرفوا كيف نحسّ؟ منهم من قال: نحن نحسّ بالمخ ... وبعض العلماء قال: إن الإحساس يتم عن طريق النخاع الشوكي والحركة العكسية، ثم انتهوا إلى أن الإحساس إنما ينشأ بشعيرات حسية منبطحة مع الجلد؛ بدليل أنك عندما تأخذ حقنة في العضل، فالحقنة فيها إبرة، ويكون الألم مثل لدغة البرغوث يحدث بمجرد ما تنفذ الإبرة من الجلد، وبعد ذلك لا تحس"[٦١٤].

وهذا يعني أن مركز الحس هو الجلد، ومن هنا يمكن أن نقول إن [اصلوها] تعنى دخول النار، والإلقاء فيها، و[ذوقوا] تعنى مُقَاساة العذاب والإحساس بشدة الألم.

وأسوق إليكم آية جمعت الفعلين، ودلت على أن [ذوقوا] مُتَرَتِّب على [اصلوها]، وهي قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَـٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴾

---

[٦١٢] القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م، الجامع لأحكام القرآن المبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط١، بيروت، مؤسسة الرسالة، ج٧، ص٢٢٧- ٢٢٨ / التحرير والتنوير، ج٦، ص٤٦

[٦١٣] ياسين المجيد، عبد المجيد، المبنى والمعنى، ص١٩٨-١٩٩، بتصرف

[٦١٤] الشعراوي، محمد متولي، ١٩٩٧م، تفسير الشعراوي [الخواطر] القاهرة، ج٤، ص٢٣٣٧

(النساء٥٦)، إذ تَصْلَى الجلود وتُشْوَى حتى تبلى، فيجددها الله عز وجل عليهم ﴿ لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ ﴾.

ويعلق الشعراوي – رحمه الله – قائلا: " ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم ﴾ أي صارت محترقة احتراقاً تاما وتعطلت عن الإحساس بالألم، آتيهم بجلد آخر لأديم عليهم العذاب؛ لأنه هو الذي سيوصل للنفس الواعية فتتألم ، إذن فالآية مسّت قضية علمية معملية"[٦١٥]

ولقد فسر كثير من المفسرين [اصلوها] في آية يس بـ: "ذوقوا وقاسوا حرها أو ادخلوها وذوقوا حرها"[٦١٦]، فقد علموا وأدركوا أن الإحساس بالألم والعذاب هو الغرض من الإصلاء بالنار.

[٦١٥] المصدر السابق، ج٤، ص٢٣٣٧

[٦١٦] بتصرف: الزحيلي، التفسير الوسيط،، ج٣، ص٢١٥٧ / زاد المسير، ج٧، ص٣١ / الشوكاني، ج٤، ص٤٩٨ / السعدي، ج١، ص١٩٨ / البيضاوي، ج٥، ص٩٥ / الألوسي، ج١٧، ص١٨ / أبو السعود، ج٤، ص٥١٥ / الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري الشافعي، ١٤١٥هـ، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: صفوان عدنان داودي، دمشق ، وبيروت، دار القلم ، والدار الشامية، ص٩٠٣ / الوسيط للطنطاوي، ج١٢، ص٤٧.

## المبحث الثالث:

## الصامل وبلاغة المتشابه اللفظي

**تمهيد:**

لقد كان الدكتور محمد الصامل دقيقا في استعماله لحرف الجر [ من ] الذي يفيد البعضية في عنوان كتابه [من بلاغة المتشابه اللفظي في القرآن الكريم] إذ يوحي ذلك بإيقان الكاتب أنه لا يمكن لأحد أن يحيط ببلاغة وإعجاز القرآن الكريم سِيَّما المتشابه اللفظي منه، ويعد هذا الكتاب على الرغم من قلة عدد مواضع المتشابه اللفظي –عشرة مواضع فقط– التي تناولها بالبحث والتوجيه يعد نقلة جديدة، ومنهجا جديدا، في توجيه المتشابه اللفظي في القرآن.

### المطلب الأول: التعريف بالكاتب

لقد وفَّر الدكتور الصامل علينا بحثا طويلا عن سيرته ونشاطه العلمي، إذ أنه أردف كتابه بالسيرة الذاتية للمؤلف[٦١٧]، وليت كل مؤلف حديث وباحث يفعل فعل الدكتور الصامل، إذ غالبا لا يتوفر لدى الباحثين ما يقف بهم على السيرة الذاتية لأكثر المؤلفين المحدثين. وسأعرض هنا السيرة الذاتية في إيجاز للصامل من خلال ما ورد من سيرته في آخر كتابه.

**أولا: نسبه:** هو أبو علي محمد بن علي بن محمد بن صامل بن ملاقي بن ناجع الجهني

**ثانيا: درجاته العلمية:**

- تخرج في كلية اللغة العربية بالرياض سنة [١٣٩٧/١٣٩٨هـ]، ويبدو أن كان طالبا متفوقا؛ يؤكد ذلك أنه عين معيدا في قسم البلاغة والنقد في نفس سنة تخرجه.
- حصل على درجة الماجستير في البلاغة سنة ١٤٠٥هـ
- ثم حصل على الدكتوراه في البلاغة والنقد سنة ١٤١٠هـ.
- تدرج في العمل بالتدريس في قسم البلاغة والنقد من معيد، إلى محاضر، أستاذ مساعد، حتى ترقى إلى درجة أستاذ مشارك ١٤١٨هـ.

[٦١٧] الصامل، محمد بن علي بن محمد ، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، من بلاغة المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، ط١، الرياض، دار إشبيليا، ص٢٢٥ – ٢٢٨.

**ثالثا: نشاطاته العلمية والثقافية:**

لو تأملنا الأنشطة العلمية التي يشارك فيها الدكتور الصامل، وعدد اللجان التي شارك فيها كعضو مؤسس، والدورات التعليمية التي أسهم فيها، لأخذنا العجب من نشاط هذا الرجل، لكنها همة وعزيمة الرجال، يهب الله منها ما يشاء لمن يشاء، فمن نشاطاته ما يلي:

- إن الصامل عضو في ثماني لجان كل منها ذات أهمية وقيمة علمية رفيعة، ومن هذه اللجان: لجنة البحث والنشر التابعة للمجلس العلمي، وعضو لجنة الدعوة في أفريقيا، عضو مجلس عمادة الدراسات العليا في الجامعة، عضو لجنة المراجعة والتنقيح للطبعة الأولى من الموسوعة العربية العالمية، وعضو تحرير مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود.

- يقدم الصامل برنامج إذاعي في إذاعة القرآن الكريم في المملكة العربية السعودية يعرض دراسة [بلاغة المتشابه اللفظي في القرآن الكريم]، "أذيعت أولى حلقاته يوم الخميس ٦/ ١ / ١٤١٧هـ ، ولا يزال مستمرا"[٦١٨]

- شارك الصامل في العديد من الندوات والمؤتمرات والدورات التعليمية والدعوية في شتى بلاد المسلمين منها: ندوة اللسانيات الثانية التي أقيمت في جامعة الملك الخامس بالرباط والتي استمرت لأكثر من شهر، اللقاء الإسلامي الأول لعلماء غرب أفريقيا الذي عقد في نواكشوط يومي ٢٥-٢٦/ ١٤١٣هـ، دورة إعداد الأئمة والدعاة التي أقيمت في جاكرتا صيف ١٤٠٠هـ، عمل مديرا لدورة الأئمة والدعاة التي أقيمت في مدينة واقا في بوركينا فاسو ١٤١٢هـ، والتي أقيمت في أديس أبابا في إثيوبيا ١٤١٣هـ، والتي أقيمت في مدينة يامو سوكرو بساحل العاج سنة ١٤١٤هـ، والدورتين اللتين أقيمتا في مدينتي [تلبرخ ، وروتردام] في هولندا سنة ١٤١٨هـ، وغيرها.

**رابعا: مصنفاته:**

[٦١٨] المصدر السابق، ص٦.

ورد في سيرة الصامل أنه صنف أربعة كتب لعل أهمها [من بلاغة المتشابه اللفظي في القرآن الكريم]، وكتاب الأسلوب الحكيم: دراسة تحليلية والذي طبعته دار إشبيليا مرتين آخرها سنة ١٤٢٢هـ[٦١٩]، وشارك غيره في تصنيف خمسة كتب أخرى، أربعة منها كتب مقررة على المدارس الثانوية، حيث شارك في تأليف كتابي البلاغة والنقد للصفين الثاني والثالث قسم العلوم الشرعية والعربية، وشارك في كتابي المطالعة للسنتين الأولى والثانية الثانوية بالمعاهد العلمية[٦٢٠].

**المطلب الثاني: التعريف بالكتاب**

١- **موضوع الكتاب ونوع الدراسة:** أما موضوع الكتاب فهو المتشابه اللفظي في القرآن الكريم ولم يخرج الكتاب عن هذا الموضوع إلى غيره، حيث التزم فيه الكاتب توجيه المتشابه اللفظي والاجتهاد في الوقوف على الدقائق البلاغية التي تضمنتها مواضع المتشابه اللفظي، فبعد أن انتهى الصامل من بيان ما يتصل بالجانب البلاغي في العنوان قال: "وأما ما نعنيه بالآيات المتشابهات فهي تلك الآيات التي وردت بألفاظ متفقة أو متقاربة، ولكن وقع في بعضها زيادة في موضع ونقص في موضع آخر، أو تقديم وتأخير، أو تعريف وتنكير، أو جمع وإفراد، أو إبدال حرف مكان حرف، أو كلمة مكان كلمة"[٦٢١]

٢- **أصل الكتاب وسبب تأليفه:** نمت فكرة هذا الكتاب للصامل من برنامجه الإذاعي الذي يقدمه في إذاعة القرآن الكريم والذي يعرض فيه دراسة [بلاغة المتشابه اللفظي في القرآن الكريم]، يقول الصامل: "ثم أعدت النظر فيما أذيع، فأعددته على هيئة بحث علمي محققا، رغبة من الإخوة الأفاضل الذين غمروني بآرائهم السديدة وشجعوني على نشر كل ما أذيع منها، تحقيقا لمزيد من الفائدة للباحث أولا، ولقارئ القرآن الكريم ثانيا"[٦٢٢].

---

[٦١٩] وله أيضا: المدخل إلى دراسة بلاغة أهل السنة، طبعته دار إشبيليا سنة ١٤١٨هـ.

[٦٢٠] كما شارك الصامل الدكتور عبد الله العوينى تأليف كتاب: شعر الدعوة الإسلامية في العصر العباسي الثالث.

[٦٢١] الصامل، من بلاغة المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، ص١١.

[٦٢٢] المصدر السابق، ص٦.

٣- **محتوى الكتاب ومسائله:** تناول الصامل في كتابه عشرة مواضع فقط من مواضع المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، قدم لها بمقدمة وتوطئة عن إعجاز القرآن البياني، ثم تناول أهم مصنفات المتشابه اللفظي قديما وحديثا، ثم بين أوجه الاختلاف بين الآيات المتشابهات، ثم شرع في تناول هذه المواضع العشرة موضعا موضعا دراسة بلاغية دقيقة.

وقد بلغت المسائل التي بحثها الصامل في هذه المواضع، والتي صرح بها تصريحا، وعدها مسائل كتابه، بلغت ثلاثا وستين مسألة، لكننا لو نظرنا في هذه المسائل سنجدها مائة مسألة، إذ أننا نجد مسائل فرعية كثيرة تدخل تحت هذه المسائل، فمثلا نجد في الموضع الأول ضمن المسألة الثالثة أربع مسائل أخرى لم يعدها الصامل مسائل وإنما ناقشها ضمن المسألة الثالثة، إذا عدها جميعا مسألة واحدة[٦٢٣]. وفي الموضع الثالث المسألة السابعة [إيثار بعض الألفاظ على غيرها] تناول تحتها ثلاث مسائل[٦٢٤].

٤- **أثر السابقين في الكتاب:** نلمس أثر السابقين من شيوخ توجيه المتشابه اللفظي في كتاب الصامل، فقد كان الكاتب يرجع إليهم ويستعرض آراءهم، لكنا نلحظ كأن الصامل لم يقف على كتاب الأنصاري [فتح الرحمن]، فنجد أثر الشيوخ الأربعة الأوائل [الإسكافي، والكرماني، والغرناطي، وابن جماعة] أما الأنصاري فلا نجد له أثرا، وقد استعان الصامل بشيوخ المفسرين قديما وحديثا خاصة تفسيري: الرازي ، وابن عاشور.

**المطلب الثالث: خصائص منهج وأسلوب الصامل في كتابه:**

١- لم يقسم الصامل كتابه –كعادة المؤلفين – أبوابا وفصولا، وإنما يضع الفكرة الرئيسة ثم يتناولها بالبحث، ولو أردنا أن نعيد تقسيمه فصولا لوجدنا أن التوطئة

---

[٦٢٣] المصدر السابق، ص٤٨ – ٥٩.

[٦٢٤] المصدر السابق، ص٨٢ – ٨٣.

وما بعدها حتى الموضع الأول تعد فصلا قائما[٦٢٥]، وكل موضع من المواضع العشرة يعد فصلا مستقلا.

٢- وصف الصامل منهج بحثه للمتشابه اللفظي في القرآن الكريم في مقدمته قائلا: "وقد حرصت على أن تكون الدراسة لمواضع التشابه وفق ترتيب السور في المصحف الشريف، على أن أبدأ أولا بتحديد موضع أو مواضع الاختلاف، ثم البحث في الأسرار البلاغية لهذه الاختلافات، ثم تأمل بعض اللطائف البلاغية في بقية الآيات مما يراه الباحث مفيدا للقارئ الكريم"[٦٢٦]

٣- اعتمد الصامل منهج الإسكافي والغرناطي وابن جماعة في توجيهه للمتشابه اللفظي، إذ أنه يعرض مسائله في صدر موضع المتشابه وبعد الآيات المتشابهات موضع البحث مباشرة، ثم يجيب عن هذه المسائل مسألة مسألة، وهذا مما يشوق القارئ ويجذبه، ولم يكتف بذلك بل إنه كان يعمد إلى حوار القارئ كأنه قائم أمامه، فكثيرا ما نجده يقول: " لعلك أخي القارئ تتساءل.."[٦٢٧]، أو يقول: " لعلك تلحظ أخي القارئ."[٦٢٨]، أو يقول: " أخي القارئ: تأمل ..."[٦٢٩]، وقد التزم هذا الأسلوب مع القارئ، وهو أسلوب بديع، له أثره البالغ في نفس القارئ، إذ يشعر القارئ كأنه جالس معه يحاوره، ويناقشه.

٤- اعتمد الصامل منهج البسط والتوسع في توجيهه مواضع المتشابه اللفظي وجوابه لمسائله، ولعلنا نلحظ ذلك بارزا، إذ أن كتابه يزيد على مائتي وعشرين صفحة تناول فيه عشرة مواضع فقط من مواضع المتشابه اللفظي، فقد يتناول الموضع

---

[٦٢٥] المصدر السابق، ص٩ - ٣٤

[٦٢٦] المصدر السابق، ص٦.

[٦٢٧] المصدر السابق، ص٦٩.

[٦٢٨] المصدر السابق، ص٩٥.

[٦٢٩] المصدر السابق، ص٩٩.

الواحد فيما يزيد على خمس وعشرين صفحة، مثل الموضع الأول[٦٣٠]، والموضع الثالث[٦٣١].

٥- لم يعتمد الصامل منهج المحدثين [المطعني، وياسين المجيد، والسامرائي] في تناولهم لمسائل المتشابه اللفظي، إذ أنهم عمدوا إلى مناقشة مسألة وحيدة في موضع التشابه غالبا، إنما اعتمد منهج شيخي علم المتشابه اللفظي في القرآن الإسكافي والغرناطي، إذ أنهما كانا يتناولان مسائل عديدة في الموضع الواحد، بل إن الصامل قد زاد في ذلك زيادات كبيرة حتى وصل عدد مسائله في موضع واحد إلى إحدى عشرة مسألة[٦٣٢]، وإننا لنعجب حين نجد أنه قد وجه عشرة مواضع تناول فيها ما يقرب من مائة مسألة.

٦- يبرز في توجيه الصامل للمواضع العشرة الاعتماد اعتمادا كبيرا على النواحي البلاغية، ولا عجب؛ فإن تخصص الكاتب كان له أثره في ذلك، إذ أنه تخرج في كلية اللغة العربية، وحصل على الماجستير والدكتوراه في البلاغة، وهذا لا يعيب منهج الصامل في توجيهه للآيات المتشابهات، بل لعلها ميزة مكنته من الوقوف على ما لم يقف عليه غيره. والمطالع لكتاب الصامل يلحظ أنه مولع بالبلاغة ومُؤْثِر لها، ومُلِم بأسرارها ودقائقها، اسمع إليه يقول: "وبعد الانتهاء من الحديث عن مواضع الاختلاف في الآيات المتشابهة، سأعرض بعض اللطائف البلاغية في هذه الآيات، ثم يمضي يعرض لطائفه – وهي بحق لطائف بديعة – وذاك دَأْبه في كل مواضع المتشابه التي تناولها بالتوجيه.

٧- للصامل عمدتان يعتمد عليهما في توجيه مواضع المتشابه اللفظي، الأولى: البلاغة، والثانية: السياق، وهذا لا يعنى أنه يقف عند هاتين العمدتين بل إنه يستعين بالبناء اللغوي وبيانه ، والتصريف، والنحو. لكن البلاغة والسياق أخذا

---

[٦٣٠] المصدر السابق، ٣٦- ٦٠.

[٦٣١] المصدر السابق، ٦٧- ٩٤.

[٦٣٢] المصدر السابق، الموضع الثالث، ص٦٧ – ٩٤.

الحظ الأوفر، وهما بحق عمدتان كفيلتان ببيان وكشف الكثير من خصائص وأسرار الآيات المتشابهات لفظا.

٨- استنباط الصامل لأسرار جديدة من مواضع قديمة، سبقه القدماء إلى توجيهها، فقد أمعن النظر، ودقق، وفحص، وتعمق، وسبر الغور، فأخرج منها لآلئ جديدة، ونفائس جليلة، لم تنلها أيدي الشيوخ الذين سبقوه إلى توجيه هذه المواضع. وأسوق إليكم مثالا أؤيد به ذلك: ففي الموضع الخامس وجه الصامل فيه:

- آية البقرة: ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾(البقرة١٨).
- وآية البقرة: ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (البقرة١٧١).

فقد وجه الغرناطي في هذا الموضع مسألة وحيدة، وهي اختلاف الفاصلة، ولم أجد

غير الغرناطي وجههما.

أما الصامل فقد كان له مع هاتين الآيتين شأن آخر، ونظرة أخرى، فقد استطاع أن

يقف فيهما على سبع مسائل، كلها جديرة بالبحث والنظر والتوجيه، وهي كما يلي:

- الموازنة بين الفاصلتين.
- سر الاقتصار على الصفات الثلاث.
- سر ترتيبها.
- مجيء الصفات دون عطف.
- حذف المسند إليه.
- التشبيه في هذه الصفات.

- اسمية الجملة[٦٣٣].

وهذا إن دل إنما يدل على سعة أفق الكاتب، وقدرته الفائقة على النظر والتأمل والتعمق في الآيات، وسبر أغوارها، والوقوف على أسرارها وخباياها الدقيقة، والتي لا تظهر إلا لمن مَلَكَ مَلَكَةً خاصة، كان للصامل حظ وافر من هذه الْمَلَكة.

٩- عمد الصامل أثناء توجيهه للآيات المتشابهات إلى بيان وتفصيل بعض القضايا البلاغية والنحوية، فمن القضايا البلاغية التي فصلها: التصدير[٦٣٤]، والمراجعة[٦٣٥]، والاستدراك[٦٣٦]، والترتيب[٦٣٧]، ومن القضايا النحوية التي فصلها الفرق بين [ما] و [لا] النافيتين[٦٣٨].

١٠- عمد الصامل إلى الرد على بعض أهل الفرق المنحرفة، مثل رده على المعتزلة في نفيهم الشفاعة لأهل الكبائر، حيث فند آراءهم وردها بالحجج والأدلة القوية الواضحة[٦٣٩].

١١- رد على القائلين بالزيادة في القرآن، وله في ذلك في كتابه منافحة طويلة وقوية، يُفَنِّد فيها آراء القائلين بالزيادة في القرآن الكريم ويردها بردود قوية مفحمة[٦٤٠].

١٢- لم يكتف الصامل بعرض رأيه بل إنه كانت له نُقُود غاية في الدقة، وحين ينقد لا ينقد دون سند، بل يعتمد على أدلة وحجج وبراهين يؤيد بها رأيه، فإن له رأيا وجيها خالف به أحد آراء البلاغيين ورده، وهو في المسألة الخامسة من الموضع

---

[٦٣٣] المصدر السابق، ص١١٠ – ١٢٢.

[٦٣٤] التصدير: أن يرد في صدر الكلام ما يشعر بخاتمته. المصدر السابق، ص٩٧ – ٩٨.

[٦٣٥] المراجعة: عرض الحوار بأوجز عبارة، وألطف معنى، وأسهل لفظ. المصدر السابق، ص١٠٣.

[٦٣٦] الاستدراك: رفع توهم يتولد من الكلام السابق، ولا يقع إلا بين كلامين متغايرين في النفي والإيجاب. المصدر السابق، ص١٠٦.

[٦٣٧] الترتيب: التدرج الطبيعي لما يذكر من الصفات. المصدر السابق، ص١١٤.

[٦٣٨] المصدر السابق، ص١٠٧.

[٦٣٩] المصدر السابق، ص١٩٥ - ١٩٩

[٦٤٠] المصر السابق، ص١٢٨ - ١٣٤

الخامس والتي وجه فيها حذف المسند إليه قال: "وقد علل بعضهم للسبب في حذف المسند إليه بقوله: صيانة للسان عن ذكرهم. وأقول إن هذا الغرض ذكر في كتب البلاغيين على أنه أحد أغراض حذف المسند إليه، وإن صح في بعض الأمثلة فإنه لا يطرد في كل حذف .... ولهذا فإني أخالف البلاغيين في مثل هذا، وأرى أنه لابد من التورع عند الحديث عن بلاغة القرآن، فليس كل ما يصلح أن يوصف به الشعر والنثر يصلح إطلاقه على القرآن الكريم"[٦٤١].

١٣- أحد المواضع العشرة التي تناولها - وهو الموضع الرابع – جديد، لم يسبقه إلى توجيهه أحد من رجال المتشابه اللفظي. بل إن هذا الموضع يعد نموذجا جديدا مختلفا اختلافا كليا عن النماذج التي وُجِّهت جميعا؛ ولعل الصامل بهذا الأنموذج يرسم لونا جديدا من ألوان المتشابه اللفظي، وكذلك يرسم منهجا خاصا لتوجيهه، وتعالوا معي نتأمل هذا الموضع بشيء من الإيجاز، ولكي يتضح لنا منهج الصامل سأضع الآيتين في هذا الجدول على هذا النسق:

| الآيتان ١١، ١٢ من سورة البقرة | الآية ١٣ من سورة البقرة |
|---|---|
| ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ** لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ | ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ** ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ |
| **قَالُوٓاْ** إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ ﴿١١﴾ | **قَالُوٓاْ** أَنُؤۡمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ |
| **أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ** ٱلۡمُفۡسِدُونَ | **أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ** ٱلسُّفَهَآءُ |
| **وَلَٰكِن لَّا** يَشۡعُرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ | **وَلَٰكِن لَّا** يَعۡلَمُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ |

[٦٤١] المصدر السابق، ص١١٦

وقد وجه الصامل في هذا الموضع وما حوله من الآيات سبع مسائل، كلها جديرة بالبحث، وهي كما يلي:

الأولى : السبب في إثبات الإفساد للمنافقين في الأولى، والسفه في الثانية.

الثانية : الحكمة في نفي الشعور في الأولى، ونفي العلم في الثانية.

الثالثة : التناسب الأسلوبي بين رد المنافقين والرد عليهم.

الرابعة : الحكمة في تقديم النهي عن الإفساد على طلب الإيمان في الحوار مع المنافقين

الخامسة : مجيء سبب الاستدراك بعد الإفساد والسفه وعدم مجيئه بعد المخادعة.

السادسة : ورد نفي الشعور مرتين نفي بـ[ ما ] في إحداهما، وبـ[ لا ] في الثانية، فما سر ذلك؟

السابعة : حذف متعلق [ يشعرون ] و [ يعلمون ].

ثم أخذ يتناول هذه المسائل مسألة مسألة[٦٤٢]، لكن أهم ما يلفت نظرنا هنا أمران: أولهما: موضع التشابه، إذ أنه جديد مختلف عن مواضع التشابه الأخرى التي وجهها السابقون، وثانيهما: المنهج البديع الذي اتبعه الصامل في توجيه هذا الموضع.

**وللباحث في هذه المسألة وقفة:**

إذ أني أود أن أضيف مسألة ثامنة إلى مسائل الصامل السبعة، وهي: لماذا سيق المعنى في الموضع الأول في فاصلتين [ آيتين]، في حين سيق المعنى في الموضع الثاني في آية واحدة؟

وأقول – سائلا الله السداد — إن المنافقين في الموضع الثاني رَمَوْا المؤمنين بالسَّفَه: ﴿ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ﴾ ، فلم يفصل الناظم – جلا وعلا – بفاصلة غَضَبًا وغَيْرَةً للمؤمنين، وأسرع في الدفع عنهم: ﴿ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ ﴾ ورميهم هم –المنافقين– بالسفه[٦٤٣]، أما في الموضع الأول، فقد زعم المنافقون أنهم مصلحون دون رمي المؤمنين بِسُبَّةٍ، فلم تكن الغضبة فيه مثل التي كانت في الموضع الثاني، والله أعلم.

---

[٦٤٢] راجع: المصدر السابق، ٩٥– ١٠٨

[٦٤٣] وصدق الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴾ (الحج٣٨).

**المطلب الرابع: وقفات مع كتاب الصامل:**

١- لقد صرح الصامل بأمر عجيب في كتابه، فقد قال: "وإذا كنت قد اكتفيتُ في هذا البحث بالحديث عن عشرة مواضع، فإني عقدت العزم – بمشيئة الله – إذا مد الله في الأجل أن أكمل دراسة كل مواضع المتشابه اللفظي في القرآن التي بلغت أكثر من ٣٨٦ موضع"[٦٤٤]، إن العدد الذي ذكره الصامل إنما هو جملة ما وقف عليه الغرناطي ووجهه في كتابه الملاك، وليس هو كل مواضع المتشابه اللفظي في القرآن، فإن مواضع المتشابه اللفظي تزيد على ألفي موضع، وقد جمعت كتب المتشابه اللفظي الحديثة ما يزيد على هذا العدد بكثير، فأنى له أن يحددها بهذا العدد ويعزم على توجيهها كلها؟!

٢- في دراسة الصامل لكتاب الإسكافي [درة التنزيل] استخلص أربع خصال لهذا الكتاب، اثنتان منهما ليستا من خصاله، ولا تنطبق على [درة التنزيل] فقد استخلص:

- "أن كتاب الإسكافي حصيلة اطلاع على ما كتبه السابقون، إضافة على ما اجتهد فيه الخطيب الإسكافي نفسه.
- أنه اتفق مع من قبله في أن غايات التأليف في هذا الموضوع الرد على الطاعنين والملحدين"[٦٤٥].

إذ أن الإسكافي هو أول من قرع هذا الباب ولم يسبقه إليه أحد، وقد صرح الإسكافي بذلك في مقدمة كتابه، وكان ذلك أحد أهم الأسباب التي دفعته لتصنيف [درة التنزيل]، قال: "بعد أن تأملت أكثر كتب المتقدمين والمتأخرين، وفتشت على أسرارها معاني المتأولين المتبحرين، فما وجدت أحدا من أهلها بلغ غاية كنهها، كيف ولم يُقْرَع بابها"[٦٤٦]. والعجيب أن الصامل قد نقل قول الإسكافي هذا بنصه وذكره في كتابه، ثم يستخلص ما يناقضه.

---

[٦٤٤] الصامل، من بلاغة المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، ص٧.

[٦٤٥] المصدر السابق، ص٢٠.

[٦٤٦] الإسكافي، درة التنزيل، ص٣.

٣- في الموضع الأول، في توجيهه لآية الحمد من سورة الفاتحة: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (الفاتحة٢)، وآية الجاثية: ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (الجاثية٣٦)، قال الصامل: "تأملت مواضع الحمد المعرف بـ[ ال ] في القرآن، فلحظت فيها ما يأتي: وردت في ٢٣ موضعا، تقدم الحمد على لفظ الجلالة أو ضميره في ١٩ موضعا وتأخر الحمد في ٤ مواضع"[٦٤٧]. إلا أنني أحصيت مواضع الحمد المعرف بـ [ ال ] فوجدتها ٢٧ موضعا -وليس ٢٣ موضعا- تقدم الحمد على لفظ الجلالة أو ضميره في ٢٣ موضعا[٦٤٨] وتأخر في ٤ مواضع[٦٤٩].

٤- في الموضع الأول أحصى الصامل صيغة الحمد ﴿ الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ختاما لمقطع أو سورة قائلا: "جاءت صيغة الحمد في أربعة مواضع دالة على الختام في الأنعام٤٥، ويونس١٠ ختام مقطع، وفي الزمر ٧٥، والصافات ١٨٢، ختام سورة"[٦٥٠]، إلا أن الباحث أحصى صيغة الحمد دالة على الختام في الآيات والسور، فوجد أن الصامل غفل عن أحد المواضع، وهو قول الله تعالى في سورة غافر: ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (غافر٦٥).

٥- في الموضع التاسع في توجيهه للفاصلة في آيتي البقرة :

- ﴿ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴾ (البقرة٤٥).

---

[٦٤٧] الصامل، بلاغة المتشابه اللفظي، ص٣٧.

[٦٤٨] هي: الفاتحة١، الأنعام١، الأنعام٤٥، الأعراف٤٣، يونس١٠، إبراهيم٣٩، النحل٧٥، الإسراء١١١، الكهف١، المؤمنون٢٨، النمل١٥، النمل٥٩، النمل٩٣، العنكبوت٦٣، لقمان٢٥، سبأ١، فاطر١، فاطر٣٤، الصافات١٨٢، الزمر٢٩، الزمر٧٤، الزمر٧٥، غافر٦٥.

[٦٤٩] هي: القصص٧٠، الروم١٨، الجاثية٣٦، التغابن١.

[٦٥٠] الصامل، بلاغة المتشابه اللفظي، ص٣٧.

- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ (البقرة١٥٣).

قال: "فالآية الأولى ختمت بقوله جلا وعلا : ﴿ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ﴾ وكأن هذا الختام ينادي من يرغب ألا تكون كبيرة عليه أن يكون من الخاشعين....ولهذا فإن من كانت صفته فقد استعدت نفسه لقبول الخير وفعله، وهذا أنسب ما تختم به الآية، التي تحتمل أن يكون المخاطب بها بني إسرائيل وغيرهم"[٦٥١] ويرى الباحث أن كلام الصامل هذا ينساق إلى غير اليهود، أما اليهود فإنا نرى أن الآية تعريض بهم؛ لما هو معروف عنهم من اللُّؤم، والتكاسل عن الطاعة، والميل إلى المخالفة، والتمرد على أوامر الله ورسوله، ويؤيد ذلك الغرناطي قائلا: "إن قوله جل وتعالى: وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ﴾ مشير إلى التثاقل عنها والتكاسل الجاريين في الغالب والأكثر مع ضعف يقين وقلة الإخلاص وذلك مناسب لحال بني إسرائيل ممن ذكرت في الآيات قبل"[٦٥٢].

٦- في معرض رد الصامل على القائلين بالزيادة في القرآن الكريم وجه الصامل موضعا جديدا من مواضع المتشابه اللفظي لم يسبقه إليه أحد، وهو غير معدود من بين المواضع العشرة التي تناولها بالتوجيه، فلِكَي يوضح حجته، ويؤيد رأيه قدم مثالا قائلا: " ولكي تتضح الصورة في هذه القصة أعرض أنموذجا تطبيقيا آخر ... لبيان بطلان دعوى الزيادة، يقول الله عز وجل في سورة الأحقاف: ﴿ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ ﴾ (الأحقاف)[٦٥٣]، ويقول سبحانه وتعالى في سورة الصف: ﴿ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ ﴾ (الصف١٢)[٦٥٤][٦٥٥] ثم أخذ يوجه الآيتين كل منهما في سياقها، ثم قال: "الآيات الثلاث التي جاءت فيها [من] الحديث فيها عن

---

[٦٥١] المصدر السابق، ص١٣١، ١٣٢، بتصرف.

[٦٥٢] الغرناطي، ملاك التأويل، ج١، ص٣٢.

[٦٥٣] وقد وردت هذه الآية في ثلاث سور: إبراهيم١٠، والأحقاف٣١، ونوح٤.

[٦٥٤] وقد وردت هذه الآية في ثلاث سور: آل عمران٣١، والأحزاب٧١، والصف١٢.

[٦٥٥] الصامل، بلاغة المتشابه اللفظي، ص١٣١-١٣٣.

الكافرين، والتي جاءت دون [من] الحديث فيها عن المؤمنين، ومن هنا يتبين أن مجيء [من] في حق الكافرين يدل على أن الله لا يغفر كل ذنوبهم، بل بعضها، أما المؤمنون فلم يأت في الآية التي تحدثت عنهم [من] وهذا إكرام من الله لهم بغفرانه لجميع ذنوبهم وليس بعضها"[٦٥٦].

**وللباحث رأي آخر:**

حيث إني لا أتفق مع الصامل في قوله السابق: من أن مجيء [من] في حق الكافرين يدل على أن الله لا يغفر كل ذنوبهم، بل بعضها، إذ أن الآيات القرآنية الأخرى، والأحاديث النبوية الشريفة تنقض وترد هذا التأويل، وتدل على أن الكافر الذي يؤمن تُغْفَرُ جميع ذنوبه، قال الله تعالى في سورة الزمر: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (الزمر٥٣)، وجاء في الحديث الصحيح أن الإسلام يَجُبُّ ما قبله، فقد صحح الألباني في الإرواء ما روي: "أن عَمْرًا بن العاص قال: قلتُ: يا رسول الله أبايعك على أن تغفر لي ما تقدم من ذنبي فقال رسول الله ﷺ: إن الإسلام يَجُبُّ ما كان قبله، وإن الهجرة تَجُبُّ ما كان قبلها"[٦٥٧].

[٦٥٦] المصدر السابق، ص١٣٢.

[٦٥٧] الألباني، محمد ناصر الدين، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م، إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، ط٢، بيروت، المكتب الإسلامي، ج٥، ص١٢٢.

## المبحث الرابع :

## محمد القاضي وكتابه

## [المتشابه اللفظي في القرآن رؤية في التفسير من خلال اللغة والسياق]

**تمهيد:**

إنه لمن الصعب أن يقف باحثٌ على كل المصنفات الحديثة التي تناولت علم [المتشابه اللفظي في القرآن] خاصة مع اتساع رقعة الدولة الإسلامية، ومع اهتمام الجامعات في سائر الأقطار المسلمة –وغير المسلمة– بالبحث في القرآن الكريم وعلومه، والبحث في التراث الإسلامي وإخراج مكنونه، فأنى لباحث أن يحيط أو يقف على إنتاج الجامعات والعلماء في القرآن وعلومه؟!

فقد كنت أظن أني أكاد أُلِمُّ بالكتب التي صُنِّفَت في علم [توجيه المتشابه اللفظي في القرآن]، حتى لكأني بنفسي أخذتها الثقة والغرور أحيانا، فتقول: لا يوجد جديد في هذا العلم، ثقة منها أنها نظرت في كل أو أكثر الكتب المصنفة فيه قديما وحديثا، إلى أن وقعت يدي على كتاب للدكتور محمد القاضي أثناء تجوالي بين جنبات وأجنحة بعض المكتبات، ألا وهو كتاب [المتشابه اللفظي في القرآن الكريم رؤية في التفسير من خلال اللغة والسياق] فوجدت أن هذا الكتاب إضافة جديدة إلى صرح علم [المتشابه اللفظي في القرآن الكريم]، فَزَجَرْتُ تلك النفس التي اغترت بقليل من العلم، فزعمت أنه لا جديد، وقلت: لابد أن دور النشر في العالم الإسلامي قد أفرزت غير هذا الكتاب وقد قصرت يدك عنه، ولابد أن الجامعات الإسلامية وغير الإسلامية قد أنتجت العديد من الدراسات والأبحاث التي لم تر النور بعد، وما زالت دفينة مكتبات الجامعات، تحتاج إلى من يَبُثُّ فيها الحياة، ويخرجها من ظلمة رفوف مكتبات الجامعات إلى أنوار وضياء سوق المعرفة.

**المطلب الأول: التعريف بالكاتب والكتاب:**

**أولا التعريف بالكاتب:**

إن مما يؤسف له أن الكاتب لم يرفق بالكتاب شيئا عن سيرته الذاتية[٦٥٨]، ولم يستطع الباحث

أن يقف على شيء من سيرته إلا ما يجده القارئ تحت اسمه على غلاف الكتاب من أنه مدرس للعلوم اللغوية في قسم اللغة العربية بكلية الآداب جامعة حلوان المصرية، وأنه خبير بمجمع اللغة العربية.

ويمكننا استخلاص بعض خصال الكاتب من بين سطور كتابه:

١- فهو من حفظة كتاب الله، ومن أسرة ذات علم ودين، تُرَبِّي أبناءها على حب القرآن وحب أهل القرآن، ونرى ذلك في إهداء الكاتب، فقد جاء في الإهداء ما يلي: "إلى والدي الكريم الذي حفظني كتاب الله صغيرا، وحببني في القرآن وأهله"[٦٥٩]، وقد أهداه أيضا إلى "السلسلة المباركة من أهل القرآن الذي هم أهل الله وخاصته في كل زمان ومكان"، ونلمس من الإهداء تقدير الكاتب للعلم والعلماء، قال: "وإلى كل من علمني حرفا من أساتذتي الكرام في كل مرحلة من مراحل حياتي"[٦٦٠].

٢- الكاتب ذو مكانة علمية مرموقة، فهو أستاذ جامعي، وهو بحسب ما جاء على غلاف الكتاب خبير بمجمع اللغة العربية، ولن تتأتى هذه المكانة إلا لمن هو أهل لها.

٣- كما يشهد له كتابه بطول باعه في اللغة، والبلاغة، والتفسير، وعلوم القرآن.

**ثانيا التعريف بالكتاب:**

١- **موضوع الكتاب:** يبحث هذا الكتاب في موضوعين متلازمين، الأول منهما يقوم على خدمة الثاني، والثاني لا تقوم له قائمة إلا بالأول:

---

[٦٥٨] إحدى توصيات البحث أن يرفق الباحثون والأساتذة المحدثون موجزا للسيرة الذاتية لهم في آخر أو أول كتبهم.

[٦٥٩] القاضي، محمد، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م، المتشابه اللفظي في القرآن رؤية في التفسير من خلال اللغة والسياق، ط١، القاهرة، دار الصحوة، ص٣

[٦٦٠] المصدر السابق، ص٣

فالأول هو: نظرية السياق.

والثاني هو: علم توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم.

٢- **محتوى الكتاب**: يتضمن الكتاب تمهيدا طويلا وستة فصول، ويعد الكتاب في جملته ثلاثة أقسام بارزة:

**الأول**: التمهيد -أربعون صفحة- وهو قسمان: أحدهما يتضمن التعريف بالمتشابه اللفظي ومصنفاته قديما وحديثا، وثانيهما: بَحْثٌ في نظرية السياق.

**والثاني**: الفصل الأول، وبَحَثَ فيه الكاتب [آيات المتشابه التام]، وهي الآيات التي تكررت بلفظها دون تغيير.

**والثالث**: خمسة فصول من الثاني حتى السادس، وقام فيها الكاتب بدراسة آيات المتشابه المختلف في بعض ألفاظه، فنجد الفصل الثاني عنوانه [المتشابه المختلف في إبدال كلمة]، والثالث عنوانه [المتشابه المختلف في أحوال الاسم]، والرابع عنوانه [المتشابه المختلف في أحوال الفعل] والخامس عنوانه [المتشابه المختلف في زيادة أو حذف]، والسادس عنوانه [المتشابه المختلف في تقديم أو تأخير].

٣- **أهداف الكتاب**: أبان الكاتب عن أهداف كتابه في مقدمته، والتي سماها بـ[واجهة الكتاب]، ولعل أبرز هذه الأهداف خمسة، ها هي في إيجاز:

- رَصْدُ التشابه من خلال جمل تامة المعنى، وقد تكون الجملة آية كاملة، أو أكثر من آية، أو بعض آية، وإبراز وجوه الاختلاف بين مواضع المتشابه اللفظي لمعرفة أثر السياق في هذا الاختلاف.
- الكشف عن دور السياق في إبانة المعنى، والكشف عما يتطلبه كل سياق من تراكيب خاصة، ومفردات معينة[٦٦١].
- وضع إطار عام لكيفية التحليل اللغوي في ضوء سياق النص.
- إبراز سياق الحال الذي يلف الآيات اعتمادا على خمسة مصادر هي: أسباب نزول الآيات، والمضمون العام للسورة التي نزلت فيها الآية محل الدراسة، وعلاقة الآية بما قبلها أو بعدها، زمن نزول السورة، ومكان نزولها.

[٦٦١] هذا الهدف ذكره الكاتب في الخاتمة ص ٢٧٧

- التكرار غير موجود في القرآن، فقد تتشابه المعاني وتختلف التراكيب التي تحملها لاختلاف جانب من سياقها، وقد تتشابه التراكيب وتختلف سياقاتها تماما.

**المطلب الثاني: نظرية السياق عند محمد القاضي:**

لقد عُنِيَ علماء المتشابه اللفظي في القرآن بالسياق عناية كبيرة، إلا أننا نجد رجال البلاغة قد أعطوا للسياق عناية أكبر، فالكلمة ترتبط فصاحتها بالجوار والسياق الذي سيقت فيه، يقول الجرجاني: "وجملةُ الأمْرِ أنَّا لا نُوجِبُ الفصاحَة للفْظةٍ مقطوعةٍ مرفوعةٍ من الكلام الذي هي فيه، ولكنا نوجبها لها موصولةً بغيرها، ومعلَّقا معناها بمعنى ما يَليها"[٦٦٢]

وللسياق عند القاضي مكانة خاصة، ومنزلة رفيعة في الوقوف على الفهم الصحيح لأي نص، اسمع إليه يقول: "إن أي محاولة لفهم أي نص لغوي فهما كاملا بعيدا عن سياقه لهي محاولة فاشلة، فالنص اللغوي دون معرفة سياقه جسد بلا روح، وإنما السياق هو الروح التي تسري في هذا الجسد، فتبعث فيه الحياة، فتنكشف معانيه، وتتضح مدلولاته، ويصبح قابلا للفهم الصحيح"[٦٦٣].

وقد عقد الكاتب دراسة قيمة حول السياق، حيث بحث القاضي دور السياق في تحديد معاني ومرامي التعبير اللغوي، فالسياق عنده ركن أصيل، جاء في كتابه: "نظرية السياق تشكل ركنا أصيلا من أركان الدرس اللغوي الحديث والمعاصر؛ لأن التحليل اللغوي للنص أو الكلام لا يعطينا إلا المعنى الحرفي، أو معنى ظاهر النص، وهو معنى فارغ تماما من محتواه الاجتماعي والتاريخي، ومنعزل عن كل ما يحيط بالنص من القرائن التي تحدد المعنى..، فلا شك أن السياق له دور كبير في تحديد معنى الكلمة، بل إن الكلمة خارج السياق لا تعنى شيئا محددا، أو لا تعنى شيئا البتة[٦٦٤][٦٦٥]

---

[٦٦٢] الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود محمد شاكر أبو فهر، ط٣، جدة، دار المدني، والقاهرة، مطبعة المدني، ص٤٠٢.

[٦٦٣] القاضي، محمد، المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، ص٢٧٧.

[٦٦٤] غفل الكاتب هنا عن المعنى المعجمي للكلمة، إذ أنها مفردة يبقى فيها المعنى المعجمي.

[٦٦٥] القاضي، محمد، المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، ص٣٣.

والمقصود بالسياق عند محمد القاضي هو التوالي، توالي العناصر اللغوية التي يتحقق بها التركيب والسبك، وتوالي الأحداث التي صاحبت الأداء اللغوي، ومن هنا فالسياق عنده نوعان:

**الأول: السياق اللغوي:** وهو الذي تمثله التراكيب بأصواتها وكلماتها وجملها وعباراتها.

**الثاني: سياق الحال:** وهو جملة الظروف المحيطة بالحدث الكلامي[٦٦٦]، وهو يعنى بحال المتكلم والمستمع، والظروف المحيطة بالحدث الكلامي.

ويشير القاضي إلى أن العلماء الأقدمين قد أدركوا مفهوم السياق وأثره حين قالوا: "لكل مقام مقال" ، وحين قالوا: " لكل كلمة مع صاحبتها مقام"، ولعل علماء البلاغة أكثر من التفتوا إلى ذلك حتى أنهم عَرَّفوا علم المعاني بـ : "علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق اللفظ مقتضى الحال"[٦٦٧].

وساق القاضي[٦٦٨] عن علماء اللغة ما قرروه من أن المعنى ينقسم إلى عدة أقسام هي:

**المعنى المقالي:** ويتكون من المعنى الوظيفي[٦٦٩] والمعنى المعجمي[٦٧٠]، كما يشمل القرائن المقالية[٦٧١].

**المعنى المقامي:** ويقصد به الظروف التي أُدِّيَ فيها المقال، أي القرائن الحالية[٦٧٢].

وقد كان للدكتور كمال بِشْر تصوير بارع لمقام الكلمة في سياقها، إذ أنه جعل السياق الذي دارت فيه الكلمة مسرحا، سماه "المسرح اللغوي" ، وهذا المسرح يشتمل على أربعة عناصر، هي:

- المتكلم.
- السامع.

---

[٦٦٦] المصدر السابق، ص٣٣-٣٤.

[٦٦٧] المصدر السابق، ص٣٤.

[٦٦٨] القاضي، محمد، المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، ص٣٥-٣٦.

[٦٦٩] المعنى الوظيفي: هو المعنى الذي تكشف عنه المباني التحليلية للغة، ويشمل الدلالة الصوتية، والدلالة الصرفية، والدلالة النحوية التركيبية.

[٦٧٠] المعنى المعجمي: هو الذي تدل عليه الكلمة مفردة كما في المعاجم.

[٦٧١] القرائن المقالية أي: المحيط اللفظي.

[٦٧٢] القرائن الحالية: أي حال المتكلم ، وحال المستمع ، والحال العام الذي سيق فيه الكلام.

- المكان وما فيه من أشياء وموضوعات، وما فيه من أناس لهم علاقة بموضوع الحديث.
- الزمان وفترته المعينة في التاريخ.

ثم يقول: "وهكذا لايتحقق مسرح الكلام ولا تتم فعاليته إلا بوجود هذه العناصر جميعا"[٦٧٣]

ويؤيد ذلك استيفان أولمان [**STEPHEN ULMANN**] في كتابه [دور الكلمة في اللغة] قائلا: "وكلمة السياق قد استعملت حديثا في عدة معان مختلفة، والمعنى الوحيد الذي يهم مشكلتنا في الحقيقة هو معناها التقليدي، أي: النظم اللفظي للكلمة وموقعها من ذلك النظم بأوسع معني لهذه العبارة. إن السياق على هذا التفسير ينبغي أن يشمل لا الكلمات والجمل الحقيقية السابقة واللاحقة فحسب بل والقطعة كلها والكتاب كله، كما ينبغي أن يشمل بوجه من الوجوه كل ما يتصل بالكلمة من ظروف وملابسات، والعناصر غير اللغوية المتعلقة بالمقام الذي تنطق فيه الكلمة لها هي الأخرى أهميتها البالغة في هذا الشأن"[٦٧٤]

إن الكلمة معجميا تحتمل معاني عدة مختلفة وقد تتناقض أحيانا بحسب السياق وبحسب طريقة إلقائها، وقد أدرك جوزيف فندريس [JOSEPH VENDRYES] أثر السياق ودروه في بيان معنى اللفظ قبل ستيفن أولمان فرأى أن السياق هو الذي يحدد المعنى المقصود من الكلمة، حيث يقول: " الذي يعين قيمة الكلمة في كل الحالات التي ناقشناها إنما هو السياق، إذ أن الكلمة توجد في كل مرة تستعمل فيها في جو يحدد معناها تحديدا مؤقتا، والسياق هو الذي يفرض قيمة واحدة بعينها على الكلمة بالرغم من المعاني المتنوعة التي في وسعها أن تدل عليها، والسياق أيضا هو الذي يخلص الكلمة من الدلالات الماضية التي تدعها الذاكرة تتراكم عليها، وهو الذي يخلق لها قيمة حضورية"[٦٧٥]

---

[٦٧٣] القاضي، محمد، المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، ص٣٨، نقلا عن الدكتور كمال بشر، ٢٠٠٣م، ط١، فن الكلام، القاهرة، دار غريب، ص١٢٩-١٣٠.

[٦٧٤] ستيفن أولمان، **STEPHEN ULMANN** ، دور الكلمة في اللغة، ترجمة وتقديم وتعليق: د. كمال بشر، مصر، المنيرة، مكتبة الشباب، ص٥٧

[٦٧٥] **جوزيف فندريس Joseph Vendryes** ، ١٩٥٠م، اللغة، ترجمة: عبد الحميد الدواخلي، محمد القصاص، ص٢٣١

**خريطة قرينة السياق:**

لقد عرض محمد القاضي رسما تخطيطيا بديعا[٦٧٦] ضَمَّنَ فيها السياق وقرائنه، رأيت فيه إجمالا بديعا واضحا لتكوينات السياق، ها هو:

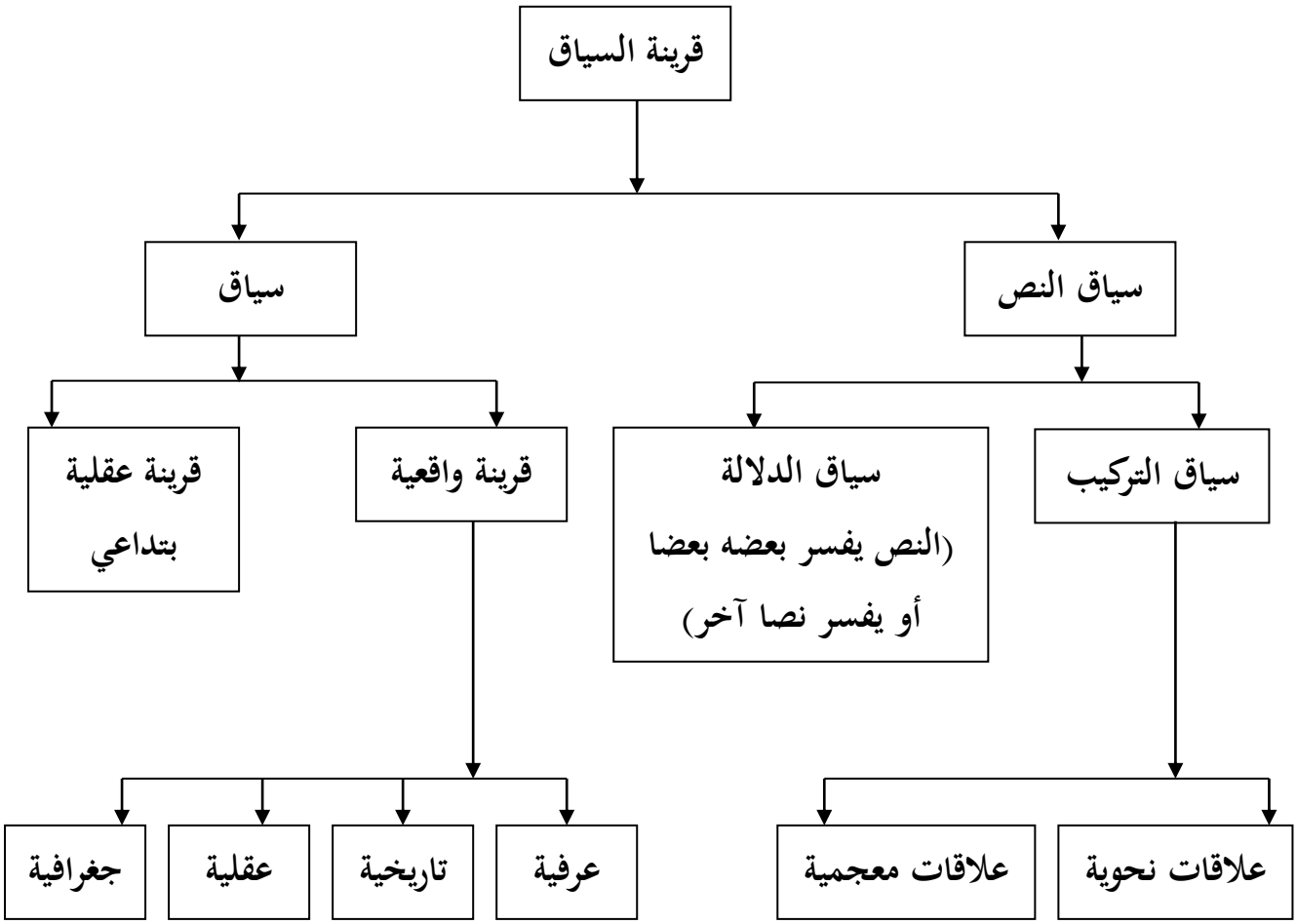


[٦٧٦] القاضي، محمد، المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، ص٤٣.

**المطلب الثالث: السابقون والسياق لدى محمد القاضي:**

لقد أولى العلماء السابقون السياق عناية فائقة، ولا يستطيع أحد أن ينكر أثر السابقين في توظيف السياق للوصول إلى المعاني المقصودة للفظ، فقد كان السياق عمدة علماء تفسير القرآن الكريم، والعمدة الأولى لدى علماء توجيه المتشابه اللفظي، وعمدة علماء اللغة والبلاغة.

ولم يختلف منهج اللغويين المحدثين عن منهج علماء العرب القدامى للوصول إلى المعنى، فقد عمد المحدثون إلى الوقوف على الجانب الصوتي، والجانب النحوي، والجانب المعجمي، والجانب الصرفي، والظروف والملابسات التي تحيط بالحدث اللغوي، وهذا هو المنهج الذي اتبعه المفسرون، والبيانيون، والبلاغيون.

لقد سبق اللغويون العرب القدماء علماء اللغة في الغرب في اكتشافهم فكرة المقام، ولقد وضح الدكتور تمام حسان هذه الحقيقة في كتابه "اللغة العربية معناها ومبناها"، فيقول: لقد كان البلاغيون عند اعترافهم بفكرة المقام متقدمين ألف سنة تقريبا على زمانهم؛ لأن الاعتراف بفكرتي المقام والمقال باعتبارهما أساسين متميزين من أسس تحليل المعنى يَعَدُّ الآن في الغرب من الكشوف التي جاءت نتيجة لمغامرات العقل المعاصر في دراسة اللغة"[٦٧٧]

وفي موضع آخر من كتابه ينقل القاضي عن تمام حسان: "ولم يكن مالينوفسكي وهو يصوغ مصطلحه الشهير يعلم أنه مسبوق إلى مفهوم هذا المصطلح بألف سنة أو ما فوقها، إن الذين عرفوا هذا المفهوم قبله قد سجلوه في كتب لهم تحت اصطلاح (المقام) ولكن كتبهم هذه لم تجد من الدعاية على المستوى العالمي ما وجده اصطلاح مالينوفسكي من تلك الدعاية بسبب انتشار نفوذ العالم الغربي في كل الاتجاهات وبراعة الدعاية الغربية الدائبة"[٦٧٨]

ولعل علماء التفسير أول من وظف السياق للوقوف على المعاني والمرامي الدقيقة للفظ في موضع نزوله، ولذلك نجد القاضي قد عقد مبحثا بعنوان [تفسير القرآن والسياق] أثبت فيه أن العلماء العرب قد خبروا قيمة السياق وأثره البالغ، وأنهم سبقوا علماء الغرب في

---

[٦٧٧] تمام حسان عمر، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م، اللغة العربية معناها ومبناها، ط٥، عالم الكتب، ص٣٣٧.

[٦٧٨] المصدر السابق، ص٤٤

هذا الميدان، ولم يكن لعلماء الغرب سوى التحليل والتفصيل، والذي ورد متضمنا في فكر وآثار ومنهج علماء العرب القدامى.

فهذا الزركشي قد جعل السياق من الأمور التي تعين على فهم المعنى عند الإشكال، قال: "دلالة السياق.. فإنها ترشد إلى تبيين المجمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام، وتقييد المطلق، وتنوع الدلالة، وهو من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم، فمن أهمله غلط في نظيره، وغالط في مناظرته"[٦٧٩]

وللشاطبي كلام في السياق ودوره وأثره في بيان المعنى المقصود يكتب بماء الذهب، اسمع إليه يقول: "إن علم المعاني والبيان الذي يعرف به إعجاز نظم القرآن فضلا عن معرفة مقاصد العرب، إنما حواره على معرفة مقتضيات الأحوال: حال الخطاب من جهة الخطاب، أو المخاطب، أو المخاطب به، أو الجميع؛ إذ الكلام الواحد يختلف فهمه بحسب حاليه، وبحسب المخاطبين، وبحسب غير ذلك"[٦٨٠]

ثم يؤكد كلامه ويثبته فيضرب مثالا بالاستفهام الواحد الذي تتعدد أغراضه؛ إذ أن لفظه واحد لمن يدخله معان متعددة من تقرير وتوبيخ واستنكار ونفي وغيرها. ومثالا آخر بالأمر الذي يخرج عن مدلوله إلى أغراض أخرى من الإباحة أو التهديد أو التعجيز أو النصح أو غيرها، ثم يقول: "ولا يدل على معناها المراد إلا الأمور الخارجية، أو عمدتها مقتضيات الأحوال، وليس كل حال ينقل، ولا كل قرينة تقترن بنفس الكلام المنقول، فإذا فات نقل بعض القرائن الدالة فات فهم الكلام جملة، أو فهم شيء منه، ومعرفة الأسباب رافعة لكل مشكل في هذا النمط فهي من المهمات في فهم الكلام"[٦٨١]

وقد مثل القاضي بنقول عديدة عن علماء السلف، يثبت بها أن السبق والفضل في الوقوف على مرامي اللفظ وعلى المعنى المراد لا يكون إلا من خلال السياق. ثم قال:

---

[٦٧٩] الزركشي، البرهان، ج٢، ص٢٠٠

[٦٨٠] الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م، الموافقات، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط١، دار ابن عفان، ج٤، ص١٤٦.

[٦٨١] المصدر السابق، ج٤، ص١٤٦.

"جملة هذه النقول تبين لنا أن علماء علوم القرآن والمفسرين قد اعتمدوا في دراسة النص القرآني وفهم دلالته على جانبي السياق، وهما السياق اللغوي الكلي، أو ما يسمى بـ [سياق النص] و[سياق الموقف]، إذ نظروا إلى الآية القرآنية أو مجموعة الآيات على أنها جزء من نص متكامل هو القرآن، ومعنى ذلك أنهم لا يعتمدون على السياق اللغوي الجزئي المتمثل في الآية الواحدة أو مجموعة الآيات المعزولة عن سياقها الكلي، لقد كانوا على وعي تام بفكرة سياق الحال وعناصره التي تعين على فهم النص، ومن يقرأ في كتب التفسير يرى أن المفسرين ربما اختاروا معنى للكلمة غير معناها المعجمي لأن السياق يقتضي ذلك المعنى، وربما فهموا مراد بعض الآيات على غير ظاهرها عندما استدعوا المسرح اللغوي كاملا فأبى إلا معنى آخر غير ظاهر النص "[٦٨٢]

## المطلب الرابع: خصائص منهج محمد القاضي وتجديداته في دراسة المتشابه اللفظي في القرآن:

### أولا: خصائص منهج القاضي في توجيه المتشابه اللفظي في القرآن:

لعل كتاب محمد القاضي يعد متأخرا عن سائر كتب المحدثين، إذ أن طبعته الأولى خرجت سنة ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م أي قبل أقل من عامين تقريبا، ونستطيع أن نلمح بسهولة أثر كتب القدامى في توجيهات القاضي، كما نرى ونلمح أثر السامرائي جليا في توجيهاته ومنهج تناوله ودراسته للمتشابه اللفظي، إلا أن أهم ما يميز منهج القاضي هو نظرية السياق وعنايته الفائقة به وإفرادها بمبحث خاص، وطريقة قياسه وتوجيهه بناء على تلك النظرية التي درسها وبسطها، ويمكننا أن نجمل خصائص منهج القاضي فيما يلي:

١- لم يتبع منهج القدامى في الالتزام بترتيب السور، والآيات في سورها، وإنما تابع منهج السامرائي في تقسم المتشابه اللفظي فصولا بحسب نوع الاختلاف والاتفاق فيما بين الآيات، وزاد القاضي على منهج السامرائي أنه حين هم بتوجيه آيات المتشابه اللفظي في القرآن قَسَّمَها قسمين، الأول: جعله للآيات المتشابهات لفظا دونما اختلاف والتي يطلق عليها العلماء التكرار اللفظي،

[٦٨٢] القاضي، محمد، المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، ص٤٧.

والثاني: جعله للآيات التي وقع فيما بينها اختلاف في بعض الجوانب، بزيادة أو نقص، أو بتعريف وتنكير، أو بتقديم وتأخير، وغيرها.

٢- التوجيه العام أول الباب: ولعل تلك الخصيصة أخذها القاضي عن السامرائي، فمن عادة السامرائي أن يقدم توجيها عاما للقضية التي يتناولها الباب، ففي باب الإبدال بين حروف العطف قبل أن يخوض في آيات المتشابه اللفظي بدأ القاضي الباب بتوجيه عام استعرض فيه حروف العطف، ثم خص الواو والفاء من حروف العطف بموازنة بين دور وأثر كل منهما في الكلام، وذلك كان قبل أن يعرض توجيه آيتي: ﴿ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا ﴾ (البقرة٣٥)، و ﴿ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا ﴾ (الأعراف١٩)[٦٨٣]. ونجد من ذلك المنهج على رأس كل باب تقريبا من أبواب الاختلافات اللفظية بين الآيات المتشابهات لفظا في كتاب القاضي.

٣- التوجيه بناء على عناصر السياق: وعناصر السياق عند القاضي خمسة هي: الزمان، والمكان، والأحداث، والمتكلم، والمخاطب، ولعل تلك الخصيصة تفرد بها القاضي في توجيهه، إذ لم يسبقه إليها أحد على هذا التنسيق، فإن السابق واللاحق من علماء توجيه المتشابه وإن اعتمدوا السياق عمدة، إلا أنهم كانوا يأخذون ببعض جوانبه، ولم يمعنوا النظر فيه إمعان القاضي، كما ابتدع القاضي منهجا بديعا في تحليل السياق إلى عناصره الخمسة السابقة.

٤- اللغة عمدة أساسية إلى جانب السياق لدى القاضي: وهذا مطرد في سائر توجيهاته، فلا نكاد نجد توجيها إلا وقد قام على هذين العمدتين، اللغة والسياق بعناصره الخمسة.

٥- البسط في شرح القضايا النحوية: ولعله تأثر فيها بالغرناطي، حيث إن الغرناطي كان يكثر من تناول القضايا النحوية ويبسطها بسطا، فقد وازن القاضي بين

[٦٨٣] القاضي، محمد، المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، ص٩٥- ٩٨.

حروف العطف ثم بين أثر كل من الواو والفاء العاطفتين في ثلاث صفحات[٦٨٤]، ووازن بين التعريف والتنكير في اللغة العربية ودلالة كل منهما في ثلاث صفحات[٦٨٥]، وهذا البسط في القضايا النحوية سمة عامة لدى القاضي.

٦- البسط في توجيه الآيات المتشابهات: فقد يستغرق توجيه آيتين سبع صفحات، كما في توجيهه لآيتي: البقرة ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا ﴾ (البقرة١٤٦)، وإبراهيم ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾ (إبراهيم٣٥)[٦٨٦].

٧- دراسة وتوجيه أكثر من مسألة في الموضع الواحد: وتلك عادة الإسكافي والغرناطي، في حين أن المحدثين غالبا ما يقفون عند توجيه مسألة واحدة في موضع التشابه.

٨- الاستفادة من علوم القرآن الأخرى في توجيهاته: فنجده ينظر في أسباب النزول، ومكان النزول، وترتيب السورة بين السور، ووربطها بما قبلها، والنظر في محتوى السور كلها، اسمع إليه حين هم بتوجيه تكرار آية القمر: ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴾ (القمر١٦)، قال: "وردت هذه الآية ومثيلاتها في سورة القمر، وهي سورة مكية، وهي السورة السابعة والثلاثون في ترتيب نزول السور، ونزلت بعد سورة الطارق، وقبل سورة [ص] وكان نزولها في حدود سنة خمس قبل الهجرة، واشتملت السورة على عدة أغراض أهمها"[٦٨٧] ثم مضى يعدد هذه الأغراض.

٩- الاجتهاد في استقصاء الآيات المتشابهات في الموضع الواحد: فنجد القاضي يستدرك على السابقين الآيات التي أغفلوها في مواضع التوجيه التي بحثوها، غير

---

[٦٨٤] المصدر السابق، ص٩٥- ٩٧.

[٦٨٥] المصدر السابق، ص١٣٩- ١٤١.

[٦٨٦] المصدر السابق، ص١٤١- ١٤٨.

[٦٨٧] المصدر السابق، ص٧٩- ٨٠..

أن القدامى عادة ما يناقشون بعض الآيات ويتركون البعض الآخر، أما القاضي فإنه اجتهد في استقصاء الآيات التي أغفلها السابقون في هذه المواضع، فها هو قد جمع لقول الله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ تسع آيات، وجه فيها مسألتين:

المسألة الأولى: أن خمسا منها تبدأ بالعطف بالواو: [ومن] الأنعام٢١،٩٣، وهود١٨، العنكبوت٦٨، والصف٧ ، والأربع الأخر تبدأ بالعطف بالفاء [فمن] الأنعام١٤٤، والأعراف٣٧، ويونس٧ ، والكهف١٥.

المسألة الثانية: أن آية واحدة –الصف٧– من التسع وردت فيها كلمة [الكذب] بالتعريف، في حين وردت [كذبا] نكرة في الآيات الثماني الأخر[٦٨٨].

١٠– استعمال الجداول في الموازنة بين توجيه الآيات: وهذه خصيصة استعملها السامرائي في كتابه [التعبير القرآني] لكن بقلة، واستخدمها فقط ليبين أوجه الاختلاف اللفظي بين الآيات المتشابهات لفظا، أما القاضي فقد توسع في استعمال الجداول توسعا كبيرا، فاعتمد عليها في توجيهه أكثر الآيات، كما لم يقف بها عند عرض وجوه الاختلاف بين الآيات بل كانت جداوله عادة ما تتكون من ثلاثة أقسام طولية يعرض في بعضها الآيات المتشابهات وأوجه الاختلاف بينها، ويعرض في البعض الآخر عناصر السياق وتوجيه الاختلافات فيما بين هذه الآيات، وإليكم نموذجا من جداول القاضي:

ففي توجيهه لآيتي: البقرة ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (البقرة١٤٢)، والنور: ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (النور٦١)، قبل أن يفصل توجيه الآيتين وما شابههما من آيات أخرى قال: "وفي الجدول الآتي[٦٨٩] بيان لعناصر سياق الآيتين:

[٦٨٨] المصدر السابق، ص١٤٨– ١٥٦

[٦٨٩] المصدر السابق، ص١٦٢

| عناصر السياق | | آية سورة البقرة | آية سورة النور |
|---|---|---|---|
| **الزمان والمكان** | | المدينة في أواخر السنة الأولى، أو أوائل السنة الثانية. | المدينة، وقد نزلت هذه السورة منجمة متفرقة في مدة طويلة، وألحق بها بعض آياتها ببعض. |
| **المتكلم** | | الله سبحانه وتعالى | |
| **المستمع** | | خطاب المؤمنين | |
| **سبب الحدث الكلامي** | | تفصيل الكلام عن مجموعة من الأحكام والتشريعات المتعلقة بالزواج من المشركين والمشركات، وأحكام الحائض، والأيمان، والإيلاء، والطلاق، والرضاعة، وعدد النساء، ومتعهن. | تفصيل الكلام عن أحكام تتعلق بالقواعد من النساء، ورفع الحرج عن الأعمى والأعرج والمريض فيما تجره ضرارتهم إليهم من حرج، وإباحة الأكل من بيوت ذوي الرحم والأصدقاء بدون دعوة، وبعض أحكام التحية. |
| **أثر الحدث الكلامي** | **أثر إيماني** | إدراك حكمة الله من هذه التشريعات واليقين بأن فيها خير الإنسان وصلاحه في الدنيا والآخرة. | |
| | **أثر عملي** | تنفيذ هذه الأحكام والتشريعات، واختلف أمر الناس في ذلك، فمنهم الذي يلتزم بأوامر الله ونواهيه، ومنهم من يعصي الله. | |

**ثانيا: تجديدات محمد القاضي:**

١- وجه القاضي ٥٨ موضعا من مواضع المتشابه اللفظي في القرآن فيها من التجديد ما يلي:

أ- منها ١٢ موضعا جديدا لم يسبق أحد الكاتب إلى توجيهها.

ب- استقصاء الآيات المتشابهات في الموضع الواحد، فقد يقف القدامى في موضع المتشابه عند آيتين أو ثلاث، أما القاضي فقد اجتهد في استقصاء الآيات المتشابهات في الموضع الواحد، ودراسة وتوجيه جوانب الاختلاف فيما بينها.

ت- لم يكتف القاضي بما قدمه سابقوه من توجيهات وتآويل لآيات المتشابه اللفظي بل إن له إضافات جديدة معتبرة تناظر وتعاضد توجيهات سابقيه.

٢- تفصيل نظرية السياق، والكشف عن عناصر السياق، وتوجيه مسائل المتشابه اللفظي بناء على هذه العناصر، وهذا المنهج -بحسب علمي- لم يسبق أحد القاضي إليه، وهذه وحدها كفيلة بأن تضع محمد القاضي في الصف الأول لأساتذة توجيه المتشابه اللفظي في القرآن في العصر الحديث.

**المبحث الخامس:**

## الخصائص العامة لمنهج المحدثين وتجديداتهم

### المطلب الأول: الخصائص العامة لمنهج المحدثين في توجيه المتشابه اللفظي:

١- لم يتبع أكثر المحدثين المنهج الذي التزمه القدامى في تناول توجيه آيات المتشابه اللفظي من التزام عرض مواضع الآيات المتشابهات بحسب ترتيبها في منازلها في سورها، وبحسب ترتيب السور في المصحف، إلا أن فاضل السامرائي تابع هذا المنهج في بعض كتبه، ونجد ذلك في كتابه [أسئلة بيانية في نصوص من القرآن الكريم]، كما نجد محمد الصامل في مواضعه العشرة التي تناولها بالتوجيه التزم منهج القدامى من حيث تناول الآيات بحسب ترتيبها في المصحف، وكذلك من حيث عرض المسائل جملة ثم توجيهها مسألة مسألة.

٢- اتباع منهج جديد في توجيه المتشابه اللفظي، استحدثه فاضل السامرائي، يقوم هذا المنهج على تقسيم المتشابه اللفظي باعتبار الإفراد والتركيب، وبنية اللفظ زيادة وتجريدا، ونوع اللفظ اسما أوفعلا أوحرفا، ونوع اللفظ تذكيرا أوتأنيثا، وباعتبار الحذف أو الزيادة في الكلام، وباعتبار التقديم والتأخير، وباعتبار التعريف والتنكير، وغير ذلك من التقسيمات، فجعلوا لكل نوع بابا أو فصلا قائما بذاته، يجمعون تحته مواضع المتشابه اللفظي التي اتفقت في أمر ما مما سبق، وقد نجد تحت الباب الواحد أو الفصل الواحد تقسيمات وتفريعات أخرى، ولعل ذلك جعل تقسيماتهم تزداد وتختلف من مؤلف لآخر.

٣- بحث مسألة وحيدة في موضع المتشابه، وذلك كان دأب كل المحدثين تقريبا، اللهم إلا فاضل السامرائي الذي كان يتناول في أحيان قليلة مسائل عدة في بعض المواضع من كتبه. هذا غير محمد الصامل، حيث إن الصامل قد توسع توسعا عظيما –لم يسبقه إليه أحد– في عدد المسائل التي بحثها في موطن المتشابه.

٤- للمحدثين عمدتان أساسيتان في توجيه المتشابه اللفظي، ألا وهما اللغة [صرفيا ونحويا وبلاغيا] مع السياق. وهاتان هما عمدتا التوجيه لدى القدامى أيضا.

٥- تكاد تخلو توجيهات المحدثين وكتبهم من العلوم الشرعية التي عمد إليها القدماء في توجيههم لآيات المتشابه اللفظي. فنكاد لا نجد في كتب المحدثين إلا علوم اللغة إلى جانب التفسير، اللهم إلا المطعني وياسين المجيد، فإنا نجد آثار بعض علوم الفقه والقراءات وأسباب النزول، والحديث، أما القدماء فقد كانوا بحورا في العلوم، فعمدوا إلى الحديث وعلومه، والفقه وأصوله، والقراءات، وعلم الكلام، وغيرها من العلوم، فاستعانوا بها في توجيهاتهم للمتشابه اللفظي في القرآن الكريم.

٦- الاجتهاد في التقعيد لتوجيه المتشابه اللفظي، وقد برزت تلك المسألة لدى الدكتور فاضل السامرائي خاصة، فنجده إذا ما وجد أمرا ما مشتركا بين عدد من مواضع المتشابه اللفظي وضع قاعدة تضبط توجيه هذه المواضع المشتركة، وسوف يُفْرِدُ الباحث للقواعد التي وضعها السامرائي مبحثا خاصا سيأتي في الباب التالي في فصله الثاني إن شاء الله.

٧- التنوع ما بين البسط والإيجاز في توجيه مسائل المتشابه اللفظي، وأكثر من بسط في التوجيه محمد الصامل، ثم المطعني ومحمد القاضي، أما فاضل السامرائي، وياسين المجيد فقد كان كل منهما في أكثر توجيهاتهما يعمدان إلى التوسط بين البسط والإيجاز، إلا أننا نجد كلا منهم أحيانا ما يبسط وأخرى يوجز.

٨- الاستفادة من كتب المتقدمين، خاصة درة الإسكافي، وملاك الغرناطي، وبرهان الكرماني.

٩- لا يوجد أثر لكتاب [فتح الرحمن لما يلتبس من القرآن] للأنصاري لدى كتب المحدثين جميعا، وكأني بهم لم يقفوا عليه، مع العلم أن الكتاب محقق ثلاث مرات، وقد طبعت تحقيقاته الثلاثة[٦٩٠].

١٠- الاستعانة بالتفسير العلمي للقرآن، وقد برز ذلك لدى ياسين المجيد في [المبنى والمعنى]، ومحمد الصامل في [من بلاغة المتشابه اللفظي].

**المطلب الثاني: تجديدات المحدثين:**

١- **من حيث المنهج:** ابتكر المحدثون منهجا جديدا في تناول آيات المتشابه اللفظي في القرآن، لا يقوم على جمع آيات المتشابه وتناولها بحسب ترتيبها في المصحف، وإنما بتقسيمها أبوابا وفصولا، كل باب وكل فصل يجمع عددا من الآيات التي اشتركت فيما بينها في شيء ما من خصائص آيات المتشابه اللفظي، من تقديم وتأخير، أو إبدال وتغيير، أو تعريف وتنكير ، وغير ذلك.

٣- **توجيه آيات جديدة:** وجه المحدثون آيات كثيرة لم يقف عندها السابقون، فهذا ياسين المجيد قد وجه ٢٥٨ مسألة من مسائل المتشابه اللفظي، منها ١٧٩ مسألة جديدة لم يقف عندها علماء توجيه المتشابه السابقون، أما فاضل السامرائي فقد زاد على ذلك إذ أن جملة ما وجهه في الكتب الثلاثة موضع البحث [التعبير القرآني، وبلاغة الكلمة في التعبير القرآني، وأسئلة بيانية في القرآن الكريم] يزيد على ٣٤٠ موضعا من مواضع ومسائل المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، وأكثر هذه المسائل جديد لم يوجه من قبل، حتى أن كتاب [من بلاغة المتشابه اللفظي] لمحمد الصامل والذي وجه فيه ١٠ مواضع من مواضع المتشابه نجد أن أحد هذه العشرة جديدا لم يقف عنده أحد ممن سبق من علماء توجيه المتشابه، وكذلك المواضع التي وقف عندها عبد العظيم المطعني بالتوجيه — على

---

[٦٩٠] الأول: تحقيق: محمد علي الصابوني، وطبعته دار القرآن الكريم في بيروت سنة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣، والثاني: تحقيق عبد السميع أحمد حسنين، وطبع طبعته الأولى سنة ١٤٠٤هـ بمكتبة الرياض الحديثة، والثالث: تحقيق: السيد الجميلي، وأحمد السايح، وطبع طبعته ألأولى في مركز الكتاب للنشر بالقاهرة سنة ١٩٩٩م

قلتها- نجد بعضها جديدا، أما محمد القاضي فقد وجه ٥٨ موضعا من مواضع المتشابه اللفظي في القرآن منها ١٢ موضعا جديدا لم يسبق أحد الكاتب إلى توجيهها، وقد أشرنا إلى ذلك في بحثنا لكل شخصية من شخصيات المحدثين كل في مبحثه.

٢- **توجيهات جديدة لبعض الآيات التي سبق توجيهها:** قدم المحدثون توجيهات جديدة لكثير من الآيات والمسائل التي سبق ووجهها القدامى ويبرز ذلك عند سائر المحدثين، إذ كان لهم رؤية نافذة وَقَّادة منحتهم قدرة للوقوف على أسرار جديدة لتلك الآيات التي سبقهم إلى توجيهها القدامى.

٣- **إثارة مسائل جديدة غير مسائل القدامى:** وذلك في المواضع التي وقف عندها السابقون بالتوجيه، حيث أثار فيها المحدثون مسائل جديدة جديرة بالبحث غير المسائل التي أثارها القدامى فاتسعت بذلك دائرة البحث والتوجيه الذي أثرى هذه المواضع إثراء عظيما، ولعل فاضل السامرائي ومحمد الصامل أبرز من أثرى بعض المواضع التي وجهها القدامى بمسائل جديدة لم توجه من قبل، وقد أشرنا إلى نماذج لذلك في مباحث المحدثين.

٤- **إثراء التوجيهات القديمة بالتوضيح والتعليل والأدلة:** وتلك سمة عامة لدى المحدثين، إذ أننا نجدهم حين يهمون بتوجيه آيات سبق وأن تناولها القدامى بالتوجيه، نجدهم إما أن يعطوا توجيها جديدا، أو يضيفوا عللا وأدلة على توجيهات القدامى، أو يبسطوا التوجيهات السابقة.